وتيني أنت: رواية
الكاتبة: رضوى أمين
تصميم الغلاف: محمد دربالة
تدقيق لغوي وإخراج داخلي: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 20251 / 2018
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 6642 - 29 - 4

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع والترجمة

E- mail: Logarithpublish@gmail.com

Tel.: **01015642559**

المدير العام: إيناس ناصر
المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

978 977 6642 29 4

وتزانت

الكاتبة

رضوى أمين

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution

إهداء

إلى من دعموني وصدقوا فيما أكتب،

إلى من زرعوا بي الإحباط فأنبت بداخلي أشجار القوة والتحدي،

إلى أبي الغائب تحت الثرى، الذي علمني كيف يكون الإبداع،

إلى أمي الحبيبة التي أستمد منها الحب والقوة،

إلى إخوتي وابنتي وأصدقائي وعائلتي،

إلى صديقتي التي سهرت من أجل تعديل صفحاتي وأرهقتها ليالٍ طويلة،

إلى كل من أحبهم ويحبونني،

إلى ملهم عباراتي وكتاباتي،

أهديكم كتابي وكلماتي...

❋ ❋ ❋

أظنني لم أخطئ حدسي ومشاعري،

حينما قلت أنني سألقاك يومًا من جديد...

لم أخطئ بأحلام وأحداث تكهنتها عبر نجمي الأوحد الذي يرافقني دومًا بسمائي.

ما زلت أجهل لماذا يرتبط القمر وأطواره بظهورك في أحلامي،

ولماذا يقترن إلهامي وحروف كتاباتي فقط في حضور طيفك برفقتي!!

❋ ❋ ❋

- 1 -

لم تخلع الأسود منذ أربعة أعوام.

كان حدادًا طويلًا جدًّا، لم تستطع رؤية ألوان الحياة من بعد فراقه، عاشت بزمن (الأبيض والأسود) .

انفطر قلبها عليه، فلم يستغرق زواجهما سوى شهر وبضعة أيام،

لن تنسى ذلك اليوم، ولا يُذكرها أحد، وكأنه هو سحر أسود كلما تلاشى مفعوله، يتجدد تلقائيًّا.

ابتعدت مسافات طويلة جدًّا لتتلاشى الذكريات التي أرهقتها،

باعت كل الأثاث، وأغلقت الشقة بالأقفال التي صدأت، كما صدأ قلبها تمامًا، حتى ابتاعتها وانتقلت لتحيا بشقة أبيها التي تقع بالقرب من عيادتها بمدينة نصر، لم تحتفظ سوى ببعض ألبومات الصور التي خلدتها في جهاز اللاب توب الذي تقتنيه، وجهاز موبايل يحمل صوره وصورها معًا منذ كانا على علاقة حب، ويحمل سجلًا لأرقامه الذي كان يحتفظ بها وربما بصماته ما زالت مخلدة على لوحة مفاتيحه، يستحق الاحتفاظ به حقًّا، تركت خلفها كل شيء لتهرب ودفنت ذاتها بداخل حروف وصفحات الكتب.

أرملة، أصبحت أرملة في سن مبكر جدًّا، بنت الثلاثين عامًا التي استغرقت أربعة أعوام تغزل علاقة حب وعامين آخرين من الخطبة، قرأت كثيرًا في كتب علم النفس لتتعلم كيف تحافظ على حبها، اختارت دراسات علم

النفس (بالتحديد) لتتسلل إلى قلبه بخفة، لتنافسه لقب الطبيب بعد أن فقدت فرصتها للحاق بإحدى كليات القمة، اختارت أن تكون شريكة حياته التي تملأ ثغرات ومسامات قلبه وتتخطى حدود عالمه، اختارت أن تشاركه كل حياته، وهو أيضًا كان كذلك، لم يترك كتابًا قرأته إلا وقرأه، كان يغار من الكتب التي تسرقها منه، فقرر أن يرى الدنيا بعينيها هي.

كان أصدق حب، ذلك الحب الذي انتهى بالزواج.

لم يخُنني التعبير! حقًّا لقد انتهى ذلك الحب بالزواج في حالة سلمى وعامر.

- دكتورة سلمى فيه مريض برَّا باسم بدر حسن إبراهيم وبيقول إنه واخد ميعاد مع حضرتك ومصمم إنه يدخل بدري لأنه ما بيحبش الانتظار وبيقول إن حضرتك عندك علم.

- طيب يا مريم خليه يتفضل واستأذني الناس اللي قاعدة برَّا إنها زيارة شخصية ويا ريت تجيبي لي فنجان القهوة بتاعي ومش كل مرة أقول سادة !

- أوامرك يا دكتورة سلمى أنا خايفة على صحتك

- أنا ما باحبش السكر يا ستي، شوفي لي فيه كام كشف برَّا وتاخدي أربع كشوفات وجلستين والباقيين تديهم مواعيد بكرة، علشان أنا مش هاقدر أقعد أكتر من كدا محتاجة أروح وارتاح شوية.

- بس يا دكتورة فيه برَّا حوالى 5 جلسات و5 كشوفات

- انتِ كل يوم بترفعي لي ضغطي وبتخليني أتعصب ليه كدا يا مريم ليه؟ بقالك قد إيه شغالة معايَ ونفس الأخطاء كل يوم، أنا قُلت لك كام مرة إني

ما باحبش حد ينتظر في العيادة وتكون زحمة قُلت لك تدي لكل واحد ميعاد بين كل شخص والتاني ساعة إلا ربع وانتِ عارفة كويس إني باحب أدي لكل واحد وقته، الجلسة ليها ميعاد يعني تحسبي الوقت بين الكشف والكشف والجلسة والجلسة، خلاص يا مريم اتفضلي دلوقتي ودخلي الأستاذ بدر.

- أوامرك يا دكتورة.

- اتفضل يا باش مهندس الدكتورة في انتظار حضرتك

استقام بدر، وعدل في وقفته، جذب القميص لأسفل ذا "الكاروهات" المتوسطة الحجم التي تحمل اللون الزيتي والأصفر، سعل سعلة حانية الصوت بما تعني بلهجتنا المصرية (الإحم التي تسبق الدستور) بعدما طرق باب الغرفة ووجد الدكتورة سلمى شاردة في النظر للموبايل

وللمرة الثانية: إحم

ثم طرق الباب الذي كان ما زال مفتوحًا.

رفعت سلمى رأسها نحوه، ثم اعتدلت بجلستها خلف مكتبها الأسود:

- اتفضل، اتفضل يا باش مهندس بدر، أنا متأسفة جدًّا ما حسيتش بوجود حضرتك.

أغلقت مريم الباب من الخارج، تقدم عدة خطوات بالغرفة الواسعة،

ثم جلس على الكرسي المقابل لسلمى من جهة اليمين بالنسبة لها،

حاولت أن تتحدث معه وتكسر حالة الصمت والتأمل والسكون التي أصابته، ربما أزعجه تجاهلها له في البداية

ابتسمت ابتسامة هادئة، ثم أمسكت بقلم وورقة وأخذت تكتب:

- اسم حضرتك: بدر حسن مضبوط؟

- أيوة

- سن حضرتك قد إيه

- 33 سنة

- حضرتك بتشتغل إيه

- مهندس معماري

لاحظت توتره وتعرق جبينه رغم برودة الجو فمددت يدها تعطيه منديلًا، وتناولت ريموت التكييف لتخفض درجات الحرارة قليلًا.

كان أمامها قليلٌ من الأوراق الملونة الصغيرة المتراصة فوق بعضها البعض، تستخدمها لوضع بعض الملاحظات، وتستخدمها في تقليل التوتر أثناء الاستماع لمرضاها برسم خطوط عشوائية بقلمها، أخذت ترسم خطوطًا بهدوء واستطردت:

- بسنت كلمتني عن حضرتك وأنا رحبت جدًّا وما عنديش مانع إننا نتكلم مع بعض، أنا مش دكتورة بهتم بالعقاقير والأدوية والجانب الطبي بقدر ما احنا بنهتم بالحالة الفسيولوجية للمريض، أنا أستاذة علم نفس، يعني أخصائية تقدر تعتبرني كصديقة بنتكلم بندردش، لكن أنا مش عاوزاك تحس إنك في عيادة ولا تحس إنك جاي تتعالج، احنا هنا علشان نسمعك كويس جدًّا ونحدد المشكلة ونحلها.

لم يهتز له جفن، أصابه التجمد والذهول، أصابته حالة من التوقف اللحظي كمن ضغط على زر "ستوب" ليوقف فيلمًا عند مشهد قد أعجبه.

شعر وكأنه يعرفها جيدًا، أو أنه رآها من قبل، ذلك الإحساس الذي يعتريك حينما تزور مكانًا لأول مرة وتشعر وكأن تلك التفاصيل قد تعايشت معها من قبل بدقة أو رأيتها يومًا بحلمٍ ما.

- حضرتك معايَ؟

شعرت بالارتباك والتوتر تجاه حملقته بها وسكوته،

اتسعت حدقتا عينيه ولمعتا ثم نطق بعد صمت:

- أنا متأسف، أأأ، أنا حاسس وكأني أعرفك قبل كدا، شُفتك قبل كدا، مش عارف.

- الحقيقة مش عارفة، بس يمكن اتقابلنا عند بسنت مع إني ما حضرتش خطوبتكم، لكن على كل حال، أنا سعيدة جدًّا بمعرفتك ويشرفني إني أتعرف بيك، تحب نبدأ منين؟!

ابتلع ريقه الذي قد جف كمن مشى بصحراء جرداء خاوية أربعة أيام متواصلة، تحدث بصوت مهزوز مرتجف، وشعر أن قلبه يكاد يخرج من ضلوعه:

- ممكن كوباية ماية

- آسفة، نسيت أسألك تشرب إيه، طيب إيه رأيك أطلب لك ليمون

- ما فيش داعي

- ثواني واطلب لك.

رفعت سماعة التليفون

- أيوة يا مريم فنجان القهوة بتاعي يا مريم من غير سكر، وهاتي ليمون صاقع وكوباية ماية بسرعة من فضلك.

منتصف دقيقة من الصمت التي تركتها سلمى كنوع من ارتخاء لأعصاب بدر الذي ظهر عليه التوتر.

- تحب حضرتك تقعد على الشيزلونج وتتكلم شوية؟

- لا، أنا عارف اني جيت العيادة على غير ميعاد سابق، وواضح إن الجلسات ليها وقت مخصص، وأنا مش عاوز أتعدى نظام العيادة لكن أتمنى إني أبعد عن جو العيادة لو تسمحي لي ونتكلم في مكان تاني، أنا آسف جدًّا أنا ما اقصدش حاجة، بس أنا باتخنق وبيجي لي ضيق تنفس من الأماكن المغلقة وعاوز أتكلم براحتي أكتر، دا لو تسمحي لي.

رفعت حاجبها الأيسر قليلًا متعجبة، ثم أراحت أسفل وجهها على يديها بلحظات من التفكير وعادت بظهرها تستند إلى المقعد الجلدي الجالسة عليه:

- مفهوم يا أستاذ بدر، حضرتك سيب بياناتك ورقم موبايلك برَّا مع مريم وهاتصل بيك في أقرب وقت.

- متشكر جدًّا، وسعيد بمقابلتك

استقام بدر، فطوله يبلغ المائة وبضع الثمانين، لم تنتبه في بداية دخوله إلى ذلك الطول الذي يتميز به، إلا حينما قامت هي الأخرى من آداب الضيافة لتودعه.

فاجأها، مد يده اليمنى ليصافحها! كانت ترتدي بيدها قفازات سوداء شتوية بإطارات من الفرو أسود،

رغم أن الأسود هو عنوانها منذ أربعة سنوات، إلا أنه أنيق جدًّا بها.

سرعان ما مدت يدها كرد فعل تلقائي لم تفكر فيه ولو لثوانٍ،

كادت أن تُرجع يدها لكن علقت بتلك العينين.

شاردة، لامعة، عميقة جدًّا.

لم يسبق لها مصافحة أحد من الذكور منذ وفاة عامر، كانت تحترم غيابه أكثر مما كانت تحفظ مشاعره وهو على قيد الحياة،

فللإخلاص لذة لا يستشعرها سوى المحب بعمق.

سحبت يدها بعدما أفاقت من غيبوبة عشر ثوانٍ، وفي الثانية الحادية عشر استدار خلفه.

ارتطم بمريم، فصنعا خليطًا من عصير الليمون بالقهوة

- أنا آسف، أنا آسف جدًّا

هرب بعيدًا وخلف الأنظار لم يعد موجودًا، حتى إن سلمى لم تصرخ بمريم، اكتفت بالجلوس وأخذت نفسًا عميقًا.

- مريم لمي الصينية وخرجها برًا واعتذري للموجودين ونادي على حسين ينضف المكان دا، أنا هامشي.

- حاضر يا دكتورة.

خرجت مريم من غرفتها وأبلغت الموجودين، تعالت الهمسات والهمهمات تعبيرًا عن التذمر بعد الانتظار الطويل.

- أخذت تلملم أشياءها بحقيبتها، وتحدث نفسها بصوت خفيض:

- إيه اليوم الغريب دا؟

اتخذت مسارها نحو الباب الخلفي لغرفتها،، الذي يقودها إلى المصعد الخلفي للبرج الذي تقطن به عيادتها، المميزة بالديكور ذي اللونين الأسود والرصاصي.

لا يشاهدها أحد المرضى ذهابًا أو إيابًا، تقسيم غريب ومريح لذلك المبنى، لكنه قد صمم هندسيًّا بتصميم خمسة طوابق للأطباء كمجمع طبي، لهم باب خلفي مدمج مع مدخل سكان البرج الذي يعلوه خمسة عشر طابقًا فوق المذكورين.

وذلك الباب الأمامي كواجهة أساسية لتجمع طبي متميز على نهج عالٍ من اختيار الأطباء ذوي الكفاءة العالية، باطنة وقلب وأسنان وعيون وأنف وأذن، وعلاج طبيعي، ولهم أيضًا مصعد خاص بهم وعالم خاص بهم يزوره المرضى وينتهي عند الرقم 5.

صعودًا ونزولًا تستقر عيناها على (عيادة الدكتور أحمد فهمي لأمراض وجراحة القلب).

تعشق ذلك التخصص، كما تدين له بالحب مدى الحياة، ذلك القسم الذي تخصص به الدكتور عامر، رحمه الله!

منذ متى ولم تزر أهل عامر، مضى طويلًا، تتلاشى اللقاء لتحبس دموعها التي لا تكف عنها حينما تلتقي والدته ووالده الدكتور حسني.

أخصائية نفسية ولم تستطع يومًا أن تجد علاجًا بأحد الكتب الطبية أو النفسية أو حتى العقاقير الطبية لتنسى الأسى والألم؟

وهل للحب والعشق دواء؟!

ربما هي أخصائية نفسية لكنها تحمل من الأسى ما لم يحمله مريض، تحرص على امتصاص آلام الآخرين دون أن تكترث لحالها.

ربما كان سر تناسيها للألم هو الاستماع لمن هم أقسى حالًا من حالها.

- أنا كل مرة أنسى ركنت فين.

أدخلت أصابعها جميعًا بشعرها الأسود حتى أشاحته عن وجهها، أخذت نفسًا عميقًا ثم استطردت رحلة بحثها عن السيارة.

- أخيرًا.

ضغطت على زر الريموت لتفتح السيارة، وما لبثت أن تمسك مقبض الباب، إلا ورأته جالسًا فوق سيارة يتأمل في المارة، شاردًا بذهنه.

اقتربت منه، على الأرجح أنه لم يشعر بتواجدها إطلاقًا، ويبدو أن عطرها لم ينفذ لشعيراته الدموية حتى الآن.

- باش مهندس بدر، أقدر أساعدك بحاجة، مستني حد؟

- دكتورة سلمى، أنا آسف جدًّا على اللى حصل مني فوق، أنا ما اقصدش، أنا مش عارف ازاي...-

- ما حصلش حاجة لكل دا، ما لوش داعي الاعتذار، عربيتك دي؟

- لا مش عربيتي أنا ما جبتهاش معايَ لأني عامل بيها حادثة خفيفة كدا.

ويبدو وكأن كهرباء سرت بجسدها، لا تحب ذكر كلمة حادث أمامها.

- حمد الله على سلامتك، طب اتفضل معايَ تحب أوصلك؟

- دكتورة سلمى، احنا ممكن نقعد نتكلم في أي مكان دلوقتي لو ينفع؟

سكتت لبرهة ونظرت لهاتفها، تتفقد ساعتها، أثارها الفضول أن تستمع له قالت له:

- آه ينفع، أنا مش ورايا حاجة، تعال اتفضل نتكلم وتكون على راحتك.

- شكرًا بجد.

فتح باب سيارتها الأمامي، وركب بالمقعد، المجاور لها، تنفس بارتياح وأخذ يتفحص تفاصيل السيارة، التي تختلف تفاصيلها كثيرًا عن سيارته، ذات الطابع الرجالي.

❋ ❋ ❋

- 2 -

قبل أربعة أعوام،

حيث كانت تمكث سلمى مع والدها عبد الرحمن الذي أنهى خدماته واستقال ليستقرا بمصر بعد أن عاشت معه مرحلة دراستها الثانوية بدولة قطر بالدوحة، كان والداها قد انفصلا حينما كانت تدرس بالمرحلة الإعدادية وانتقلت الأم إلى مصر مودعة ابنتها الكبرى مع والدها وأخذت معها ابنتها الصغرى، كان من الصعب أن يحيا رجل مع ابنة ليتولى جميع أمورها، لكنها كانت الإبنة والأخت والأم والدفء كما كان يلقبها أبوها عصفورة البيت.

بعد ما استقر العصفوران بمصر مكثا بشقة بمدينة نصر وتقدمت لكلية الآداب قسم علم النفس.

تعرفت حينذاك بعامر، التقته حينما كانت تذهب للقاء ميس التي كانت تدرس معها بالمدرسة الثانوية بالدوحة وكانت قد التحقت بكلية الطب في أولى سنواتها، تلاقت عيناها مع عينيه أكثر من مرة وهي تتردد على كلية الطب حتى حفظ كل منهم الآخر.

تجرأ واخترق الغموض الذي ظل يطاردهم أسابيع وقرر كسر الصمت ثم قدم نفسه لها بجرأة ولطف:

- عامر حسني، آخر سنة في كلية طب، انتِ معانا هنا في الكلية؟

ترددت قليلًا ثم ردت بخجل:

- لأ أنا مش معاكم هنا

- أُمال في كلية إيه؟

- آداب علم نفس

- هايل، دا قسم ممتاز جدًّا وإن شاء الله هتنجحي فيه.

اتسعت حدقتا عينيها وسرى بهما طيف من الأمل والتفاؤل:

- شكرًا لحضرتك

- ما قُلتليش اسمك إيه؟

- سلمى

- تعرفي إن اسمك لايق عليكِ جدًّا

ابتسمت خجلًا وهي تريد أن تسأله ما سر أن اسمها يليق بها!

لكنها لم تستطع سؤاله، ظلت طوال ليلها تفكر في كلماتهما القليلة التي تبادلاها عند بوابة الكلية.

كانت تلك الشرارة التي أشعلت الترابط الذي أصبح لا يفرقهما سوى النوم.

منذ اليوم الأول قصت على عبد الرحمن أبيها أنها التقته، وأصبحا صديقين مقربين، ابتسم الأب وهو يعترف لنفسه أن ابنته الكبرى قد نضجت وأصبح لها قلب ينبض ويعشق، تلقى الأب حكايات ابنته عن عامر بصدر رحب حتى يستمع لها بقلب الأم الغائبة والأب الحاني والصديق المقرب لها.

ارتاح قلبه حينما قابله عامر وتعرف عليه، كانت نظرته ثاقبة منذ اليوم الأول، علم أن الطبيب الوسيم الصغير رجل يحتذى به في عالم الرجال، اطمأن على ابنته وظل كل منهم يتوارى خلف عنوان الصداقة والزمالة.

مرت أربعة أعوام في دراستها، كانا قد وضعا خطوطًا لعلاقتهما سويًّا، أحبا بعضهما البعض، لم ينقص أيًّا منهما مقومات الزواج وإقامة بيت، كانت الطموحات والأحلام تستبقهم إلى ما لا نهاية، ظل يدفعها للتفوق والدراسة حتى وإن كانت الكلية التي التحقتها على عكس رغباتها.

دعمها وجعلها تعشق علم النفس، قَرَآ معًا، وتناقشا في كثير من الكتب، تعلمت منه كيف يكون الطموح والنجاح حتى أصبحت في العام الرابع من الأوائل على دفعتها وهو قد تخصص بقسم الباطنة والقلب.

لم تفلح بالعمل كمدرسة مساعدة بالجامعة خاب أملها، ثم بث بها الأمل وجعل من نجاحها نجاح أكبر وبدأت بتحضير الماجستير فور انتهاء العام الأخير لها بالكلية، بدأت مشوار الدراسات العليا دون توقف.

وقبل التحاقها لأولى سنوات التمهيدي والدراسات العليا قرر أن يدق باب أبيها ويطلبها للزواج ويعلنا خطبتهما ليتشاركا حياتهما سويًّا.

كانت خطبتهما عائلية، أبوها وعمها، واعتذرت كل من أمها وأختها عن المجيء، وتحججت هي لعامر بسفرهما خارج مصر، لم يكترث لأمر أمها لأنه لم يقابلها يومها،

لكنه كان يعلم عنها كل شيء، كانت تخبره عن كل ما يؤرقها ويؤلمها، لم يفكر يومًا أن يضغط على جراحها أو يؤلمها، كانت والدته وأخته بسنت أجمل ألفة وعائلة لها، أحبتهم وأحبوها وأحبوا والدها عبد الرحمن.

تمت الخطبة بأحد المطاعم الفاخرة على كورنيش النيل وتبادلا الزغاريد والصور التذكارية وأعلنا خطبتهما وبَدَآ بتحضير مراسم الزواج وسط زحام الدراسة.

كان عامر قد تخصص بقسم الباطنة والقلب، هو يجتاز أوراق الامتحانات والكتب والمراجع وهي تلتهم الكتب وتنجح نجاحًا بجدارة، تنافسا على النجاح، أرادت أن تصبح أخصائية نفسية تلقب بالطبيبة كما هو، كان هو مصباح التوهج والنجاح لها وكانت هي طيف السعادة والإبداع له.

عامان آخران وهما بمحبس الخطبة حتى أتمت عامين التمهيدي ولها عامان آخران لرسالة الماجستير قررا أن يتزوجا ويستكملا مشوارهما العلمي سويًّا، لا شيء سيمنعهما من المضي قدمًا.

تتراقص دقات قلبها على موسيقى سعادتها، وتعود لتهدأ من نبضها، تريثي، اهدئي، فيكفيني هذا القدر اليوم، ولنؤجل الباقي للغد، فرحتي وفرحة عمري (عامر)، من عمَّر قلبي بالحب، بالسعادة، بالطموح، هو رفيق دربي، هو من علمني الحب، وكيف تكون معاني الحب، كيف أقرأ، وأتعلم، وأحيا، كيف أن تكون سلمى مكترثة بعامر فقط.

تعالت الزغاريد من هنا وهناك كعصافير تغرد في سماء الربيع حول وردتين متفتحتين تلمعان وتفوح منهما عطور الفرحة والسعادة،

وردتان كبرا معًا ونضجا معًا، اليوم تتويجهما، يزفان لبعضهما البعض، مشهد من أروع ما تراه عينك.

سلمى، تلك الفتاة ذات الشعر الأسود، بفستان أبيض، تحمل بيدها باقة زهر من أزهار التوليب حولها وريقات خضراء تغلفها من الخارج، مربوطة بشريط ستان أحمر اللون، كلون شفتيها.

يزين رأسها تاج من الكريستال، وهو أنيق جدًّا بربطة عنق، تجعله أكثر وسامة.

- صباح الورد على أجمل وردة

- صباح النور يا حبيبي، ياه جايب لي الفطار لحد السرير أكيد بحلم

- وما له لما أجيب الفطار لحبيبتي، اللى كل يوم بتتعب معايَ وتصحى من بدري تذاكر لي وتحضر لي ورقي، واحنا لسَّا في شهر العسل وخايفة على مصلحتي، معقول يعني ما اجيبلهاش الفطار لغاية عندها.

- ربنا يخليك ليَّ، ويديمك في حياتي، هاقوم أدخل الحمام وآجي نفطر سوا.

قامت متباطئة الحركة، تحمل قدميها المتثاقلة، وتمسك برأسها، اختل توازنها، وهوت أرضًا.

وقف أمامها في حالة ذهول، يراها ملقاة على "سيراميك" الحمام فاقدة الوعي تمامًا!

* * *

- سلمى، سلمى، حمد الله على سلامتك،

كانت الرؤية غير مستقرة بالنسبة لسلمى، على عكس رؤية عامر، فهي واضحة، وعيناه أكثر حدة وتركيز

همت ببكاء ونحيب:

- عامر، أنا تعبانة قوي وإيدي بتوجعني

- حبيبتي اهدي خالص وارتاحي

ثم انحنى على أذنها وأمسك ببطنها الصغيرة وهمس بأذنها

- في هنا Baby

لم تستوعب الكلمة فكفت عن البكاء وهمت بالقيام باندفاع فاتكأت على ساعدها الأيمن فصرخت من شدة الألم،

فزع عامر لصوتها وأخذها بين أحضانه، ومسك يدها بلطف، فشاهد تورمًا بسيطًا.

- اهدي يا حبيبة قلبي، ما علش يمكن كدمة أو شرخ بسيط، هنروح لمركز أشعة ونشوف فيها إيه.

كان القلق يساوره تجاهها، يراها أنثاه وابنته الصغيرة ومدللته، لا يستطيع يومًا استيعاب أنه طبيب وهي مريضته.

مر أسبوعان ويدها معلقة ومحفوظة بجبيرة كي تلتئم عظامها، جاءته تقول:

- أنا بجد زهقت من البتاع دا، نفسي أرجع تاني أعمل كل حاجة في البيت وأقعد معاك نكتب ورقك.

- يا ريت ما تهتميش بأي حاجة غير صحتك يا حبيبتي وصحة البيبي، وشغل البيت الست بتيجي تخلصهولك، وورقي خلاص أنا باعمله وقرب يخلص، عاوزك بس ترتاحي.

جلست بجانبه مستندة على كتفه:

- إمتى ييجي اليوم اللى نناقش فيه رسالتك يا حبيبي، نفسي قوي ييجي اليوم دا.

- اتأكدي إن ليكِ الفضل بعد ربنا سبحانه وتعالى في اللى أنا وصلت له دا، لأنك ذكية وشاطرة وعرفتِ تحبيني وتخليني الأول على الدفعة في السنين اللي قضيتها معاكِ، عرفتِ يعني إيه تستخدمي حبك وسيلة لنجاحي.

شعرت بالحنين لذكرياتهما بأول علاقتهما، ابتسمت وقالت:

- فاكر رغينا في التليفون بالليل

- طبًعا مش هانسى، وانتِ بترخمي عليَّ وبتقولي لي هاقفل يعني هاقفل ولما أقاوحك تقفلي في وشي وتقولي لي بابا دخل عليَّ

ضحكت من قلبها ثم قالت:

- والله ساعات بيكون بجد دخل عليَّ، بس كتير كنت باقفل علشان عاوزاك تذاكر وتبقى الأول على دفعتك

- المهم إنك معايَ دلوقتي

- وأنا أوعدك هاقف جنبك لحد ما تكون أكبر جراح في مصر ويبقى ليك مستشفى كبير زي بتاعة باباك

- إن شاء الله وانتِ معايَ

- ممكن بقى نروح نفك دي علشان خطري بقى يلا

أمسكها من كتفيها بحنان وأمالها على ساقيه، ثم قبَّل أنفها،

- انتِ ما بتبطليش زن، وأنا ما باقدرش عليكِ ولا باقدر أزعلك، قومي البسي علشان نروح المستشفى.

هي لحظات فارقة، لحظات تمر علينا كلحظات قبلها أو بعدها، لكن كل شيء بها يتغير، لا شيء يعود كسابق عهده، فقط لو!

لو لم نفعل، لو لم نتمسك بالأشياء التي نريدها، لو لم يستجِب لطلبها ويذهبا للمستشفى، لما حدث ما حدث.

لكنه حالة من الذعر، حالة من الخوف والهلع، الكل صامت صمتًا مميتًا، قاتلًا،

تتسارع دقات القلب، وتعلو أصواتها التي أصبحت تدوي في الممر ويُسمع صداها.

انفتح الباب الذي يحمل نافذتين صغيرتين زجاجيتين، الذي يعلوه لوحة معدنية مكتوبًا عليها (العمليات)

اقترب دكتور حسني للأمام قليلًا، واندفعت سمر أم سلمى بكل ما تملك من قوة، اقتربا من الطبيب

لن يستطيع أحد أن يتحدث، الكل صامت ينتظر الخبر، وبداخلهم أيادي خفية تلتصق بآذانهم خوفًا من سماع الفاجعة.

- أنا يؤسفني إني أقول لكم حالة الدكتور عامر خطر جدًّا في خلال 24 ساعة لو ما اتحسنش لازم نرضى بأمر الله.

- بصوت متهدج خائف باكٍ:

- بنتي راحت فين؟

- المدام بخير، بس واضح إنها كانت لسَّا في بداية حمل لكنه للأسف نزل، وعندها كدمات وخدوش في الوجه وكسر في رجلها اليمين ادعوا لها بالشفاء.

رحل الطبيب ذو المعطف الأبيض الذي ألقى عليهم كتلة من الأخبار السوداء، (دائمًا ما نكره تلك الأخبار التي يحملها الأطباء، تلك هو القدر والمكتوب!

التي تجعلنا متشائمين منهم، نتهمهم بالغباء، وعدم الفهم، غير معتقدين فيما يقولونه، لأن العقل يرفض الاستجابة للواقع).

❋ ❋ ❋

- 3 -

- إيه رأيك في المكان دا يا باش مهندس، دا مكاني المفضل

- فعلًا بالضبط دا اللى أنا محتاجه

- عاوزاك بس تقلل من توترك وتكون على راحتك، تشرب إيه؟

- ما فيش داعي

- طيب ليمون بدل اللي ما شربتهوش عندي

- ماشي شكرًا

صمتت انتظارًا لمجيء نادل الكافيتيريا.

شعرت بداخلها مئات العقد والاستفهامات حول نفسها!، ما جاءها ببدر إلى هنا! هل فضولها لسماعه! أم لاحتياجها له كي يسمعها!، منذ متى ولم تتحدث عما يصيبها وعما تعانيه!

بقيت لسنوات طويلة صامتة، لكنها شعرت بالألفة والراحة تجاهه، تريد أن تتحدث كثيرًا له، تريد أن تفرغ ما يحمله قلبها من متاعب، شعرت بشيء ما يخبرها أنها ستحكي له يومًا، بعدما تسمع منه اليوم.

وقف أمامهما النادل الذي قاطع صمتها ثم قال:

- تشربي إيه يا دكتورة؟!

- واحد ليمون وواحد قهوة من فضلك

وقد قرأت في وجه إبراهيم نادل الكافيتيريا علامات التعجب والاستفهام التي تعلمها جيدًا، لأنها لم يسبق وأن جالست رجلًا منذ أن اشتركت بالنادي من العام السابق، وربما لم تجالس أشخاصًا سوى القليل، دائمًا ما تأتي لتستأنس بوحدتها، وتتحدث مع أقلامها وأوراقها، كم هو مرهق أن تتحدث وتستمع لأحد بعد قضاء ساعات يومها للاستماع لمرضاها.

قاطعت الصمت الذي ساد عليهما وقالت:

- قُل لي بقى انت وبسنت مخطوبين بقالكم قد إيه؟

- سنتين

- وإيه مانعكم من الجواز لحد دلوقتي؟

- ولا أي حاجة

- عندك مشكلة في التجهيز والماديات؟

- لا إطلاقًا، شقتي موجودة، بس مش قادر آخد قرار الجواز من بسنت

- ليه يا بدر؟، ما بتحبهاش؟

- بالعكس باقدرها وباحترمها جدًّا

- مش كل تقدير واحترام بيكونو حب يا باشمهندس صح؟

- مش متخيل إني في يوم ممكن اعتبرها مراتي، حاسس إنه مستحيل

- مستحيل! إزاي مستحيل؟ انتو اتخطبتو إزاي؟

- أنا كان ليَّ ظروف مرض خاصة، كنت باعمل عملية في مستشفى والد بسنت الدكتور حسني، واتعرف على والدي واهتم بحالتي جدًّا وكان بيتردد

علينا كتير وبيزورني باستمرار، كنت بادخل العناية المركزة وأوقات بافقد الوعي، وبادخل في غيبوبة بالأيام، وفي يوم دخلت جراحة من ضمن الجراحات اللي دخلتها في حياتي وقالوا لي إن العملية تمت بنجاح وإن نسبة الشفاء كبيرة بعد ما فُقت، كان بيدخل لي دكتور حسني كتير وباشوف في عينه دموع وعرفت بعدها إن ليه ابن توفى في حادث.

- إيه علاقة دا بخطوبتك؟

- بعد فترة، العلاقة اتطورت ووالدي ووالدتي أصروا إننا نروح لهم البيت ونزورهم زيارات عائلية

شُفت بسنت، بسنت قربت مني وقفت جنبي ودعمتني كتير وكنا أصحاب جدًّا.

قاطعته سلمى وقالت بشيء من الجدية

- الكلام دا من إمتى يا بدر؟

- من حوالى 4 سنين

فهمت سلمى أن تلك الموضوعات حدثت بعد وفاة زوجها رحمه الله مباشرة.

- طيب اتفضل كمل.

- بسنت كانت دايمًا لابسة أسود، كان كلامي قليل وحالتي الصحية صعبة، في الوقت دا كنا بنخرج وبتحاول تخليني أخرج من أزمتي، كانت بتيجي معايَ المواقع اللي بانزلها خوفًا عليَّ من أي نوبات تيجي لي ورجعتني لشغلي ودعمتني إني أستكمل حياتي الطبيعية.

- وبعدين؟

- فضلت علاقتي ببسنت لوقت طويل بالنسبة لي زمالة وصداقة، كانت قريبة مني قوي، كنت باستجدعها وطول الوقت كانت بتزيد غلاوة في نظري أكتر وأكتر.

استطرد كلامه وهو يمسح بيده على رأسه:

- لحد ما جه اليوم اللي والدي فاتحني فيه، يقترح عليَّ إني أخطبها، ولقيت نفسي ساكت ما باتكلمش لأني مش قادر أحدد ولا أقرر لأني ما فكرتش فيها طول الفترة دي رغم إننا مع بعض دايمًا، رُحت لقيت نفسي خاطب بسنت.

كانت سلمى مستندة بيدها على أسفل وجهها مستندة بمرفقها الأيمن على الكرسي وينسدل على جانبي شعرها الأسود، حتى قاطع حديثهما نادل الكافيتيريا إبراهيم.

- القهوة والليمون يا دكتورة

- الليمون للباش مهندس والقهوة ليَّ

وجدت بدر يمد يده اليسرى يلتقط كأس العصير

- بدر انت أشول؟

- آه، لأ

أجاب إجابتين لم تستطع فهم ما يقصده.

ثبتت قدما إبراهيم بجانبهما وكأنها شاركته السؤال معها.

- إبراهيم انت لسَّا واقف عندك بتعمل إيه؟ عمال تبحلق فينا من ساعة ما دخلنا، دي قلة ذوق اتفضل امشي لو سمحت.

انصرف إبراهيم مهرولًا إلى الكافيتيريا ولم يحاول النظر خلفه.

شعرت سلمى بسذاجتها وسوء تصرفها وندمها عما فعلته به، خافت أن يأخذ بدر عنها انطباعًا بالكبر أو الغرور

لكن الحقيقة أنها كانت منفعلة بسرد قصته لها.

- حاسة إني أحرجته، أنا ما اقصدش والله بس هو حشري بزيادة.

- أنا تقريبًا كنت هاعمل نفس اللي عملتيه، بس اتفاجئت إنك اتكلمتِ، يا ريت لما أكون موجود تسيبي لي المواقف اللي زي دي.

انفجرت وجنتا سلمى من الخجل، ليس من حقه أن يرد عنها، وليس له صفة أن يصحح تصرفًا لها قولًا أو فعلًا لكنها شعرت بوخز سعادة لم تشعر به منذ وقت طويل.

- انت أشول ولا مش أشول؟

- أنا مش أشول، بس ما اعرفش ليه بامسك الحاجة بإيدي الشمال كرد فعل تلقائي ودا مؤخرًا، بس ما باعرفش أكتب بيها مثلًا

- غريبة!

أردفت لتقول:

- نكمل كلامنا، يعني انت خطبتها وانت ما كنتش عاوز تخطبها، رغم وجودها معاك سنتين، ووقفتها جنبك، تقريبًا الوقت كان كافي إن مشاعرك تتحرك وتنجذب لها، وطبيعي إنك تحبها وتتعود وجودها في حياتك.

- ما حصلش كدا خالص، أنا طول الوقت شايفها أخت، صديقة، إنسانة غالية عندي مش قادر أشوفها غير كدا.

- ليه ما قررتش فسخ الخطوبة؟

- لأني عرفت من والدي أن والدها دكتور حسني اتبرع لي بمبلغ مش صغير علشان تكاليف الجراحة، أنا ما كنتش أعرف إن ماديات والدي اتدهورت، وبقى طول الوقت بيقول لي إنهم أصحاب فضل علينا وإن اللي دكتور حسني عمله جميل لا يمكن ننساه أبدًا.

- تقصد تقول لي إن اللي انت فيه دا حالة من العرفان والواجب!

ثم أردفت:

- إيه اللي يخليك تبقى مع إنسانة ما بتحبهاش وتظلمها لمجرد إنك بترد واجب؟

- أنا ما انكرش إن بسنت رائعة وجميلة وتتحب، بس ما باشجعش أبدًا إنك تبقى مع حد لمجرد إحساسك بالعرفان اتجاهه.

- علشان كدا جيت لك، أنا من يوم ما فُقت من العلاج وأنا حاسس إني مش طبيعي، باتلخبط جدًّا، ساعات باشوف ناس باحس إني أعرفهم كويس، وساعات أشوف ناس كانوا قريبين مني ما باحسش إني عاوز أكلمهم وباحس باختلاف كبير بيني وبينهم، كرهت أكل كتير كنت باحبه، حبيت حاجات ما كنتش باحبها، باحلم طول الوقت بغرف عمليات وأدوات تعقيم، وساعات باحلم بشخص ما اعرفهوش بيقول لي رد الأمانة.

- دا وارد جدًّا لأنك طول حياتك في مستشفيات وغرف عمليات، بس الغريب مين الشخص اللي بييجي لك في الحلم دا؟ وإيه اللي أخدته منه؟

- ما كنتش أعرف مين، وبعدين لما زورنا أهل بسنت في البيت، وشُفت صورته، لقيته هوا نفس الشخص اللي باحلم بيه، اتخضيت واترعبت والكل لاحظ وما قدرتش أقول ولا كلمة.

نظرت له سلمى باستغراب،ثم استطرد هو:

- دكتور عامر الله يرحمه هو اللي باشوفه في الحلم

- عامر!

- أيوة جوزك الله يرحمه، أنا ما كنتش أعرف أخدت منه إيه، ولما كلمت دكتور حسني بعدها بيني وبينه وسألته إيه اللي يخلي دكتور عامر يظهر لي في الحلم وإيه اللي أنا أخدته منه هل يقصد بسنت؟ اتخض واستغرب، حكيت له الحلم، قال لي إنه أخد من حسابه خمسين ألف جنيه كصدقة جارية على روحه وغطوا بيها تكاليف الجراح وطاقم الجراحة اللي جم من إنجلترا واللي عملوا لي العملية في المستشفى بتاعتهم، فكرت أكتر من مرة أردهم له رفض تمامًا، وقال لي إني لو فتحت الموضوع دا هيزعل معايَ جدًّا وإني كدا هاضيع ثوابهم، كل ما أتناسى الموضوع أرجع أحلم بيه، أوقات صامت وبيبص لي بحزن وأوقات يتكلم بنفس الجملة رد الأمانة.

وقف الدمع على مقلتيها الذي أمسكته على حافة جفونها بصعوبة:

- عامر أنا عارفاه كويس ولا يمكن يكون حقيقي اللي بتقوله دا، دا عمره ما قصر في عمل الخير، دا كان بيدور على الخير علشان يعمله.

أغمض عينيه يجلب الحلم من ذاكرته التي تحتفظ به ثم قاطعها قائلًا:

- حلمت بيه تاني، آخر مرة دي كان حلم مختلف، واختلفت رسالته ليَّ، قال لي اللي يخصني يخص سلمى.

- أنا، هو عاوزك تديهولي أنا!

- أرجوكِ يا دكتورة سلمى أنا عمري لا كنت أعرفك ولا شُفتك قبل النهاردا، أنا محتاج أرتاح من الحلم اللي بيطاردني دا، دا دين في رقبتي، عمي ممكن يكون متخيل إن دا عمل خيري، بس يمكن صاحب المال الله يرحمه مش راضي عن اللي حصل والدليل إنه جالي أكتر من مرة في الحلم، لازم تاخدي الفلوس دي، أنا كان لازم أشوفك وأتكلم معاكِ وكان لازم أحسس بسنت إني محتاج أستشيرك استشارة نفسية رغم إني حقيقي ما بقيتش عارف أفرق بين المشاعرالحقيقة والخيال اللي بيدور في عقلي، أنا فعلًا محتاج أخصائي يسمع حالتي، دكتور حسني لو عرف إني جيت لك هيتضايق مني جدًّا وهيحس إن ثوابهم ما راحش لإبنه، أنا مش هاستحمل أحس بدين في رقبتي لحد في يوم من الأيام اسمحي لي إنك تقبليهم مني ممكن؟

سكتت سلمى وأنزلت رأسها للأسفل وأغمضت عينيها:

- أنا ما اعرفش إزاي هاخد منك الفلوس دي، بس دي وصية من عامر وجيت لك انت!، لا قادرة ما انفذش وصيته ولا أنا قادرة أصدق إن عامر هيطلب منك فلوس، وما بافهمش في الأحلام بس اللي افهمه إنه متوفي وجالك في الحلم يعني رؤية.

- ودا اللي أنا متأكد منه واللي جابني لعندك، ولما شُفتك حسيت إني أعرفك قبل كدا وإني جاي مسيَّر وإن اللي بيحصل دا عدا عليَّ قبل كدا، أنا ما حصلش بيني وبين الدكتور عامر أي تواصل قبل كدا، ولا أعرفه، إيه اللي يخليه يبجي لي في الحلم، إلا لو كان عايز يوصل لي رسالة معينة.

- مش هينفع اللي بتقوله، دول كمان شرعًا مش من حقي، أنا أخدت ميراثي في حق عامر الله يرحمه.

- أرجوكِ ريحيني وساعديني أنا تعبان جدًّا، ومحتاج مساعدتك بجد

- ما اقدرش أساعدك بأي حاجة، الموضوع بالنسبالي حساس، أنا مش عارفة أعمل إيه .

- أنا حاسس إني أعرفك، اسمعيني واديني فرصة لسَّا فيه حاجات جوايا محتاجك تسمعيها

قامت سلمى وتركت وراءها بدر، تركت وراءها الليمون والقهوة، تركت وراءها قصة عن زوجها يرويها رجل آخر أثارت في نفسها الحزن والأسى التي باتت تشرب عليه القهوة يوميًّا لتدفن حزنها بين ثرى وحدتها وفراغها.

ورحلت سلمى.

فتحت عينيها المنتفختين، إثر بكاء نحبته طوال ليلها، نامت بضع ساعات قليلة رغمًا عنها بعد حرب ساحقة لإيقاف دموعها عن السقوط.

لماذا كل هذا البكاء الذي طغى عليها! تشعر بشيء ما يتسلل قلبها رغمًا عنها، تشعر برعشة الحب، بخوف المشاعر ورجفتها.

كل منا يبكي لأسبابه التي يتلفظها قلبه،

يبكي انتهاء العلاقات، يبكي موت قلبه، يبكي خروج روح من جسد يتألم، يبكي سكرات الحب، يبكي ويتجرع الألم

ثم يخمد أشواقه وأنينه.

ومنا من يبكي كالأسماك خوفًا خروجها من الماء، خوفًا من فتح أقفال قلبه، خوفًا من ملء رئتيه بهواء جديد من سماء الحب.

يبكي من رعشة تنتابه، يبكي نكرانًا لمشاعره، يبكي رفضًا للتغيير، يبكي انتفاضًا لرغباته، يبكي وجعًا وشوقًا لتحرر قلبه من بين ضلوعه

تتساءل إن كانت ستحب بعد عامر! الذي ظلت تحبه سنوات، وتنام وتغفو على ذكراه سنوات أخرى!!

انتقت قميصًا "كاروهات" يحوي اللونين الأبيض والأسود، وبنطالًا أسود، وحذاء ذا كعب عال،

أخذت خصلات شعرها للخلف وجمعتهم بشريطة سوداء ورفعته قليلًا، وشكلت بعض الانتفاخ في مقدمة شعرها

نزلت عبر مصعدها واتجهت إلى الشارع قاصدة سيارتها،

كانت أنيقة، دون أن تقصد، أو ربما هو رآها كذلك.

كان يراقبها، ويشاهد خطواتها الثابتة التي تحمل من الكبرياء والحزن ما لا تحمله امرأة شهدها من قبل!

- سلمى

هكذا قالها بصوت مفاجئ حينما ظهر من خلفها وأمسك بذراعها،

انتفضت من مكانها حينما تفاجأت بوجوده، ثم ابتعدت عنه.

لم تتكلم، لم تثرثر وتطلب منه الرحيل، ربما كانت تحتاجه بالفعل وتريد أن تستطرد حديثًا قد قطعته بليلة الأمس.

تشعر باحتياجها له أكثر مما يحتاجها هو.

تركت له باب السيارة مفتوحًا، واستدارت نحو الجهة الأخرى، تركت له مقعد القيادة،

- رايحة فين يا سلمى

فتحت الباب الآخر وألقت بنفسها على المقعد دون أن تنبس ببنت شفة.

- أنا مش هاقدر أسوق ممكن توصلني لو مش هتعبك.

- أنا ما نمتش طول الليل يا دكتورة سلمى، كنت خايف أكون ضايقتك أو قلبت عليكِ المواجع وفكرتك بجوزك الله يرحمه، بس حاولي تفهميني أرجوكِ، دي رسالة هو وصلها لي، وحق لازم يرجع لصحبه، أنا واثق إنك مش هاتخلي الدين متعلق في رقبتي.

تنهدت بحرارة تخرج من بين أنفاسها ثم قالت:

- أنا كمان طول الليل بافكر في كل حاجة انت قُلتها أنا لحد دلوقتي مش مصدقة إنه مات، أو اختفى من حياتي، إني بقيت لوحدي، ساعات ما باعرفش أنا عايشة ليه أصلًا!

عمرك شُفت دكتورة نفسية جواها ألف عقدة نفسية!

أنا عايشة علشان أداوي الناس وأرسم الابتسامة على وشوشهم وأطمنهم، كل حالة باعالجها وباسمعها باشيلها في نفسي وباحلم بيها لحد ما اتمليت هموم، ناس كتير بتثق فيَّ وبتحكي لي، لكن أنا عمري ما حكيت اللي جوايا لحد زي ما همَّ بيحكوا لي، عمر ما حد سمعني من جوايا.

- طيب احكي لي، طلعي اللي جواكِ.

- حسيت إني محتاجة أتكلم معاك، بس بعد كلامك عن عامر حاسة إني مش قادرة، هاتعب أكتر.

- أنا محتاج أسمعك

قاطعته قائلة:

- مش هينفع يا باش مهندس بدر، يا ريت لو توصلني العيادة من فضلك.

اتخذ طريقه نحو العيادة، سلكا العديد من الطرق المزدحمة قليلًا، الذي جمدها الصمت.

نزلا من السيارة، أخذت نفسًا متعبًا مرهقًا:

- شكرًا.. تعبتك معايَ.

- أنا اللي باشكرك على وقتك.

وابتسم ابتسامة يشكر بها أيضًا القدر الذي سمح له بقيادة سيارتها وقضاء دقائق بالقرب منها.

- أنا هاروح أجيب عربيتي من الورشة زمانها خلصت، ودا الكارت بتاعي يا ريت تكلميني لو احتجتِ حاجة.

أطالت النظر إليه قليلًا، عيناه رماديتان تميلان إلى لون العشب الأخضر، حاجباه كثيفان بنيان مرتبان، أنفه مرسوم فوق شفتين مكتنزتين، وجهه خمري يعلوه شعر كثيف يميل إلى لون الذهب اللامع تحت ضوء الشمس.

كانت تراه لأول مرة بتلك التفاصيل، نقلت ملامحه إلى قلبها، هكذا شعرت بقلبها يخفق.

سرعان ما انتزعت نفسها من ذلك المجال الذي كان سيوقعها بما ليس في حسبانها، الوقوع بأعين من نراهم يجعلنا نرى صورنا بهم، نرى قلوبنا بهم، نرى أعماقنا بهم !

هرولت إلى الابتعاد عنه دون أن تنظر خلفها، كمن يحمل البنزين بعيدًا عن الاشتعال والنيران.

وهي قابلة للاحتراق والاشتعال ببدر.

- سلمى.. المفاتيح

هكذا صاح بصوت عالٍ مسموع.

التفتت خلفها والتقطت منه المفاتيح بعد أن ألقاهم لها في الهواء.

دلفت إلى عيادتها وجدت مريم جالسة على مكتبها:

- مريم صباح الخير

- صباح الخير يا دكتورة اتفضلي

- فيه النهاردا أي جلسات؟

- لا يا دكتورة في أربع كشوفات بس

- خلاص ما تاخديش مواعيد أكتر من كدا

- مدام ميس اتصلت وجاية

- أوك أول ما تيجي دخليها على طول

ألقت بنفسها كحجر ألقي ببركة مياه أصدر صوتًا خافتًا ثم أصدر دوامة تتلاشى تدريجيًّا.

بأي دوامة تقع سلمى؟!

وأي ألم تصدره دوامتها؟!

❋ ❋ ❋

- 4 -

- تاني يا ماما! قصدي خامس! انتِ ما بتبطليش؟ انتِ إيه ما بتشبعيش؟ عاوزة إيه تاني أكتر من اللي معاكِ؟

- الزمي حدودك معايَ واتكلمي باحترام، أُمال انتِ فاكرة الكلية اللي انتِ فيها دي هادفع لك مصارفها ازاي؟ بعد ما شبعتِ من العز والهنا اللي عيّشتهولك جاية بتلوميني دلوقتي!

- ماما حرام عليكِ، سامر بعد عني بسببك بيقول لي إن باباه عرف يعني إنك.....

لم تستكمل حروفها حتى تلقت نور وابلًا من الصفعات على وجهها، بلا رحمة ولا شفقة

أي رجل هذا تتحدث عنه ابنتها، فقد عرفت من الرجال ما لا يقل عن الخمسة والعشرين رجلًا إن لم يكن أكثر!

لم تكن تفعل شيئًا محرَّمًا (هكذا تعتقد)، كانت تتزوج بالسر لتنال من ثروات رجال الأعمال وكبار رجال السياسة وتأخذ ما يخرج من ذممهم من شيكات أو عقارات على سبيل الإهداءات والهبات، وما تلبث أن تنهي مهمتها مع كل منهم ويتوقف عطاؤه، ترسل فاعل خير إلى زوجته للتشكيك به وكشف علاقته معها وخيانته، فسرعان ما يُنهي الزيجة بطلاق سريعٍ دون الالتفات للخسائر المادية كي يستطيع إخماد نيران غيرة أم الأولاد!

يتم تمزيق عقد الزواج مخلفًا ثروة لا بأس بها لصاحبة الحظ الأكبر (الليدي سمر) كما يدعونها.

ولم يكن يكفيها ذلك!

فتعاود من جديد، البحث عن أحدهم، أكثر وسامة وأكبر سنًّا، وربما تشتاق يومًا إلى الأصغر سنًّا، تشتاق إلى شبابها، تحتاج لتدليلها، صفقات تُعقد من قبل طرفين كل منهما مستفيد،

تلتهم الأموال من كبار السن ثم تلتقط أحد الصغار تقضي أوقاتها معه ويطلقها مقابل بضع آلاف جنيهات مقابل أن تعود صبية ولو بالكذب.

هل هو المال؟! هو من يتحكم بالرغبات، هو من يتحكم في مبادئ البشر!

هي كجوهرة ماسية جميلة حقًّا، لم تزرها الشيخوخة حتى هذا الوقت، لكنها قطعة ماس بمزاد علني، من يدفع أكثر ربما سيحصل عليها، يتصارعون إلى الدفع والزيادة، ويأتي مساءً في الخفاء من يجلس بجانبها، يأتي من ليس معه ربع ثمنها، عشمًا في أن يقتص منها ولو جزءًا، هي فقط ترى جمالها في التفاف الكثير حولها.

سقطت نور أرضًا، لم تحتمل صفعات أمها.

هي من تستحق الموت، لكن كيف سأقتلها؟!

هي من تقتلني وتحطمني، لم أجرؤ يومًا على فعل ما تفعله، لم أعرف بحياتي سوى سامر، كيف أن تكون هي أمي، ولمَ تغافلتُ عن أفعالها طيلة سنواتي الماضية؟

أهو المال! أهو الفقر؟! ليتني اخترت العيش مع أبي -رحمه الله- لكنت مثل أختي سلمى، لسافرت معهم، لكان مصيري كمصيرها، أتزوج من أريد وأعمل مثلما أحب،

لكنها تعطيني المال ببذخ وتأخذ مني سمعتي، وكرامتي.

كل شيء حصلت عليه كان ثمنًا لقبولي الذي تراجعت عنه اليوم بعدما أفاقتني كلمات سامر.

كانت تتحدث داخل نفسها، في صمت يدوي بدموع، دموع الخيبة!

- انتِ تخرسي خالص وتسكتي وسامر دا ما اسمعكيش تتكلمي عنه، تنسيه، أبوه مين دا اللى يتكلم عني، انتِ تعرفي كويس إني ما باعملش حاجة حرام، إيه يعني باتجوز؟ هو الجواز حرام، وبعدين أنا مهنياكِ على الآخر، عربيات وفسح وجامعة أمريكية وتحضير رسالة، خليتك أحسن من عيشة أختك وأبوكِ، عيشة ما تحلميش بيها، ومصاريف مغرقاكِ بيها من ساسك لراسك ما فيش مرة طلبتِ مني طلب وقُلت لك لأ، وتكوني عارفة إن خطوبتك هتتم الشهر الجاي هتتم على أيمن ابن حسين الشوادفي، الراجل تقيل قوي، رجل أعمال وبيسافر برًا يعني فلوس بكل العملات وكل اللي تحلم بيه أي بنت زيك وهيتعمل لك فرح ما اتعملش في مصر كلها الراجل دا هيتقلك بالدهب والماس وهيكتب لك مؤخر بمليون جنيه، وابقي اطلقي زي ما انتِ عايزة بعد كدا وانتِ وشطارتك يمكن تاخدي منه أكتر من المؤخر، انتِ الكارت الكسبان، انتِ اللي تقدري تجيبي اللى انا ما قدرتش أجيبه علشان انتِ هتتجوزي شرعي وقدام كل الناس ولولايَ ولولا معارفي وعلاقاتي ما كانش ييجي لك فرصة زي دي.

اختنقت بدموعها، وصمتت، وتكورت أرضًا في إحدى الزوايا الملقاة بها، صار جسدها يرجف بشدة، بنت الخامسة والعشرين عامًا أحست بالغربة مع أمها، لم تعتقد يومًا أن تلعب بها أمها كورقة أكثر ربحًا، تشتري بها الكثير، وتكون هي مصدر أكبر صفقة وثروة ستعم عليها بالأموال، لم تحرمها يومًا من الأموال، لكنها حرمتها الحنان والدفء، كالغريبة تحيا بجناح متطرف في الفيلا تبتعد عن زيارات المدعوين مساءً وحفلاتهم الصاخبة، وضحكاتهم الماجنة، مجتمع رث يملأه العفن لم تتمنَ يومًا الانتماء إليه.

كانت قد انتشلت بقاياها وأحبت سامر وتمنت أن تبتعد معه عن ضجيج أمها ونزواتها المسائية.

لا مكان للحب بمجتمع سمر وبيتها الذي تُفتح أبوابه مساءً، هناك متسع للمصالح والأصفار وحسابات البنوك.

في فيلتها تعقد صفقات، وتتوطد مصالح، وتنتهى مصالح أخرى، الكل يمر عليه التسلسل كقطع شطرنج، توقع واحدة تلو الأخرى.

اليوم تسحق قلب ابنتها لتدخلها ذلك العالم رغمًا عنها وتربح ابن الشوادفي وأمواله!

- اتفضلي يا مدام ميس

- صباح الفل على الناس اللي ما بتسألش.

- تعالي يا ميس يا حبيبتي وحشتيني والله، قاطعت كلماتهما قبلات متبادلة ثم تعانقتا.

- إيه يا بنتي فينك؟ أتصل بيكِ ما بترديش، آجي لك امبارح ألاقيكِ مشيتِ بدري، ما لك فيه إيه؟

تحمل ميس لدغة في حرف الراء تأكل الحرف دون أن تظهره بتاتًا وكأنه غير موجود بالكلمة مما يعطيها انطباعًا خاصًّا وشخصية مرحة خفيفة الظل.

- ما فيش أهو حبة زهق كدا

- انتِ اللي بتقولي زهق! يا بنتي طبقي على نفسك اللي بتديه للناس، هو باب النجار مخلع؟!

- سيبك مني أخبار جوزك إيه مش هتسافري له قريب والولاد أخبارهم إيه؟

- ما اظنش إني هاسافر، حاساه متغير كدا، وبيعاملني بطريقة مختلفة، أكيد فيه حد تاني في حياته.

- انتِ متأكدة، ولا بتخمني؟ ما يمكن بتظلميه يا ميس

- لا مش ظالماه، بس فجأة كدا نزل عليَّ بمطرة حنية من غير مناسبة وأنا عارفاه كويس هوا مش كدا

- مش يمكن ضميره أنبه وحب يعاملك بما يرضي الله!

- قصدك ضميره بيأنبه وعاوز يخلص نفسه من الإحساس بذنب الخيانة

- خيانة مرة واحدة! وبعدين هو متغرب علشانكو يعني أمال علشان مين؟

- ما ينفعش كل واحد فينا عايش في مكان، أنا الأم والأب لازم يشيل معايَ المسؤولية شوية؛ أنا تعبت.

- عندك حق الأب مش بنك فلوس وبس، لازم يقيم سلوك ولاده حتى لو الأم هي اللي بتربي طول اليوم.

- حجج مصاريف السكن والمدارس، ما انتِ عارفة إني طول عمري عايشة في الدوحة من أيام ما كنا في المدرسة، العيشة هنا صعبة مش عارفة اتأقلم ومش عاوز يحس باللي باقوله له.

- ما ينفعش الحياة دي لازم تكونوا سوى

- هنتكلم تاني يمكن يقتنع، المهم خلصتِ شغل؟

- آه ليه؟

- تعالي ننزل نتغدى سوى.

سكتت سلمى قليلًا تفكر ببدر الذي ينتظرها، هل ستذهب مع صديقتها أم تعتذر لها من أجله؟

- طيب استنيني يا ميس ثواني

دخلت بالغرفة الأخرى تحمل هاتفها ومعها الكارت وضغطت على الأزرار واتصلت، ثم أغلقت الخط متراجعة.

حملت شنطتها وهمت بالنزول

- هنروح على فين؟

- تعالي نروح ناكل في المطعم اللي جنب بيتي علشان العربية معايَ وهاركنها عند البيت

- اتفقنا يلا.

انتهت ميس وسلمى من وجبتهما كانت سلمى تحتاج لمن تلقي عليه بمتاعبها وتفكيرها وتحدثه بما حدث مع بدر الذي دخل حياتها فجأة، تحتاج لمن تخرج معه مشاعرها المتخبطة.

قصت عليها القصة، أفرغت همومها لصديقتها التي تعرفها منذ الطفولة، تحدثتا عن عامر وتذكرتاه سويًا، تذكرتا حينما كانا أصدقاء بالجامعة، ويوم التقته سلمى وهي بكلية الطب تنتظر ميس.

- ميس تعالي اطلعي اقعدي معايَ، اعذريني والله ما قادرة أروح مكان تاني

- لأ اطلعي انتِ ارتاحي وخدي شاور وهدي أعصابك وفكري تاني في العرض اللي عرضه عليكِ علشان دي رؤية ورسالة من عامر الله يرحمه.

- ماشي هافكر، بوسي لي الولاد، وعايزة أشوفك تاني قريب

انطلقت سلمى لتلقي بنفسها على سريرها، كانت تحتاج للراحة حقًا

كانت تريد أن تهرب من وجود بدر الذي اقتحم حياتها منذ يومين بعدما كانت خالية من اسمه ووجوده برأسها.

مرت خمس عشرة ساعة نومًا متواصلًا لم تشعر فيه سلمى سوى أن الشمس تتسلل عبر نافذة غرفتها.

نظرت إلى الساعة، أشار العقرب الصغير للتاسعة والكبير للثالثة.

- إيه دا الساعة تسعة وربع أنا نمت ازاي كل دا.

قالتها وهي تجمع شتات نفسها مهرولة نحو حقيبتها تبحث عن هاتفها المحمول لتتأكد من الساعة على أمل أن يكون أصاب ساعة الحائط خللًا وأنها لا تزال في مساء الأمس.

- كل دي اتصالات من بدر!

دلفت سلمى عبر ممر ضيق يصلها بحمام الضيوف الخارجي، تفضل أن تغسل فيه وجهها وأسنانها حينما تكون مسرعة في أخذ حمامها دون أن يسرقها الوقت.

فتحت صنبور المياة المثبت أعلى الحائط دون أن تستلقي "ببانيو".

كانت تنتظر أن تتساقط ذاكرتها ومخاوفها مع الماء المختلط بالصابون

كانت تتمنى ولو تتطهر من ماضيها الأليم، وأن تفتح صفحات جديدة لحياتها.

فتحت عينيها فجأه، ووجدت أنها تقترب بخطًى ثابتة نحو باب الخروج من ذكرى عامر.

طردت أفكارها وارتدت ملابسها "وروب" أبيض طويلًا يغطيها ووضعت "الفوطة" المخصصة للشعر وغطَّت بها شعرها فسقطت منها إحدى خصلاتها الطويلة سهوًا على وجهها.

وما لبثت أن تذهب لغرفتها عبر الممر، دق جرس الباب.

توقفت والتفتت خلفها، تقدمت عدة خطوات في طريقها نحو باب الشقة، ثم تراجعت خطوة وتوقفت مرة أخرى.

رن الجرس مرة أخرى وسمعت منادٍ آخر، كان رنين هاتفها المحمول يصدر من بعد.

قررت أن تجيب لنداء الباب أولًا:

- مين؟

سارعت بفتح الباب دون تفكير حينما سمعت صوته كما لو كانت تنتظره، كان يرتدي "تيشرت" أبيض "وجينز" قصيرًا تحت ركبتيه، نظارته فوق رأسه، وبقدميه حذاء رياضي أبيض، عيناه الرماديتان يختلط بهما احمرار ناتج عن سهر وهالات من أسفلهما، القلق ينتاب وجهه، الغضب يتمكن منه لكنه استطاع أن يجمحه بكلماته:

- ممكن اعرف انتِ فين من امبارح؟ اتصلت عليكِ كتير جدًّا وما رديتيش عليَّ وفضلت أخبط عليكِ امبارح وما فتحتيش، اختفيتِ فين؟

صمتت ونظرت له نظرات حادة تعجبًا على أسلوبه الحاد معها،

- في إيه وانت عرفت أنا ساكنة في أي دور ازاي؟ ومين سمح لك تكلمني كدا؟

- قلقت عليكِ، محتاجك، محتاج أشوفك.

شاهد ارتباكها تراجعت خطوتين وتجمدت كبرواز خشبي قديم على الحائط الخلفي للباب، تقدم خطوتين للأمام ثم اقترب منها ثم استند بيديه على الحائط التي تستند عليه وانحنى قليلًا عليها.

أغمض عينيه وأخذ يستنشق عطرها، أطالت النظر به، غزاهما صمت طويل جعل دقات قلبهما مسموعة وواضحة، حتى سقطت جفونها وأغلقتهما، أمسك تلك الخصلة المتدلية من شعرها وأشاحها خلف أذنها ليرى تقاسيم وجهها،

وضع يده على وجنتها، ابتلعت ريقها ببطء، وأخذت تتنفس بصعوبة، كاد قلبها يخرج عن ضلوعها.

تلاقت نظراتهما، عبر الأعين من اليسار إلى اليمين، كل منهما يرسم لوحة للآخر، تفاصيل دقيقة لأول مرة يستكشفانها كل منهما بالآخر،

امتزجت الأنفاس،

توحدت،

ألقى عليها أول قبلة دافئة ، لم تستغرق سوى ثوانٍ.

ابتعد عنها،

ثم قبل رأسها.

غرق بعينيها مرة أخرى،

بهمس بطيء قال لها:

- أنا آسف أنا ما اعرفش أنا عملت كدا ازاي، حاجة جوايَ هي اللي خلتني أعمل كدا.

صمت لحظات قليلة أخرى ثم قال:

أنا باحبك يا سلمى، باحبك بجد، أنا أول مرة أحس الإحساس دا.

أذابتها كلماته، وأعادت لها أنوثتها التي فقدتها في قرارة نفسها منذ أربعة سنوات.

تركها ترتجف، كمراهقة تستدل على أول شفاه عرفتها بحياتها.

الشخص الأول، الحب الأول، النظرة الأولى؛ هي مسميات نحن ابتدعناها، هي مرادفات لاستقبال المرحلة الثانية التي يسبقها خوف من الخوض بقصة جديدة.

لكن في حقيقة الأمر تكون المرة الأولى دائمًا استكشاف لماهية الأمر،

وبعد أن تكشفه، تتقنه للمرة الثانية.

تتعمق به، وتتجرأ به، وتتشبث به أكثر، بقرار أكبر وأشد نضجًا.

كانت عالقة على آخر خطوات مدينة عامر، كانت تعلم أنه متبقٍّ فقط أن تغلق البوابة خلفها، وتدلف بوابة بدر بخطًى مطمئنة.

لم يكن حب سلمى لعامر هو الحب الأول وحسب، لكنها استكشفت الحياة معه ونضجت معه لكنه تركها ورحل ودفنت قلبها معه سنوات طويلة.

ولكن ماذا عن بدر؟!

جاء ليخرج قلبها من تابوت مغلق بلا روح ولا حياة،

أنعش قلبها، ودب فيه الروح، تمرد قلبها عليها وخرج من صندوقه ليحب من جديد.

بدر!

هل هو حلقة ربط الماضي بالحاضر!

هل هو مدخلها للعودة إلى الحياة والتمسك بخيط من الأمل!

تركها تدور حول أشكال خماسية وسداسية، وتكونت لديها أشكال متاهية.

أصبح عقلها كقبضة عشرة أصابع يدين متشابكين تاهت بدايتهم من نهايتهم.

(أعترف اليوم لنفسي، أنني أحببته رغمًا عن قلبي)

عَلِمَت أن بدر قد أحبها كما أحبته

عَلِمَت أنه انجذب لها كما انجذبت له

تيقنت أنه النصف الآخر لنصفها المعلق!

مر على أفكارها، دورتان من عقارب الساعات!

قاربت الساعة على الثانية عشر وهي في عالم آخر.

قامت وأصلحت ما يمكن إصلاحه من بقايا بكاء فاضح.

ارتدت "جينز" أسود ومعطفًا زيتي اللون فوق "تيشيرت" أسود، أصلحت خصلات شعرها بطريقه عشوائية ووضعت قليلًا من "الكونسيلر" حول الجفون، ومشطت رموشها "بماسكرة" سوداء.

ثم غطت عينيها بنظارة حفظ للنظر ربما تخفي تلك الانتفاخات المحيطة بسواد عينيها.

وصلت إلى عيادتها التي كادت أن تنفجر ازدحامًا، إثر تأجيل مواعيد سابقة.

- مريم قهوة دُبل بسرعة على مكتبي سادة، باكررها سادة، ودخلي لي أول كشف

- أوامرك يا دكتورة

مرت ساعة تلو أخرى تلو أخرى،، تنظر للساعة بشغف وكأنما تنتظر حدثًا هامًّا.

أذن للمغرب، توضأت ثم ارتدت "إسدالًا" رمادي اللون، وصلَّت فرضها، وجلست نحو القبلة:

- اللهم لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا

يا ربي تشهد أنت على قلبي وعلى حبي، يا ربي لم يدخل قلبي سوى عامر رحمه الله، يا ربي لقد تقلب قلبي على حب رجلٍ آخر ولا أعلم لمَ اختاره قلبي دونًا عن غيره؟ يا ربي أعلم أن قلب بسنت معلق به، يا ربي إني في امتحان صعب جدًّا، يا ربي لا تحملني ما لا طاقة لي به، يا ربي لقد زاد على قلبي الوجع، لقد ثقل جدًّا.

اللهم لا تجعلني سببًا لألم أحد ولا لحزن أحد اللهم أنت أعلم بما بقلبي وأنت عليَّ شهيد وبصير.

كانت تدعو من قلبها، تدعو وتتمتم بكلمات لا يعلم صداها وإحساسها سوى من تدعوه، انتهت من صلاتها وبقلبها نور يهديها إلى طريق ستسلكه.

وصلت إلى سيارتها،

أصدر الهاتف المحمول وميضًا وإشارات اهتزاز لم تعِرها اهتمامًا بالبداية.

ولكن لفت نظرها المتصل،

كانت المتصلة هي بسنت،

التصقت بمقعد السيارة، أخذت نفسًا من أعماقها، تنحنحت ثم ضغطت زر الرد:

- ألو

- ألو يا سلمى ما بترديش ليه

- ما علش يا بسنت ما أخدتش بالي من الموبايل

- عاوزاكِ ضروري يا سلمى أرجوكِ

قالتها وهي تبكي باحتراق.

صمتت سلمى وهي تعلم أنها سبب بكائها، تعلم أنها سبب جحيمها،

- طب اهدي علشان خاطري ما تعيطيش، انتِ فين وهاجي لك؟

- أنا في عربيتي على الكورنيش مكان ما كنا بنقعد

- طيب مسافة الطريق وهاكون عندك.

وجدتها تجلس في ذلك المكان الذي لم يتغير منذ أمد، كأن الوقت لم يمر عليه.

- ما لك في إيه؟

كانت منهمرة في البكاء وصوتها مختنق وكلماتها مبعثرة

- كنت دايمًا أقعد جنبكم وأنا من جوايا نفسي أحب واتحب في يوم، وأعيش قصة حب شبه حكايتك انتِ وعامر، أنا حبيت يا سلمى بس ما اتحبيتش منه.

وانفجرت تستكمل بكاءها.

- أنا مقدرة جدًّا اللى انتِ فيه، وحاسة بيكِ، هو ما قالش إنه ما بيحبكيش، بالعكس دا حكى لي قد إيه انتِ وقفتِ جنبه وقربتِ منه جدًّا، وإلا ما كانش خطبك، بس ساعات ما بيكونش الارتياح والتعود كفاية علشان نحب، هو عنده شوية مشاكل نفسية ومحتاج يتعالج، هو محتاج وقت، مافيش واحد

تعبان هيكون مستعد للحب، يا ريت تدي له وقت وتصبري عليه، قاطعتها بسنت بصوت مرتجف وعالٍ:

- أنا وبدر اتقابلنا من ساعتين، طلب إننا نفسخ الخطوبة، طول الوقت كنت حاسة إنه ما بيحبنيش بس كنت باكدِّب نفسي، ما كنتش أعرف إنه لما يقابلك هياخد القرار دا، اشمعنى لما جالك عمل كدا؟ فهميني وجاوبي عليَّ أرجوكِ.

وضعت سلمى يداها على فمها متفاجئة بقراره، أغمضت عينيها تريد أن تنسى ما حدث بينهما صباح اليوم، ثم أخذت نفسًا عميقًا أحرقها ثم جلدها ألف جلدة تأنيبًا لضميرها الذي تهاون عليها حينما أسلمت نفسها للحظاتها معه أمام الباب.

- والله ما قُلت له حاجة، أنا متفاجئة زيك بالظبط.

يحدث أحيانًا ألا نستطيع أن نهون جراح من أوجعناهم وطعناهم دون قصد، يحدث وأن نصمت لأننا لا نستطيع حتى أن نعبر بالأسى، حتى ولو كانوا ينتظرون منَّا كلمة للتخفيف أو للتبرير عن أقبح الذنوب، نصمت لأن ليس لدينا ما نعتذر به ونغسل أخطاءنا به.

وما أقبح شعورنا بالذنب!!

❋ ❋ ❋

- 5 -

عادت سلمى إلى بيتها مقررة ألا تخاطب أحدًا وتفكر وحدها وتستحضر جميع قواها لتنهي صراعات قلبها وعقلها.

جلست بشرفتها تتأمل السماء والنجوم تلمع بها، جلست تذكر الله وتستغفره وتدعوه أن يهدي قلبها دعت كثيرًا وكثيرًا.

لماذا تشعر بالذنب إلى هذا الحد القاتل، لأن قلبها قد رق! أم لأنها نقضت عهدًا ألقت فيه قلبها بين أسوار سجن عالية! أم لأن قلبها تمرد عليها وخرج من قضبانه ونبض دون أن يستئذن! أم لأنها أحبت خطيب بسنت وأصبحت المتسبب الرئيسي في فسخ خطبتهما! أم لأنها أحبت مريضها وخانت مهنتها؟!

لم تشعر بذلك الشعور مع أحد مرضاها من قبل، وتعلم أن بدر ليس مجرد حالة بالنسبة لها، وتشعر أنه حينما جاءها كان قاصدًا قلبها وأعماقها، وليس عيادتها فحسب.

ساعات وهي تنظر للسماء وتدعو حتى اهتدى قلبها للتسليم لكل شيء وترك قلبها للقدر.

نامت حيث الهروب مما تنتظره من الأقدار.

وأفاقت فجرًا على صداع إثر دموع متصببة طيلة ليلها، بحثت عن هاتفها التي تركته بحقيبتها منذ أمس.

وضعته على الشاحن وتوضأت لصلاة الفجر، ثم ذهبت تتفقد رسائلها وحسابها على "الفيس بوك".

يرتجف قلبنا حينما نجد رسالة، فماذا إذا وجدنا أكثر من ذلك؟!

صفير هاتفها لم ينقطع منذ أن ضغطت زر التشغيل، لم تستطع مقاومة فضولها وأزاحته من على الشاحن وأخذت تتفقد الرسائل واحدة تلو الأخرى.

نور:

- سلمى انتِ فين قافلة تليفونك ليه؟

- سلمى أول ما تشوفي رسالتي اتصلي بيَّ لازم تيجي دلوقتي

- انتِ فين حرام عليكِ انتِ على طول سايباني كدا انتِ السبب في اللي انا فيه.

بدر:

- كلمتك ما بترديش

- انتِ ما لكيش ذنب في اللي حصل، أنا وبسنت ما كناش هنكمل مع بعض، دخولك في حياتي خلاني أعرف إذا كانت مشاعري ليها حقيقة ولا مجرد وهم، لما اتكلمت معاكِ قدرت آخد القرار دا، قراري بعيد عنك كل البعد.

تنفست الصعداء وهاتفت نور لتفهم ما يحدث:

- أيوة يا نور صباح الخير

- كلمتك يا سلمى كتير

- ماعلش كنت نايمة في إيه خضتيني؟

وجدت صوتها مرهقًا ومختنقًا وتتحدث بصعوبة:

- ماما هتتجوز

- وإيه الجديد في كدا يا نور؟ دا الخبر الشهري ولا الأسبوعي عادي يعني

ردت تقول بحسرة وخيبة أمل:

- الموضوع مختلف المرة دي، شاب صغير، ويعرف سامر وانتِ عارفة سامر وأبوه وأطباعهم، وكمان مش موافقة على جوازي من سامر، وضربتني وقالت لي إنها هتجوزني واحد من معارفها الزبالة دول، أنا ما عدتش متحملة يا سلمى العيشة دي، انتِ سِبتيني زمان وسافرتِ مع بابا، وانا اللي بادفع تمن حياتي معاها، هي ليه بتعمل فيَّ كدا؟، طب انتِ اتربيتِ مع أب حنين لكن أنا ما شُفتش منها أي حنية واتحرمت من حنان بابا، حتى انتِ هربتِ منها وعايشة لوحدك، أنا باحب سامر ودا الإنسان اللي اخترته ومش هاتجوز غيره لو موتتني.

- انتِ عارفة كويس إن مش بإيدي إنى عشت مع بابا، ماما هي اللي سابتني وخدتك، وأنا ما كنتش هاقدر أعيش معاها، كان لازم أهرب من كل الذكريات، وكمان تصرفات ماما غير طبيعية، وما حدش يقدر يقف قدامها، وسامر لازم يعرف إنك مش مسؤولة عن التصرفات دي، تعمل اللي تعمله، لكن موضوع إنها تجبرك على الجواز، دا اللي حقيقي مش قادرة أفهمه، ما دام هي بتعمل اللي يريحها ليه بتغصبك على شخص انتِ مش عايزاه؟!

- علشان فلوسه وعملاته وهيدفع أكتر

- طب ما تتجوزه هيَّ!

- شافني أنا وعجبته، رسمت عليه في حفلة من حفالاتها اللى بتعملها في الفيلا، كنت راجعة من برَّا وطالعة أوضتي، اتفاجئت إنه عاوزني بس طبعًا داخل بتقله قوي، ولما رفضته اتمسك بيَّ أكتر، وعدها بهدايا مقابل إنها تجيب موافقتي، أصله عاوز بنت صغيرة وما اتجوزتش قبل كدا وما كانش مصدق إني ما ليش تجارب.

- نور لمي هدومك وتعالي، كفاية بقى القرف اللي عشتِ فيه دا، تعالي نسافر أنا وانتِ.

- نروح فين

- نروح الدوحة نعيش أنا وانتِ مع بعض زي زمان، أنا أصلًا النهاردا كنت مقررة أعمل كدا، هاكلم أي حد من معارفي أو معارف بابا يشوف لنا بيت كويس.

- ما ينفعش يا سلمى ما ينفعش أبدًا أنا فيه حاجات بتربطني بسامر ما اقدرش أبعد.

- حاجات زي إيه؟

- أنا وسامر اتجوزنا من 3 شهور، وصمتت لثانيتين وأكملت:

- وحامل منه

- يا نهار اسود اتجوزتو؟ يعني إيه اتجوزتو؟ وحامل كمان وساكتة، إزاي كل دا؟

- عاوزاني أعمل إيه يا سلمى ما كانش قدامي حل تاني.

- اتجوزتو ازاي؟

- عند مأذون.

- إزاي تعملي كدا من غير ما تفكري، إزاي ما تحطيش لنفسك كرامة، لما أهله يعرفوا أكيد طبعًا هيرفضوا، مش معنى إن أمك متهورة تبقي زيها.

- هو خاف إن ماما تجوزني بجد، وخاف نضعف ونعمل حاجة غلط وحرام.

- تقوموا تتجوزوا من ورا أهاليكم؛ دا غباء، إزاي ما كلمتنيش، لازم البيه بتاعك يفاتح أهله في الموضوع وتتجوزوا قدام أهله، وسيبي موضوع ماما دا عليَّ أنا، أنا هاجي لكم النهاردا.

تناولت إفطارها على مضض، فلا شيء يجلب الشهية في هذا اليوم، ولا تعلم ماذا ستفعل مع قصتها ببدر وبسنت، لو جلست تفكر فقط، ستظل ساكنة بلا حراك، يجب أن تفعل شيئًا من أجل من تحبهم، ستذهب إلى والدتها وشقيقتها لتحسم أمرهم، ستغادر هذا البلد بجميع الذكريات والماضي والحاضر، يكفيها ما عانته منذ أن عادت من الدوحة مع والدها، كانت أيامًا هادئة تلك التي عاشتها معه فترة الثانوي حتى استقرت بمصر لتدخل الجامعة وتلتقي بعامر بعامها الأول، حتى توفى والدها بعد وفاة عامر بشهور قليلة، وظلت تقطن وحدها بشقتها.

عانت من الفقد منذ أن عادت إلى تلك البلد التي استنفدت طاقة صبرها، حتى بعد أن قدرت على العيش والتأقلم، جاء بدر بذكريات تحمل رائحة عامر وتجلدها جلدًا دون رحمة، جاءتها أختها تلومها على بعدها عنها منذ أن أخذها أبيها -رحمه الله-.

وها هي نور بررت فعلتها وزواجها من سامر بسبب بعد شقيقتها عنها، وجاءت بسنت تفسخ خطبتها بسبب حب بدر لها، لماذا هي سبب جميع مآسي الجميع من حولها!.

ستحاول أن تنقذ الأمر وتغادر يجب أن تفعل شيئًا، لتريح عذاب ضميرها.

انتظرت حتى تستقيظ أمها، أخذت سيارتها واتخذت الطريق للبيت الذي قلما تزوره،

رغم اتساعه وفخامة أثاثه وذوقه العريق ورغم أنه بمكان راقٍ جدًّا إلا أنها لا ترتاح أبدًا حينما تذهبه.

بعد عدة طرقات، فتحت أمها الباب:

- سلمى، ازيك يا حبيبتي

أجابتها بشيء من الجفاء:

- إزيك يا ماما، نازلة تفتحي لي بنفسك، أمال الخدامة بتاعتك فين.

- فوق بتعمل لي قهوة، تعالي يا حبيبتي جيتِ في وقتك والله، كنت هاكلمك تيجي النهاردا.

- ياترى خير المرة دي حفلة جواز ولا طلاق؟

ضحكت ضحكة تصدر فقط من سمر هانم كما يطلق عليها رجال وسيدات الأعمال في حفلاتهم الساقطة.

- جواز يا حبيبة مامتك، هو أنا أقدر أعيش من غيره، عقبالك انتِ كمان، كفاياكِ أسود يا حبيبتي، عيشي حياتك انتِ لسَّا صغيرة، حبي واتجوزي، الرجالة كتير اهم.

- لا يا ماما أنا ما باغيرش الرجالة زي ما باغير جزمتي، أنا مش متخيلة يعني إيه كل شهرين مع راجل بمبرر إني ما باعملش حاجة حرام ولا غلط؟ ناقصك إيه تاني يا ماما؟، فلوس وبيوت وعربيات وأراضي، عايزة إيه تاني؟؟

- وماله لما يبقى عندي أكتر، الفلوس حلوة وبتشتري كل اللي عاوزينه، علشان كدا ما اتفقتش مع أبوكِ، لأنه روتيني وتقليدي وأنا بازهق عاوزة اتجنن واحب الحياة، أنا باتجوز علشان أعيش حياتي، وعمري ما غصبت أي واحد فيهم إنه يكتب لي حاجة باسمي همَّ اللي بيركعوا تحت رجلي يتمنوا يعيشوا معايَ، بس خلاص قُلت أفكر في انبساطي وبس هو أنا هاعيش كام مرة يعني يا سلمى؟

- آه يا ماما هتعيشي مرة واحدة، تقومي تخلصي فيها على رجالة مصر كلهم من كبيرهم لصغيرهم؟ ويا ترى مين العريس المرة دي؟

- هتشوفيه، شباب ورجولة وحياة، هنتجوز ونتبسط ونعيش يومين، مش لازم فلوس المرة دي، إيه يعني لما اتبسط مع شاب صغير.

- مش عاوزة اشوفه، ربنا يعينك على نفسك، أتمنى في يوم ترجعي لربنا وتفوقي وتعرفي إني أنا وأختي مربوطين بأفعالك وتصرفاتك بس انتِ مش هتقتنعي بكدا، براحتك، بس من فضلك نور لأ، ما لكيش دعوة بيها.

- انتِ اللي ما لكيش دعوة بيها يا سلمى لا انتِ عِشتِ عيشتنا ولا شُفتِ حياتنا ولا تعرفي أنا عملت إيه علشان أعيشها العيشة دي، أقل رد جميل ليَّ إنها تطيعني وتسمع كلامي، أنا باختار لها الراجل اللي يحول أحلامها حقيقة، يخلي لها التراب دهب، مش هتعوض الفرصة دي،

ثم نظرت لها نظرة بضحكة خبيثة واستطردت قائلة:

- ولا لما انتِ سمعتِ عنه اتمنيتيه ليكِ!

- لا يا ماما أنا ما باتجوزش علشان الفلوس، ولا علشان مزاجي، أنا مش زيك.

ضحكت سمر ضحكة صاخبة، مستفزة، أرادت سلمى أن تصفعها لتفيقها من سرابها لتخلع عنها قناع الأنانية والمجون.

- هو أصلًا دا مش مناسب ليكِ، هو عاوزها بنت مش أرملة، نور اللي هتفوز بالجوازة دي.

- بصي يا ماما مافيش فايدة انتِ حرة في تصرفاتك بس اللي عاوزة أقولهولك، إن الصفقة ما نجحتش معاكِ المرة دي، يا خسارة، ولا العيل اللى هتتجوزيه المرة دي هتطلعي منه بمصلحة، ولا العريس اللي انتِ جايباه لنور مناسب ليها لأنها ما بقتش بنت خلاص، بنتك اتجوزت سامر من وراكِ وسلمت له نفسها بكل سذاجة وسهولة، وحامل منه، وآدي نتيجة جريك ورا الرجالة والفلوس والجنان والحياة، انتِ السبب في اللي حصل، إهمالك ليها خلاها تروح تدور على الحنان والاهتمام في حضن راجل غريب استغل ضعفها وقلة حيلتها، الفلوس مش كل حاجة، هتصلحي الغلطة دي ازاي بفلوسك يا سمر هانم؟.

رغم قساوة قلبها، وجمودها، إلا أنها لم تتوقع يومًا من نور التي تحمل كل معاني البراءة أن تفعل مثل هذا التصرف، لم تتوقع أنها ستتزوج سرًا، لم

تتوقع يومًا أنها كانت من الممكن أن تنحرف وتفسد أخلاقها في حضرة الرجال المختلفة الأعمار والأعراق الذين تزوجتهم وترددوا على بيتها.

حقيقة أن الفتاة تكسر ظهر أبيها وأمها مهما فسدت أخلاقهما، كيف خرجت عن طوعها؟ كيف فعلتها دون أن تشعر؟!

لم يحرك سكونها، ظلت شاردة، لم تنطق، توقعت سلمى أنها قد أصابها شلل مؤقت، فغالبًا تحدث هذه الحالة في الصدمات، وتعلم أنها لن تظل بتلك الحالة كثيرًا، تعرف أن سمر أقوى من الصدمات بكثير.

يبدو أن الزجاج القوي مهما زادت قوته فهو هش، عرضة للكسر بسهولة!

تركتها وذهبت لغرفة نور التي كانت تتلصص من خلف الباب تستمع لأختها، فتحت الباب وجدها وافقة خلف الباب مباشرة

- نور كلمتِ سامر؟

- أيوة كلمته.

- خليه يبلغ أهله بإنكم اتجوزتوا ويا ريت الموضوع دا يتحل وييجي يتكلم مع ماما وتتنقلوا شقتكم

- مش هينفع ييجي يا سلمى

- يعني إيه؟

- يعني خلاص ماما عرفت وأهله رافضين، أنا وسامر هنسافر ونعيش لوحدنا.

- والعيلة يا نور ما عادش فارق معاكِ أي حد؟

- ما يتهيألیش إنها بقت فارقة يا سلمى ماما بتتجوز عيل وانا مش هاعيش تاني في البيت دا خلاص

ربتت على كتف أختها، كادت أن تستئذن لتذهب إلى بيتها، إلا وقاطعتها الخادمة:

الحقي يا ست نور، سمر هانم مغمى عليها.

❋ ❋ ❋

- 6 -

في الطرقة التي تؤدي إلى العناية المركزة تبكي نور، وسلمى تتمالك ما تبقى من قلبها، تشعر أنها دائمًا السبب في ضياع من حولها.

أخذت تتمتم في خفوت وتدعو الله أن ينجيها ويعفو عنها ولا يقبض روحها في عصيان وذنوب وأن يعطيها العمر لعلها تكون التوبة والرجوع إلى الله.

- بجد يا دكتور في أمل إنها تعيش؟

- احنا عملنا اللي نقدر عليه، الحمد لله النبض مستقر، والجلطة الحمد لله لحقناها وأخدت العلاج اللازم، المشكلة إن بقالها كذا ساعة في غيبوبة، الصدمة كانت شديدة أدت لجلطة دماغية والغيبوبة مدتها ما نقدرش نحددها لحد ما تفوق، ادعوا لها تقوم بأسرع وقت علشان تبدأ جلسات العلاج الطبيعي لأن الأطراف اتأثرت وهتتحرك بصعوبة.

أرخت رأسها للأسفل وأجهشت بالبكاء، وألقت نفسها بين ذراعي أختها.

ساء الحال بالعيادة الخاصة بها، لم تعد تذهب كالسابق، وتأجل الكثير من المواعيد، مر أكثر من أسبوعين وهي تمكث مع نور بالبيت ويتبادلان الأوقات للذهاب إلى المشفى بعد أن انتقلت سمر إلى غرفة عادية وتركت العناية المركزة، فهي بالكاد تشير إليهم برفع يديها اليمنى، والكلمات تخرج من شفتيها كالصخور.

توالت الزيارات في الأيام الأولى من معارف سمر كانت تشيح بوجهها كلما رأت إحدى صديقاتها أو أحد رجالها المعجبين الذين كانوا على علاقة وطيدة بها،

حتى انهارت ذات يوم وأصدرت أصواتًا غير مفهومة تشير إلى عدم رغبتها بلقاء أحد.

لا تعلم الفتاتان هل هي هاربة من مواجهة أصدقائها بهذا الضعف بلا مساحيق بلا أحذية ذات كعب عال وشعر مرتب أشقر، أو ربما نادمة على كل حياتها وعلاقاتها وتريد أن تتطهر من حياتها.

جلست سلمى بجانب أمها تتلو عليها آيات من القرآن بخفوت وتدعو لها وأقامت صلاتها وما لبثت أن أنهتها، وجدت سمر تتحدث بثقل شديد، استطاعت أن تبعثر كلمات مبهمة من بين شفتيها، حتى ترجمتها سلمى: (عاوزة أصلي)

استطاعت أن تحرك أجهزة السرير لتضعها في وضع الجلوس، جلبت لها طبقًا من الماء ومسحت على يديها ورأسها تساعدها على الوضوء، ثم غطت شعرها بوشاح أزرق كبير غطى جسدها وتركتها تصلي بقلبها وجوارحها.

ذهبت سلمى إلى غرفة الطبيب المسؤول عن حالتها لتسأله:

- طمني يا دكتور نقدر نخرج إمتى؟

- مش أقل من أسبوع كمان، وطبعًا أنا باقول إنها تفضل هنا تحت الملاحظة والعلاج الطبيعي أفضل بس دا هيكون مكلف جدًّا، خليني أشوف لكم ممرضة تروح معاكم البيت، ونوفر أجهزة العلاج الطبيعي، بس فيه أمل إن شاء الله تتحسن وترجع زي الأول وخصوصًا بعد ما بلغتيني إنها صلت وبتستجيب.

بالعيادة كان كالمجنون يبحث عنها لكنه لم يجد سوى مريم، أسبوعان على نفس الحال.

- والله يا أستاذ بدر ما فيش أخبار جديدة عنها من ساعة ما والدتها تعبت كلمتني مرة واحدة وقالت لي ما اسيبش العيادة خالص وأأجل كل المواعيد لحد ما تفضى وسمر هانم تقوم بالسلامة، أكتر من كدا ما اعرفش وانا هابلغها إن حضرتك جيت، هي بس تتصل أو تيجي وهابلغها

- رقمها مقفول أنا محتاج أكلمها ضروري، لازم أشوفها.

قاطعه عبيرها الذي ملأ المكان وروحها التي أخفقت قلبه رغم ذبول عينيها ووجنتيها اللتين لاحظهما منذ النظرة الأولى:

- سلمى! أنا مش مصدق إنك قدامي، انتِ فين كل دا؟

أجابت بنبرة كلها تعب ومشقة وحزن: ماما تعبانة، بقالنا شهر في المستشفى، وكل حاجة متلخبطة.

- جيت لك كتير، وكل يوم كنت باكلمك بالاقي تليفونك مقفول، آخر ما زهقت رُحت لك البيت، قالوا لي إنك مش موجودة، ليه اختفيتِ كدا، أنا السبب صح؟

عرفت أنه سيشير إلى ذلك اليوم الذي التقاها أمام باب شقتها، لم تكن بحال يسمح لها بضغط عصبي أكثر من ذلك.

نظرت له نظرة لوم على وجود مريم في صالة استقبال العيادة ثم دعته للدخول بالمكتب.

- تعالَ يا باش مهندس ادخل المكتب اتفضل.

دلفا عبر باب العيادة وأغلقه خلفه، جلست على كرسي الضيوف المقابل لمكتبها وجلس هو بالكرسي المقابل لها.

- موبايلي ضاع مني أيام تعب ماما، ما لحقتش أطلع خط تاني،معايَ موبايل قديم مؤقتًا، أنا بقالي شهر ما بانامش.

ثم شردت بعينيها وأكملت:

أول مرة أحس بأمي، أغير لها، أنيمها، أقومها، أتكلم معاها، حاسة إنها بقت حد مختلف، خايفة تقوم من تعبها، ونفسي تخف تاني،

عارف يا بدر أنا محتاجاك للدرجة اللى مخلياني مش عاوزة أقرب منك، بلاش يا بدر، كل اللي بيقرب مني بيتئذي.

- كنت حاسس بيكِ وانتِ تعبانة يا سلمى، هتصدقيني لو قُلت لك إني حاسس إن اللحظة دي أنا شُفتها قبل كدا كأننا اتقابلنا في مكان تاني وفي زمان تاني، فيه حاجة بتربطني بيكِ، أنا وانتِ محتاجين بعض، ادينا فرصة علشان خاطري، اديني فرصة أفتح قلبي واحكي لك.

أشاحت بعينيها الدامعتين، ثم قالت:

- طيب وبسنت يا بدر؟!

- أنا فسخت خطوبتنا خلاص

- ليه عملت كدا؟

- مش قادر أكمل معاها يا سلمى، مش حاسس ناحيتها أي مشاعر، لما شُفتك عرفت يعني إيه أرواحنا اتلاقت، عرفت يعني إيه شوق ولهفة وقلبي

يدق، ما تهربيش مني، انتِ كمان حسيتِ كدا، أيوة رعشة إيدك دي، وهروب عينيكِ من عينيَّ، انتِ كمان حسيتِ بحاجة بينْنَا، فيه حاجات بينْنَا ما حدش فينا ينفع ينكرها.

- أنا السبب في كل اللي بيحصل دا.

- ما تقوليش كدا، انتِ ما لكيش دخل في اللي حصل، عايز اتكلم معاكِ بهدوء.

التقط قلمًا من على مكتبها وكتب أرقامًا

- رقمي أهو تاني لو ضاع منك، علشان خاطري اتصلي عليَّ هاستنى تكلميني.

* * *

مرت الأيام سريعًا، استطاعت سلمى ونور أن يوفرا لوالدتهما غرفة بالمنزل مجهزة لراحتها الصحية والنفسية.

توطدت علاقة سمر وسلمى على عكس السابق، مرت أيام استطاعت سمر أن تتحدث بكلمات قليلة جدًّا لكنها أفضل مما سبق.

وجدت والدتها جالسة بغرفتها هادئة مبتسمة بجوار نور، فقالت:

- ماما أنا عايزة أسافر، ما عادش ينفع أقعد هنا أكتر من كدا، أنا اتطمنت عليكِ، جهزت ورق السفر وفي خلال أسبوع هاكون في الدوحة بإذن الله، ما تشيليش هم حاجة، كل أول شهر هابعت لك مبلغ كويس، مش عاوزاكِ تحتاجي حاجة من أي حد.

ردت عليها نور بتأثر:

- ما صدقنا اتجمعنا هنتفرق تاني؟

- سامحيني يا نور أنا ما ارتحتش في مصر خالص، هابعد عنكم غصب عني.

أطرقت الأم رأسها خجلًا، وسقطت منها دمعة حارة.

حاولت سلمى تغيير الموضوع المتسبب في انتكاستها:

- مش عايزاكِ تقلقي على نور يا ماما، سامر إنسان محترم جدًّا، خلينا كلنا نبدأ صفحة جديدة وناخد فرصة تانية.

جنون الحب، الولع، الاشتياق، جميعها أشياء تقودنا لفعل أشياء أخرى لم نكن لنفعلها إن كنا على سجيتنا، ذلك ما حدث مع نور حينما اختارت سامر وأسلمته نفسها، حينما جعلته يأخذها من الحياة، وهبته نفسها، جعلته كل حياتها، أغلقت دائرتها الصغيرة عليهما حينما وقف بوجه أهله، أخذهما الجنون وهربا إلى شرم الشيخ، حيث قريته السياحية التي كتبها والده باسمه قبل سنوات ليدير أنشطتها، حملت نفسها بعيدًا عن الذكريات، بعيدًا عن فيلا سمر التي كانت حطبًا في اشتعال نار عائلة سامر ضده، أخذته وجنينها التي تحمله منه، وذهبا ليعيشا سويًّا بعيدًا عن كل شيء.

بعد أن علم والده بزواجه، ازداد الأمر تعقيدًا، سحب جميع أرصدته من البنوك بتوكيل خاص كان قد حرره له سامر من قبل، لم يعد لديه سوى سيارته وشركته الخاصة، كان الأمر ببدايته كالحرب التي اندلعت بتحدٍ واضح، كان يعلم أنه يقف بوجه من لا يرحم، لم يفكر يومًا أنه سيحرمه ماله، واليوم قد عرف أنه سيحرم أيضًا من إرثه، يحمد الله أن السيارة

والفندق لا يزالا باسمه، ولديه حساب خاص ببنك آخر لم يعلم عنه أبوه شيئًا.

حول جميع أمواله في البنك باسم نور، حتى ينتهي من إلغاء التوكيل،

أصبح كل همهما أن يبدأ كل منهما من الصفر سويًّا، كان الأمر مُرهِقًا بعدما كان مدللًا، ولأن الوقت لم يكن بموسم الصيف، وبعد أحداث متكررة أصابت السياحة بالعجز، كان الوضع سيئًا، كانت الأموال التي يستند عليها لا تكفيه رفاهيته من الحياة التي اعتادها واعتادتها هي الأخرى.

سخط على قلبه، سخط على جميع الظروف التي ألقت به بعيدًا عن قفص عائلته التي كان ينعم فيه بأمان الأموال والعمل الناجح والمنصب.

لكنه يعلم أنه كان مقيدًا بسلاسل تكبل عنقه، تجرجره أيما يريد أبوه أن يأخذه، يظن أنه يظلله تحت جناحيه، رغم أنه ابن الثلاثين، ما زال يدلله كصبي في الخامسة، ما زال يعاقبه بحرمانه من سيارته إن لم يستجب لأمره، ما زال يجبره أن يفعل أشياء لا تليق برجل، حتى وأنه قد اختار فتاة ليزوجها له دون أن يرجع لرأيه، يرى دومًا أنه يفعل الصواب ويختار له الأصلح، حتى تحرر في حب نور، تحرر في طهرها وبراءتها، التقى كل منهما في قفص مختلف، كان لا بد وأن يتحرر العصفوران، ليحيا معًا بعيدًا عن الأقفاص.

الثورات التي تشعلها النساء، هي أجرأ، وأعظم.

نال بها حريته، وستجعل منه إنسانًا يحيا كيفما يشاء.

❋ ❋ ❋

- 7 -

نظرت من نافذة الطائرة التي ابتعدت عن مياه النيل والبيوت المتقاربة البنية، بدأت ترى مساحات من الصحاري والجبال، تنفست الصعداء وشعرت برجفة تسري بأوصالها.

كانت رهف صديقة طفولتها تجهز لها عملًا جيدًا بمستشفى كبيرة، هل يا ترى ستتأقلم من جديد؟!

كانت تفكر وترد على تساؤلها،

ولمَ لا!

مر أسبوع، أخذت جولة عميقة بشوارع الدوحة، توسعت المدينة بشكل لا يصدق، أصبح بها الكثير والمتسع من الطرق والكباري، والكثير من البنايات الشاهقة، ربما التطور قد محى الكثير من ذكريات طفولتها مع والدها، لكنها استطاعت أن تذهب لمدرستها السابقة وتلتقط بعض الصور وتسلم على معلماتها التي لم تجد إلا القلة منهم، تلك الأشياء الصغيرة أنعشت قلبها وذاكرتها بعبق الماضي وذكرياتها البعيدة.

ثم ذهبت إلى الحي الذي تربت ونشأت به، ما زالت البناية التي كانت تسكنها كما هي، ما زالت الشرفة تغطيها نفس الستائر من الخارج، مر على أنفها رائحة البيت، وحضن أبيها، بكت رغمًا عنها، تمنت أن تصعد وتسأل عن حال أهل البيت لعلها تجد بعضًا من ذكرياتها، كيف لم تتغير الستائر بعد مرور أكثر من عشرة أعوام! كيف مرت بالفعل عشرة أعوام!!

فواصل زمنية سريعة أم بطيئة؟ كيف نتغير بهذا الحجم من التغيير!

لم تنقطع اتصالاتها بكل من نور ووالدتها كل منهما على حدة، وتتحدث مع كل منهما صوتًا وصورة، تشاركهم وتريهم شوارع البلدة التي تجولها بمكالمات فيديو.

نور قد تركت والدتها رغمًا عنها لتعيش مع زوجها الذي خسر الكثير من أجلها، كان على كليهما التضحية، لا تراجع في قرارهما.

كانت الممرضة نرجس تقيم مع سمر بالمنزل، أحست بالوحشة والفقد شعرت بالوحدة، فجاءتها أختها الصغرى وابنة أختها ذات الخامسة عشر عامًا لتعيشا معها، سمر تستطيع تغطية راتب كل من فاطيمة الخادمة ونرجس الممرضة، لكنها لن تستطيع شراء ود وحب ابنتيها اللتين حان الوقت لتذهب كل منهما إلى رغباتها.

لمَ عليها أن تحزن؟ أليست هي من كانت تتحدث عن رغباتها وحبها للحياة؟

كل واحدة منهن بريعان شبابها، إحداهما تريد أن تحيا مع من أحبته والأخرى تريد أن تعمل مثلما كانت تحلم.

ألم تأخذ سمر من الحياة ما كانت تريد وأكثر؟

ها قد جاءتها أختها أمل لتحيا ببيتها الكبير كي لا تشعر بالوحدة وترد جميلها لسنوات طويلة، كانت أمل أرملة مُذ كانت ابنتها تحبو، وكانت سمر ترسل إليهما راتبًا شهريًّا يكفيهما لمعيشة هانئة، لم تستطع أمل أن ترى أختها وحيدة وتتركها، جاءت لتساندها بمحنتها ومرضها

الخير لا يذهب، الخير سيعود يومًا!!

والذنوب تغفر ما دام هناك رب غفور رحيم.

* * *

استقبلتها صديقتها رهف أفضل استقبال، وأعدت لها غرفة بجانب غرفتها بالفيلا التي تقطن بها وعائلتها، حتى أتمت إجراءاتها الخاصة بالإقامة الجديدة، وأنهت الفحوصات الطبية، واجتازت اختبارات القيادة وحصلت على رخصتها الجديدة وكانت قد أخذت لها رهف موعدًا للقاء بمدير المستشفى الذي يمتلكها أخوها رجل الأعمال رائف عبد الله.

أنهت المقابلة على القبول بجدارة بوظيفتها الجديدة، كأخصائية أمراض نفسية وأتاح لها مالك المشفى فرصة لا تعوض، ستستكمل دراستها حتى تحصل على درجة الدكتوراة بعد أن تقاسمت "الشِفت" الصباحي ثلاثة أيام بالأسبوع لزيارة مختلف المدارس وأن تقضي باقي دوام العمل ظهرًا للعمل بالمستشفى الذي يمتلكه رائف عبد الله الذي يحمل خليطًا من الجنسيتين المصرية والقطرية سويًا فالأخيرة ترجع للأم، وتغلب عليه طباع الرجل المصري مثل والده برغم مظهره الخليجي أو العربي كما نطلق عليه.

كانت أيام غيابها أشبه بالكابوس على بدر، زار فيها أطلال عيادتها المغلقة، معتمة، لا روح فيها ولا حياة.

لماذا سافرت دون أن يعلم؟ دون أن تخبره؟ دون أن يفتح لها قلبه المشقوق؟ انتظرها ظنًا أنها تفكر بالأمر، لعلها تهدأ حين تعلم أنه لم يعد لديه أي

ارتباطات تجاه بسنت وأنها ليست المسؤولة عن فسخ الخطبة وأنه لم يعد بحياته سوى حبه لها.

ألم يكن من أبسط حقوقه أن يودعها!

تركته تائهًا في دنياه بعد أن ارتاح قلبه للقائها، ينام دون أن تهتز له أجفان، يبكي بلا دموع، يتأوه بلا صوت.

زادت آلام قلبه، وأحس بانتكاسة مرضه تعود من جديد بعد تحسن شهده عامين ونصف العام.

أسبوعان آخران حتى أفاق من انتكاسته، وبدأ يتعامل مع الأمر شيئًا فشيئًا.

شهران آخران حتى قررالمكوث بشقته وحده، سرت بجسده برودة طفيفة حينما تذكرها وسافر بخياله حيث تكون، ترى سمعت بمرضه أم أنها لم تحاول أن تسأل عن أخباره مثلما يفعل؟

(كنت أعلم أنني أثب بخطًى ثابتة في طريق البعد عنكِ، كنت أعلم أني أحتضر بكل الأعراض التي تداهمني، حرقة القلب واتقاده من أبشع أعراض الفراق والاشتياق الجارف، أجول في الطرقات كالمجنون لعل نارك تنطفئ، فلا مهرب منكِ إلا إلى ذكراكِ، تزداد نيراني اشتعالًا، ربما الأيام ستقدر على إخماد ثورات قلبي، لكن من سيصلح الخراب الذي نسف قلبي سواكِ؟

ليس لي أحد سواكِ يا سلمى قادر على إشعال أضوائي المعتمة، أحتاجك أنتِ فقط، ما زال عطرك عالق بي، وأنتِ الغائبة عني، ما زلت أعيش معك أيامًا لم أعشها! لماذا اختفيتِ عني كالسراب؟، كنتِ حلمًا عشته، وانتهى بين

عشية وضحاها، لدي من الكلمات ما لم أقُلها لكِ، لدي من الأشياء الصغيرة والكبيرة ما لم أفعلها معكِ، لدي من الأوقات كثيرًا كانت مؤجلة لأقضيها برفقتك، فكيف سيكون فراقك هينًا؟، وكيف سأعيش مع هذه الحرقة المشتعلة بصدري؟!!)

أي عشق يفعل بنا هذا؟ أي عشق يقلب أحوالنا رأسًا على عقب؟، يقسم لنفسه أنه لم يذق الحب يومًا قبلها، يشعر أنه قد أحبها من قبل، سرت قشعريرة أخرى بجسده حينما راودته فكرة أن تكون قد قابلت رجلًا آخر غيره، ثم طرد الفكرة من رأسه حتى يتيح لعلقه أن يفكر كيف يصل إليها.

خطر بباله أن يبحث عنها من خلال الفيس بوك من خلال رقم هاتفها الذي كانت تقتنيه.

أصابه الإحباط حينما وجد حسابها غير نشط منذ شهور، لا يعلم حتى إلى أي جهة قد خلفته وراءها وذهبت غير آبهة بقلبه العليل.

ظل يراقب بعض أصدقائها لعله يصل لأحد يستطع من خلاله الوصول إليها.

من الممتع أنه الآن يقرأها، يقرأ كيف تكتب وكيف تقرأ، كأنه يقلب بماضيها وحياتها ويتصفحها سريعًا حتى ولو كان يعرف عنها العناوين فقط، كما تخيلها، عنيدة، طموحة، عاطفية جدًّا بصورة تخاف أن تظهرها، قرأ الكثير من مقالاتها، وخواطرها، وتعليقاتها، حتى دعابتها وردودها مع أصدقائها، أكثرهم تعليقًا لها ميس، وجمعهم الكثير من الصور، والأخرى نور التي تشاركها اسم نفس الأب.

اجتاحته فكرة التواصل مع نور، وسؤالها عنها، لا شك وأنها أختها.
تجرع الشجاعة، فكل شيء سيهون مقابل الوصول إليها، كتب لها:
- مساء الخير يا أستاذة نور، أنا آسف على رسالتي، كنت عايز أسألك على سلمى لأني مش قادر أوصل لها، رُحت العيادة وبلغوني إنها سافرت، ورقمها مش شغال، وحسابها مش متفعل، فيه أمر مهم لازم تعرفه، لو تقدري توصليني بيها أكون شاكر ليكِ جدًّا.
بعد عدة ساعات أومضت العلامة التي تشير أنها قد قرأت رسالته لكنها لم تجب.
حادثتها نور وأخبرتها عن رسالة جاءتها ونسخت لها نص الرسالة واسم المرسل.
لم تكن تتخيل أبدًا أنه سيظل يذكرها، كانت تظنه مجرد توهم لحالة حب، رغم أن قلبها منفطر بحبه، لم تختر الحب، اختارت الهروب من كل شيء.
كانت قد توطدت علاقتها بمالك المستشفى الذي أصبحت تعمل به، وبعد وقت لم يكن بالكثير طلب منها الزواج بصفته أخًا لصديقتها، الذي يكبرها بتسعة أعوام، مطلق، وجدته شخصًا مناسبًا، دعمها بوظيفتها، وأتاح لها استكمال دراستها، كانت كل أمورها تسير كسرعة البرق، لما له من امتيازات وعلاقات، منذ عرفته شهدت وسامته وكرم خلقه، لا تنسى كيف كان سخيًّا معها وكانت أحلامها معه رهن التمني!
فكرة الزواج من بعد عامر كانت مغلقة تمامًا، لكن تبدَّل حالها، أصبحت تعيش بغربة وحدها، وهذا الرجل يقدم لها ما لا تستطيع فعله وحدها.

كان قرار الزواج منه يتأرجح بين الموافقة والرفض، كانت تريد الهروب من شيء ما تحبسه بأنفاسها لا تريد الإفصاح عنه ولو لنفسها!

كانت تريد الهروب من بدر، كي تغلق جميع الطرق المؤدية له، ربما يعود إلى بسنت التائهة بدونه.

راسلته بنص رسالة من حسابها القديم:

بدر، أنا باشكرك انك لسَّا فاكرني وبتدور عليَّ وآسفة إني مشيت من غير ما أعرفك، أنا سافرت الدوحة وحياتي بقت أحسن الحمد لله، باتمنالك تفتكرني بالخير، وتعيش حياتك بخير، وآسفة لو أذيتك بدون قصد.

أغلقت الحساب وأغلقت بقلبها حقيبة من المشاعر الفوضوية دون اكتراث، ضغطت بكل قواها كي لا يخرج منها أنينًا يؤلمها.

المُسكِن المؤقت لمشاعرنا، هي الأشياء التي نفعلها سريعًا، لتشتتنا عما يجول بنا، أسرعت تجيب بالموافقة على الزواج من رائف، تبتعد وتركض بعيدًا عن بدر الذي يطاردها، تبتعد دون أن تنظر خلفها.

تمت مراسم الزواج بشكل سريع مبالغ فيه كما هو مبالغ في كرمه وعطائه، كانت على جدل معه ألا تقيم حفلًا أو ترتدي فستانًا، لكنه أصر أنه من المعروفين بين رجال الأعمال والعائلات العريقة ولابد من إقامة حفل راقي، أرسلت إلى نور وسمر لتكونا بجانبها في تلك المناسبة، اعتذرت نور لصعوبة وضعها بالحمل بالشهور الأخيرة وإقامتها برفقة سامر بشرم الشيخ.

سافرت سلمى لقضاء مناسك العمرة مع والدتها، اتفقا أن يتقابلا بمكة، فسافرت من مطار الدوحة وكانت الأم وخالتها قادمتان من مصر والتقى الجميع بمكة المكرمة الأرض الطاهرة المقدسة.

توجهوا إلى الفندق، كل منهم كان يحتاج إلى غسل روحه وتنقية قلبه، ومناجاة الله عز وجل وطلب غفرانه.

كل منهم طلب من الله أن يمنحه حياة جديدة بيضاء.

(استشعار الصفاء والروحانيات بمكة، كان بمثابة تجربة جديدة بالنسبة لي، كنت أشعر بالخشوع كما لم أشعره من قبل، كنت أسجد طويلًا دون أن أشعر كم مر بي من وقت، كنت أدعو وأنا أتيقن الإجابة، كنت أعلم أن حياتي ستتغير، كنت أشعر بالله يرضيني ويغسل قلبي، ويشفي أوجاعي.

سعادتي بأمي كانت لا توصف، كنت أدعو أن يتقبل الله توبتها، كانت خالتي تساعدها وتتفانى في تقديم العون لها، كنت أطلب منها أن تترك لي أمورها كي أتقرب منها، كي ترضى عني، لعلي أعوض حرمان سنوات طويلة مضت في جفاء وبُعد).

انقضت رحلتهما، عادت خالتها إلى مصر، وسافرت والدتها معها إلى الدوحة لتكون برفقتها في زفافها.

كانت الأم بحال أفضل مما سبق تتحدث بخفوت وكلمات متقطعة، ساقها لم تعد طبيعية كما في السابق لذلك ظلت على كرسي متحرك أما يداها فكانتا ثقيلتان لكنهما أفضل مما كانتا عليه بعد مرضها مباشرة.

شعرت أن الله قبل توبتها، شعرت أنها ولدت من جديد، سبحان غفار الذنوب سبحان من يهدينا بعد عصيانه،

تطمئن على سلمى لتعود من حيث جاءت.

لم يكن لديها أية مشاعر تربطها برائف سوى أنها ممتنة لكل ما يفعله لها، فهل العرفان والشكر نردهما بالزواج!

كانت له فيلا من طابقين بمنطقة رائعة الجمال لها حديقة خاصة وحمامًا للسباحة خاص، لم تكن تستطيع استيعاب كيفية الحياة والسكن بها وحدها؟!

اختارت جميع الأثاث من مجلات من تركيا وقطعًا فنية ومزهريات من فرنسا وملابس من أفخم الماركات الإيطالية جاءت جميعها بالشحن الجوي، لكنها لم تشعر بالسعادة كما يجب أن تكون، لو كانت تجولت في المولات والمتاجر، لو كانت أمسكت كل قطعة تشتريها من الملابس لتلامس جسدها وتجربها بغرف القياس، لو كانت رأت الأثاث بعينها وتخيلته في أركان فيلتها، لربما شعرت أنها تعمِّر بيتًا جديدًا.

لكن النقود والثراء وحدهما غير قادرين على شراء الروح والسعادة.

أو ربما حيها اللاموثوق لبدر دق قلبها بخفوت، وأرَّق وجدانها وأثار بها أنوثتها وأعاد لها ذكرى أول قبلة على شفاه أرملة مظلمة منذ سنوات انقضت شهورها وهي وحيدة.

شيء خفي أطفأ بها سعادتها رغم أنها ستُزَف إلى رجل يفعل كل شيء من أجل إسعادها، كثيرًا من المشاعر المتداخلة تجرفها باتجاه الحزن.

كانت تشعر بعدم راحة، لكنها الآن في منتصف البحر، لا قرار للعودة إلى الشاطئ.

ليلتان قبل الحفل الذي ستشهده أكبر العائلات المرموقة بالدولة ويتشارك به رجال الأعمال، بدأت عليها حالة النكران لما هي عليه، حزينة، حائرة،

وجدت في إحدى اللحظات أنها تريد انتشال والدتها وأخذ أول طائرة لمصرها الحبيبة، تتمنى لو تذهب وترمي جسدها على الكرسي الأسود خلف مكتبها البسيط المنمق، وتستمع لحكايات المرضى التي اعتادت أن تمحو آلامهم، تتمنى لو ترجع لأرض الواقع وتهرب من حلم كبير مخيف كمن تسقط من فوق جبل شاهق تنسحب أنفاسها مع الهواء مستسلمة لا تعلم إلى أين سيسقط بها،

تتمنى لو كانت استمعت لبدر وعلمت خفايا قلبه، لماذا هربت! لماذا نتنصل من سعادتنا الحقيقية؟

لماذا تركت من نبض له قلبها واستنكرت حالة الحب، ولم أسلمت نفسها لعطاءات رائف المادية! هل اشتراها بالمال؟ أم هو من جعل عرض زواجه غير قابل للتفكير؟

أخذها عقلها إلى عقدة أخرى تزيدها خوفًا! أيام قليلة وستكون بين أحضانه! حقًّا ستتعرى أمامه! حقًّا سيكون من حقه أن يأخذها متى شاء؟! هل حقًّا ستحب رائحته، عطره، شعره المبعثر، أنفاسه، عيناه المتورمتان حينما يستقيظ في الصباح، هل ستعتاده وهو على سجيته دون مطاعم فارهة وبدلات غالية، وعطور من باريس؟.

لم تفكر أن الزواج هو أن يتحرر الزوجان من كل المظاهر الاجتماعية والشكلية ويجمعهما بيت واحد، سرير واحد يتوحدا فيه بجسدهما وأرواحهما! لم تكن تفكر أنها يومًا ستنكشف عن كل منهما ستائر الروح والجسد والقلب؟!

هل فكرت به يوم قبلت عرض زواجه! أم هو الشكر والعرفان سيلقيان بها لزيجة لا هي ترضاها ولا تشعر بها ووضعاها في مهب ريح لا يهدأ مع تقلب فصول العمر.

عذراء المشاعر هي، أربعون يومًا فقط تعرفت إلى جسدها الأنثوي الذي غادره عامر سريعًا.

فلتنس الماضي ولتنسى حماقتها ولتنسى أحزانها ولتسمح لأنوثتها أن تشتعل من جديد مع رجل يحبها! هل حقًّا يحبها!

نفضت رأسها كي لا يقتلها الظن، فنحن نموت تفكيرًا، نموت تحليلًا وتفصيلًا، نموت حينما نأخذ جولة بأعماق أنفسنا حتى نكاد نتلاشى ونتكور بها، نموت حينما نرى أجزاءنا المعتمة والمتَّقِدَة كشمع اهترأت خيوطه منذ زمن، نموت ثم نحيا حينما نرى بصيص الأمل آت من بعيد.

كان اليوم التالي موعد التصوير الفوتوجرافي الذي اختاره منظم حفل رائف على أحد شواطئ اللؤلؤة رائعة الجمال، حيث اليخوت وأبراج الدوحة الساحرة.

قضيا فيها قرابة الخمس ساعات تصوير بأكثر من تصميم أزياء، سحرها الجو والمكان، استمتعت كثيرًا وهي تشعر بنجوميتها، والتقاط المصور لهما صورًا رائعة، اعتذر رائف بعد الصورة العاشرة تقريبًا حيث جاءه هاتف يخبره بزيارة مفاجئة من شريكه الألماني الذي ينتظره بفندق الشيراتون.

لم تحاول إفساد ارتياحها وسحرها وامتزاج روحها بأشعة الشمس ونسيم هواء البحر خاصة وأن الأجواء ربيعية بشهر مارس، أكملت جلسة التصوير

وحدها في أزهى إطلالتها ومعها مصففة شعرها، جميع ملابسها ما زالت سوداء يغزوها بعض الإكسسوار البلاتيني.

انتهى اليوم سريعًا، أخذت حمامًا دافئًا واستلقت تنتظر جلسات التعطير الصباحية بفيلتها الخاصة.

كانت الأم وحيدة بأحد الغرف في الفيلا، مع بعض الخادمات اللاتي يشرفن على تجهيز غرفة الزوجية التي لم تطأها قدم منذ جاء أثاثها من تركيا.

حينما عادت إلى الفيلا رأت والدتها جالسة تقرأ بمصحفها، حينما رأتها صدقت ووضعته جانبها.

(انحنيت على ركبتي أمام كرسيها أقبل يديها، تحدثنا معًا في أمور كثيرة كلماتها ثقيلة لكنني استطعت أن أفهمها، اقتربنا من بعضنا تلك الفترة كما لم يحدث طيلة السنوات الماضية، ربما لم يستطع أبي أن يصل لنقطة ضعفها، حتى ترق ويلين قلبها، فلكل أنثى منا نقطة ضعف، هي مدخل لاستمالتها، أو ربما كانت سيدة قوية متمردة، لا أعلم في الماضي البعيد مجهول لكنها ستظل أمي مهما كانت الظروف.

غفر الله لكِ يا أمي وعفا عنك وتقبل منك توبتك وصلواتك وأنتِ خاشعة بمرضك.

ظللت أحدثها بعينيَّ وأتفقدها وهي تتفقدني وتنظر لي بحنان افتقدته سنوات طويلة ثم خرج صوتي هامسًا):

- حبيبتي يا أمي مسامحاني وراضية عني؟

- انتِ يا بنتي اللي راضية عني وعن السنين اللي بعدتها عنك؟

طبعت على كفها الثقيلتين قبلتان من الرضا والحنان

أخذتها حيث غرفتها وسريرها، غفوت على صدرها وهي تتحدث معي وتوصيني بأختي وتوصيني بحياتي وتخبرني أنها كانت تتمنى أن تحمل أطفالي وأطفال نور، قالت كلمات حاولت ألا أصدقهم وألا أعيرهم اهتمامًا.

غفوت ونسيت غرف التعطير والمساج والفستان والليلة المرتقبة من جميع عائلات البلدة، وكانت آخر ليلة أنام بحضن أمي لترقد بعدها في سلام ونور يشع من وجهها لم أر مثله يومًا.

انتقلت إلى رحمة الله تعالى أمي الغالية، بكيت في صمت مرير، نزلت دموعي بحورًا دون نحيب، يكفيني أنني استمديت كل حنانها وغفرانها لي، يكفي أنها راضية عني، يكفي أنني لم أشعر بسكرات موتها وأنا على صدرها، لم تصدر أنينًا، غابت عن الدنيا في هدوء، حسن الخاتمة يا أمي، حسن الخاتمة أن تموتي صباح زفافي الذي علمت وقتها أنه ليس بخير أبدًا لي، لم تشأ لي الحياة أن أستبدل اللون الأسود، هكذا علمت أني لرائف زوجة بلا قلب بلا زفاف بلا أم، لا تهم الهواجس فجسد أمي ما زال دافئًا).

توجهت إلى رائف، رأسها منكس فوق جسدها، ودموعها تستبق الحديث قائلة:

- رائف لو سمحت عاوزة أدفن أمي في مصر، زي ما كانت بتتمنى دايمًا، دا طلبي الأخير منك.

تحدث بمصريته المتقنة التي قلما يتحدث بها سوى معها:

- ممكن علشان خاطري نقضي ليلتنا ونكمل الفرح علشان الناس اللي موجودين من كل الدول والشركاء والمديرين والعائلات وبعدين هانفذ لك كل اللي انتِ عاوزاه أرجوكِ ساعة واحدة بس يا سلمى واركبي طيارتك وروحي مصر.

تحدثت بما بقي من قواها وهي تبكي وتنحب:

- انت ازاي عايزني ألبس فستان أبيض وماما لسَّا ميتة، دا جسمها ما بردش وما ارتاحتش في تربتها، انت ما عندكش إحساس ولا مشاعر؟ مش هاحضر أفراح وما يهمنيش معازيم، كفاية شكليات وكفاية مظاهر المفروض تقف معايَ في أسوأ ظروفي وما تبقاش ضدي، أنا ما يهمنيش أي حاجة، طلقني ومستعدة ما ارجعش تاني ولا أعيش في البلد دي.

تحول وجهه لوجه لم تره مطلقًا من قبل، أمسكها من وجهها ثم قال:

- مش بعد اللي عملته معاكِ تقولي لي نتطلق، وسمعتي واسمي وكل اللي عملته في شهور فاتت يتهد في ليلة؟!

ألقت بذراعه بعيدًا عن وجهها الذي آلمها مجهشة ببكائها الذي علا صوته:

- لما ادفن أمي ابقى اتجوزني غصب عني، أو حتى طلقني، بس اتأكد من اللحظة دي إني باكرهك، سفرني باقول لك.. سفرني.

أخذ يجول بالغرفة حول نفسه في توتر وضغط ع قبضة يده وأغمض عينيه ثم قال بصوت أجش:

- الميت ليه حرمته، بس أنا أقدر أمنع كل إجراءات السفر إنها تتم، أقدر ما اخلكيش تعرفي تعدي من المطار، بس أنا مش هاعمل كدا.

ثم اقترب منها في حنان وأخفض صوته يترجاها:

- أنا مقدر اللي انتِ فيه وعارف حزنك، البسي يا سلمى واخرجي معايَ الحفلة ساعة واحدة بس، وليكِ حرية الاختيار في كل شيء بعد كدا، الإجراءات بتاخد وقت وكدا كدا مش هتسافري قبل تلات أيام.

أخذت أفكارها تتضارب بين جدران عقلها في جنون، ضربة وراء ضربة، حتى أخذت قرارًا أن ترتدي فستانًا ارتدته أثناء التصوير وتخرج أناقتها الحزينة باللون الأسود.

خرجت بزيها، ودمعتين حائرتين تقفان خلف عيون متنكرة ببضع مساحيق تكاد لا تُرى، بمكياج مزيف.

كاد يجن جنونه لحظة خروجها في بهو الفندق وهي تطل بالأسود،

كان الأمر بالنسبة له صدمة، لكنه صمت كي لا يزيد اللحظات سوءًا، قدر موقفها وحزنها، قدر خروجها في هذا الحفل، شَعر بتأنيب لضميره وقسوته عليها اختبأ سريعًا خلف كبريائه، خرج العروسان في زفة حزينة حتى وصلا إلى الركن الخاص بهما بقاعة الزفاف، وضع يده على خصرها، والتقط المصورون بعض الصور، قالت في جمود:

- لو سمحت عايزة أمشي، وتقدر بعدها ترحب بكل ضيوفك وتعلن خبر وفاة أمي، وتعتذر لهم إني مش هاقدر أكمل، يا ريت تسمح لي أخرج.

أومأ برأسه موافقًا على كلامها، يكفي أنها خرجت وشاهدها الجميع ممن كانوا غير متوقعين زواجه يومًا.

فليشهد التاريخ أنه تزوج وله امرأة يحسده الكون عليها، امتلأ قلبه بسعادة، وانشغل مع المدعوين بين الترحاب والمجاملات.

مرت الأيام متباطئة في استخراج جميع إجراءات السفر وشهادة الوفاة كانت تتنقل بين الجهات المختصة كفراشة مجروحة الأجنحة تحتاج هي الأخرى ضمادات وتجبيرًا لكسورها ورقودًا بمشفى سنوات مقبلة.

كانت التكاليف باهظة الثمن جدًّا ولم يكن معها المال الذي تستطيع إنفاقه على تلك الإجراءات، كان رهن الإشارة دون أن تطلب، سدد جميع الرسوم والتكاليف وحجز تذاكر الطيران والصندوق المعد لسفر الجثمان، أصيبت نور بصدمة عصبية مما جعلها تفقد النطق والبكاء واستقبلتها هي وسامر بالمطار.

وصلا إلى أرض القاهرة.

استقبلهما أخوالهما وخالاتهما أيضًا وتمت مراسم الدفن والعزاء لثلاث ليالي، نامت فيهم الأختان بجانب بعضهما البعض.

اختارت نور أن تبقى فترة الأربعين يومًا ببيت أمها، تكورت بهم بطنها أمامها وثقل جسدها.

حزمت سلمى أمتعتها لتعود إلى المجهول المنتظر وعادت نور مع سامر تنتظر مولودتها الأولى!

❋ ❋ ❋

- 8 -

رجعت إلى أرض الدوحة، ليست كما جاءتها منذ شهور، كل شيء بعينيها أصبح أكثر عتمة، استقبلها رائف استقبالًا حانيًا جدًّا، أخذها لسهرة هادئة على أحد اليخوت الذي قرر أن يناما فيه هذه الليلة، حاول تضميد جروحها،

أيعلم أن هناك جروحًا لا تلتئم ولا تختفي آثارها العمر! ربما كان لا يعلم. لو كان يعلم، ما فعل.

لقاؤهما الأول كان بلا مشاعر، بلا روح كانت تقف أمامه قائلة:

- مش قادرة أنسى اللي حصل، مش قادرة أنسى إنك حطيت شكلك ومظهرك قصاد وجعي، مش هاقدر أنسى خروجي وأنا قلبي مكسور على إيدي قدام ناسك ومعارفك، مش هاقدر أنسى نفوذك وقوتك اللي ساعدتني بيهم وانت بتستقوى عليَّ بيهم وتمنعني من السفر، وعمري ما هانسى لك أبدًا وانت بتدوس فوق حزني ووجعي علشان شكليات. أنا لحد دلوقتي ما اعرفش انت اتجوزتني ليه؟

- قبل ما أرد على سؤالك يا سلمى كان لازم تقدري الموقف اللي أنا فيه، وتخرجي علشان شكلي قدام الناس، وأنا قدرت خروجك باللون الأسود لمدة قصيرة واختفائك، كلنا دفعنا التمن يا سلمى لموت مامتك،

أنا عمري ما هاستخدم قوتي عليكِ مهما حصل، ما كانش قدامي حل تاني، وردًّا على سؤالك اتجوزتك علشان حبيتك والأيام هتثبت لك كدا.

دخلت العروس الحزينة غرفة النوم الموجودة باليخت بدلت ملابسها، خلدت إلى نوم عميق بعد ليالٍ من السفر والعزاء لم تشهد فيهم نومًا عميقًا، حتى أنها لم تشعر به متى جاء ونام بجوارها.

استيقظت صباح اليوم التالي ارتدت بنطالًا بسيطًا "وتيشرت" وصعدت إلى الجزء العلوي من اليخت لتجدها في منتصف البحر.

بحثت عن رائف قليلًا حتى ظهر لها،

- صباح الخير، قُلت أقوم نتمشى شوية جوا البحر، ونفطر ونرجع

- كويس، الجو ومنظر البحر حلوين، بس يا ريت ما نتأخرش علشان عايزة أرجع ارتب شغلي.

- مستعجلة على الشغل بسرعة كدا؟

- ما يتهيأليش إني هاقدر أديك حاجة أكتر من كدا، جايز الأيام تقدر ترجع اللي اتكسر ما بينْنَا، أنا ما عنديش غير حاجة واحدة تقدر تاخدها مني، ومش هتفرق برغبتي ولا لأ.

أخذ نفسًا عميقًا بارتياح:

- وانا مش عاوز منك أكتر من اللي تقدري تديهولي بكامل إرادتك يا سلمى.

رجعا من نزهة بالبحر، رفض رائف نقود سلمى رفضًا قاطعًا التي عرضتها عليه مقابل ما أنفقه على سفرها وسفر أمها حيث طالبته بأخذ المبلغ على دفعات.

أصبحت تعيش ببيت كبير لا حياة ولا روح فيه، تعمل صباحًا وليلًا، دون تعب أو ملل، بدأت للعمل على تحضير الدكتوراة، خلعت الأسود وارتدت ألوانًا راقية لا ألوانًا صاخبة.

زاد نجاحها بعملها، وأصبحت أخصائية بالمدارس والجامعات تلقي المحاضرات وتهتم بالحالات الاستثنائية.

تركت عملها بالمستشفى والتحقت بتدريس المناهج لطلبة الجامعة، انفصلت عن المستشفى كليًا، أقامت الندوات والتجمعات للمشاكل الأسرية والحد من الطلاق والخيانات الزوجية ومشاكل الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والتربية الصحيحة، لا تنكر فضل رائف فهو من وضعها على بداية طريق النجاح، لكن وحدها أصبحت سيدة المجتمع أصبحت أستاذة وطبيبة واستشارية نفسية تعبأ بجميع مشكلات من حولها.

ساعدت الكثير ونسيت ذاتها، وجهلت تجاهل رائف لها ولرغبته بها وتجاهلته هي أيضًا، حتى سألتها إحدى صديقاتها التي اعتادت أن تحضر ندواتها بل تشارك في تنظيمها كمساهمة ومبادرة منها: يا ترى يا سلمى علاقتك بزوجك فيها أي مشاكل بتقابلك من المشاكل دي؟ يا ريت تفيدينا بتجربتك الشخصية؟

فاجأها السؤال الذي ذكرها أنها متزوجة ولها رجل يتجاهل جسدها وجمالها وأنوثتها، تذكرت أنها متزوجة بعربي الجنسية مصري الأصول، تذكرت أنها تنام ببيت فيه رجل غريب عنها مقرب لها على الأوراق فقط منذ ستة أشهر دون أن يمسسها أو يتقرب إليها،

تذكرت حبها لبدر كيف منعها عن رغبتها برائف وكيف تشعر بعدم انتمائها له أو رغبتها به، تذكرت بدر وكيف ابتعدت عنه وكيف تركته يعاني وحدته وحبه وقلبه.

تذكرت كيف اختارت العمل والسفر والمستقبل وتجاهلت الحب والارتياح ولأول مرة بعد سنوات وحدة، ترى كيف يعيش الآن وهل يتذكرها كما تتذكره؟!

غادرت المؤتمر وذهبت إلى الفيلا، كانت تجلس بحديقتها، هبت نسائمه، وأطلت صورته بوجه فنجان قهوتها

دبت الروح بالأشجار، وفاحت رائحة الورود،

كيف أن يكون لحضرته كل تلك الطقوس!

كيف تتبدل الأشياء في وجوده، وتتلون الأشياء حينما يسمع نبض قلبها سيرته!

تأوهت من قلبها وقالت بصوت يدوي بداخلها:

ليتك معي، ما زلت أذكرك بخفوت، لكني لا أجرؤ أن أحدثك.

جلست تتصفح الانترنت، حادثت ميس:

- ازيك ياميس

- حبيبة قلبي عاملة إيه طمنيني عليكِ

- أنا كويسة طمنيني عليكِ انتِ والأولاد

- بخير يا حبيبتي

- مش ناوية تيجي قريب بقى؟

- هانت هاخلص امتحانات وأشوف حسام

- يا ريت علشان أنا محتاجاكِ قوي جنبي

- ما لك يا حبيبتي فيكِ إيه؟

- تعبانة يا ميس فيه حاجة مش مضبوطة، يظهر إن الوقت أخدني وما أخدتش بالي إن رائف بعيد عني، تفتكري إيه اللي يخلي راجل يبعد عن مراته وما يلمسهاش من ساعة جوازهم لحد دلوقتي؟!

- نعم يا اختي!

- ما باهزرش يا ميس

- يعني عاوزة تفهميني انكم عايشين كدا اخوات؟

- أيوة من يوم ما رجعت بعد دفنة ماما طلبت منه يسيب الأيام تصلح اللى اتكسر ومن ساعتها هو في وادي وأنا في وادي، ما أخدتش بالي وما ركزتش أبدًا ازاي الأيام عدت كدا، بس فُقت فجأة واكتشفت إننا عايشين أغراب.

- عارفة يعني إيه يا سلمى إنك ما تحسيش بالوقت وهو بيعدي؟! يعني انتِ ما حبيتيهوش ولا اتمنيتِ قربه.

- عندك حق أنا مش حاسة إن في بينْنَا حياة، بس ما اقدرش أسيبه، زي ما أذاني وكسرني عمل لي حاجات كتير.

- انتِ عايشة معاه بس علشان عمل لك حاجات كويسة مادية؟! انتِ يا سلمى اللي بتقولي كدا؟

- أنا ما بقيتش فاهمة نفسي يا ميس، أنا شكلي حبيته!

- هو مين؟

- بدر يا ميس

- حرام عليكِ يا بنتي، هتجنني، انتِ اللي سبتيه وهربتِ من حبه ليكِ.

- مش هتفرق، أنا مسافرة باريس الأسبوع اللي جاي محتاجة أقعد مع نفسي شوية فعلًا.

- خلي بالك من نفسك وطمنيني عليكِ على طول بلاش تغيبي غيابك الطويل دا

- غصب عني أنا بانسى نفسي في الشغل، بس هاكلمك تاني يا ميس

- هتوحشيني.

كانت قد تلقت في ذات اليوم بريدًا إلكترونيًّا من جمعية لحقوق المرأة العربية بفرنسا تطالبها فيه بعقد مؤتمر عن زواج القاصرات في القرى العربية، وتأثيره سلبًا على المجتمعات الشرقية، أعجبتها الفكرة وتحمست لها، كي تزور باريس لأول مرة بحياتها وقررت أن تفاتحه في أمر السفر من أجل المؤتمر المدعوة له.

طرقت باب مكتبه بخفة كما لم تعتد، حيث أصبحت جميع أمورهم الخاصة بالعمل يتناقشا فيها على العشاء قبل دخوله المكتب، أذن لها بالدخول بعد أن عدل في جلسته وأخفى شيئًا لم تره، قالت:

- رائف أنا جالي دعوة لمؤتمر من جمعية حقوق المرأة العربية في فرنسا، هاسافر كمان 10 أيام.

- ما عنديش مانع، بس هتروحي لوحدك ازاي؟

- هتفرق في إيه يا رائف! ما انا لوحدي وكل واحد فينا لوحده، إيه الجديد؟

- طيب، كل مصاريف السفر تحت أمرك يا سلمى.

- مش محتاجة أي مصاريف، الفندق والتذكرة وكل حاجة على حساب المؤتمر، وأنا كمان معايَ فلوس تغطي كل مصاريفي، شكرًا يا رائف.

خرجت من باب غرفته، تتنفس الصعداء، وارتاح لارتياحها، علم أن الأمر قد نجح، أرادها أن تحضر المؤتمر دون أن تشعر أن له يد خفية بالموضوع، لماذا يريدها أن ترضى هذا الرضاء دون مقابل منها؟!

في خروجها من باب مكتبة وجدت الخادمة تخبرها أن رهف تنتظرها في غرفة الجلوس اتجهت نحو الغرفة وأمسكت بمقبض الباب ثم دخلت، وجدتها جالسة تنتظرها، قامت الأخرى بحرارة تصافحها وتتبادلان القبلات:

- رهوفتي ازيك يا حبيبتي

- سلمى.. أخبارك حياتي

- اهو الحمد لله فينك مختفية يا بنتي؟

- والله حبيبتي مشغولة بالصالون تبعي، طمنيني على أحوالك مع رائف ما شُفتك من فترة ولا خلاص من لقى أحبابه.

- سيبك بس من أحوالي انتِ لا معروف لك مصرية ولا لهجتك دي إيه اثبتي لك على حاجة علشان أفهمك.

- مخلط من كله حاجة كدا زي كوكتيل ما تلاقيهوش إلا عندنا، بكرة تعرفي وتحسي لما تجيبي ولاد وتبقى لهجتهم متلخبطة زيي، إلا قولي لي ما فيش حاجة جاية لنا في السكة كدا زي ما بتقولوا، نفسي أبقى عمتو.

شعرت بغصة بحلقها، ابتسمت سريعًا كي لا تشحب ملامحها وقالت:

- كله بأمر ربنا يا حبيبتي، قولي لي رحتِ فرنسا قبل كدا؟!

- كتيير، حابة تروحي؟

- أيوة بعد أسبوعين إن شاء الله

- يا الله كان نفسي آجي معاكِ بس عندي شغل بالصالون وتدريب للعمال مش هاقدر أترك المكان لحاله خلينا نضبطها وقت تاني، يلا يا حبيبتي أنا هامشي، حبيت أعدي أسلم عليكم وابقي سلمى لي على رائف، أسيبكم لسهرتكم.

خرجت رهف من الفيلا وتركت سلمى تطاردتها جميع الأفكار التي أشعلت أنوثتها، ورغبتها في تفجير رغبة رائف الساكنة.

ربما هي السبب، ستتولى الأمر وتحاول أن تستميله ولو بطريقة غير مباشرة! لماذا لا يطلبها؟ هل ما زال حانقًا عليها منذ خرجت بالزي الأسود يوم العرس! أم تركها على راحتها كما طلبت منه يوم كانا في اليخت.

من المارون القاتم ارتدت قميصًا "ساتان" يقف عند منتصف ساقيها وعليه "روب" يحمل نفس اللون محلاة أكمامه "بالجوبير" المطرز باللون الأبيض مع حذاء ذي كعب منمق، اختارت عطرًا هادئًا، تركت شعرها ثائرًا من خلف

ظهرها يشبه في سواده جمال السماء بالليل المزينة بنجومها، قامت بخفت الأضواء وأدارت صوت الموسيقى، وانتظرت قدومه لغرفته التي اعتاد أن ينام بها وحده.

تفاجأ بوجودها، توقف لحظات عند الباب، ثم اقترب منها ليضمها بحنان لأول مرة منذ سكنا هذا البيت، ازداد عناقه لها أكثر حتى خافت أن تنكسر ضلوعها بين يديه، أخذها إلى "الشيزلونج" المجاور للسرير، أجلسها عليه ثم جلس على ركبتيه مقابل ركبتيها جاثيًا يبكي في حرارة وضعف واهن لأول مرة تراه فيها يبكي:

- رائف انت بتعيط؟

- ما عنديش حاجة أديهالك، كنت ناوي أقول لك يوم جوازنا، بس القدر سهل عليَّ كتير قوي، انتِ اللي بعدتِ وأخدتِ أوضة لوحدك، كنت فاكر إنك مش هتطلبي مني أكون زوج، وإني هاقدر أعوضك بكل اللي بتتمنيه من منصب وشغل وفلوس كتير وبيت كبير، ومش هتطلبي مني أكتر من كدا، انتِ اخترتِ شغلك، وانا مش هاقف في طريقك أبدًا، وهاعمل لك كل اللي انتِ عايزاه، أنا عايز أسعدك وبس.

صمتت وهي تستمع له ثم قالت وعينها ثابتة في اللاشيء بلا حراك وقالت:

- يعني إيه؟

- أنا عاجز، أنا نص راجل،...

قاطعته في غضب لا إرادي:

- مين قال لك إني مش محتاجة زوج، مش محتاجة أكون أم، مش محتاجة طفل، انت عملت لي كل حاجة إلا إنك تصارحني بحقيقتك، انت إزاي كل

همك وضعك الاجتماعي قدام الناس، كنت عاوز تثبت لمين إنك تقدر تتجوز وتعيش حياتك، كل الدعوات والصور والصحافة دول علشان إيه، وعلى حساب مين، على حساب إني أتحرم من حقوقي.

قبل يدها في جنون وقال لها في رجاء:

من يوم ما شُفتك واتمنيتك تكوني في حياتي، أنا عارف إني أناني، بس أنا حبيتك، حبيتك بقلبي، أرجوكِ خليكِ جنبي يا سلمى، ما تبعديش عني أرجوكِ، أرجوكِ.

أشاحت بوجهها عنه وللمت بقاياها المنكسرة إلى غرفتها المجاورة لغرفته، وانخرطت بالبكاء على وسادتها بعدما علمت أن رائف ليس إلا صانعًا لأحلامها، رغم قدرتها على تحقيق تلك الأحلام وحدها، معها من المال ما يكفي، معها من الجمال ما يسمح لها بالزواج من أبهى الرجال وأغناهم، معها من الحدس والذكاء ما يؤهلها لأفضل الوظائف المرموقة، الأمر ليس بالمال ولا النقود، ربما كان رائف مفتاحها السري لكل الأبواب المغلقة، يهيء لها الطرق وهي تمضي بخطوات واثقة دون خوف أو مخاطرة، لا إجراءات لا تعقيدات، كل شيء يسير بسهولة، لم تتمنَ يومًا أن تحصل على نجاحها بالتدليس والتزوير وكان من شروطها معه أن تسعى وتصعد الدرج خطوة بخطوة، إلا أنه كان يزيل عنها العقبات ويرسم لها خطوطًا عريضة فتسير بلا عقبات، ربما الأمان هو صانع علاقتهما، وهكذا أصبح الأمر كل منهما في حياة الآخر هدف، إلا أن هدفها به سينتهي يومًا ما، ربما حينما تأخذ الدكتوراة وربما حينما تحصل على منصب أعلى، سينتهي احتياجها منه

يومًا وتمله، أما هدفه بها لن ينتهي، فالحب لم يكن يومًا هدفًا منتهيًا، الحب يرتوي وينضج كلما كبر عطاؤنا، وأملنا في من نحب دون توقف.

من الممكن أن تتخلى المرأة عن كونها حبيبة، زوجة، ربما تتخلى عن أشياء لم تتوقع أن تتخلى عنها يومًا، إلا أن تتخلى عن أمومتها، تولد الأمومة بالفطرة مع أول دمية صغيرة ترعاها وتهتم بأمرها وتحملها كالرضيع بين يديها.

ربما تنشغل عن الأمومة بعمر المراهقة، وتتغافل عنها في عمر العشرين لكنها حينما تقترب من خط الثلاثين تستشعر وكأن ساعة رملية تنازلية تأخذ منها قدرتها على الإنجاب.

لن تستطيع امرأة أن تكبح جماح رغبتها في الأمومة، حتى وإن صرخت لياليًا متذمرة من السهر والإرضاع، فلا تكتمل أنوثتها إلا بوجود طفل تحمله في أحشائها يخرج من رحمها ليغفو على صدرها ورائحتها.

الممنوع مرغوب حقًّا! لكن ما حقيقة أمر رائف لا تعلم ما جعله عاجزًا، وهل هو حقًّا عاجز بالأمر الذي يجعله غير قادر على الإنجاب منها أم عاجز كليًّا؟

حادثت نفسها، لماذا لم تربت على كتفيه وتعلم حقيقة الأمر، ربما كان لا ينجب، ربما مقصده أنه يحتاج إلى الكثير من الأدوية ويخجل منها ربما كان حادثًا.

ألا تتذكر أن الحادث سلب منها جنينها منذ أعوام، سلب منها حب حياتها، سلب عمرها وشبابها! .

كل منا يبحث عن مبررات وأعذار للآخرين، ورغم ذلك نحب أنفسنا أكثر من أي شخص آخر، مهما أحببنا وعشقنا وتنازلنا، تبقى فطرتنا في حب الذات هي الأبقى.

عادت لغرفته كي تحادثه وتربت على كتفيه وتعلم منه حقيقة أمره، وجدته جالسًا يحيط ركبتيه بيديه منكسًا رأسه فوقهما،

ألا تعلم المرأة كم يجرح الرجل أن تقيم رجولته فقط من قدرته أو عدم مقدرته!

كما الأمر عند المرأة، كم يجرحها حينما يقيم الرجل أنوثتها من تقاسيم جسدها وقياساته الخاصة، ووزنها، ولون شعرها وملمسه، ودرجة بشرتها، وقدرتها على الإنجاب، وإنجابها الذكور والإناث، كلها أشياء لم تتدخل في خلقها!

ذهبت موضع جلوسه وأخذت رأسه على صدرها تطمئنه وتعتذر له عن قسوتها،

أخذ يتحدث بصوت آت من عمق آخر:

- كنت في يوم راكب دراجة نارية زي ما بتسموه موتوسيكل، فجأة فقدت السيطرة ووقعت من فوقها بس لسوء حظي إني بعد ما وقعت على الأرض الموتوسيكل اتجه عليَّ بكل قوته، من كتر النزيف فقدت الوعي، وفي المستشفى وبعد ساعات طويلة لما فُقت عرفت إن الإصابة كلها كانت في منطقة الحوض، وإن منطقة الذكورة حصلها تهتك بالكامل، فترة المرض كانت صعبة عليَّ جدًّا وطويلة، وما كنتش باقدر أتحرك، وعاجز عن كل

حاجة، دا غير الألم الشديد، عملت عمليات كتيرة جدًّا مع أمهر الأطباء علشان أمشي تاني، وقدروا يرجعوا حالتي مستقرة، ما عدا في منطقة الذكورة، كانت أنسجتها شبه منتهية، سافرت وعملت المستحيل علشان أرجع زي الأول، بس للأسف ما نفعش.

كان يتحدث بخجل، بأسى، بألم، اختنق صوته وعاد يستطرد حديثه:

- كنت باتمنى الموت ولا إن حد يعرف إني عاجز، بس شهرتي وسط الدكاترة بما إني صاحب مستشفى ما خلتش الخبر يستخبى، وبعدها مراتي طلبت مني الطلاق، ما وقفتش معايَ ولا ساندتني في فترة مرضي وكأني ولا شيء في حياتها، طلقتها زي ما طلبت واديتها كل حقوقها، أنا عارف إنك جايز تتعاطفي معايَ بس مش هتسامحيني وأنا مش قادر أعمل لك أي حاجة، دا قدري، وانا ظلمتك إني دخلتك في حياتي بدون ما أقول لك حقيقتي اللي أكيد لو عرفتيها ما كنتيش هتختاريني ولا هتقبلي بيَّ.

خليكِ جنبي يا سلمى وأوعدك إني هافضل جنبك لحد ما تخلصي كل اللي بتحلمي بيه، لو عاوزة نخلف ممكن ياخدوا مني أي عينة نعمل حقن مجهري أو أطفال أنابيب أي حاجة تربطك بيَّ ، قولي لي وأنا أعمل لك اللي بتتمنيه أنا بجد آسف إني حبيتك بكل أنانية.

- مش محتاج تتأسف يا رائف دا قدرك ونصيبك، إحنا دخلنا حياة بعض لسبب، وفي يوم القدر هيوصلنا للبر التاني اللي احنا ما نعرفهوش، بس أنا محتاجة أكون لوحدي وأحسم قراري، هاسافر لحد ما أوصل لقرار وهنفضل زي ما احنا ما فيش حاجة هتتغير، انت إنسان عظيم وقدمت لي

كتير قوي، بس احنا الاتنين أنانيين جدًّا، إحنا الاتنين جينا في حياة بعض غلط، إحنا مش نافعين للحب إحنا مجرد أسامي على ورق.

كلنا أنانيون! مقصرون، نفعل أشياء مقابل أشياء أخرى ترضي غرائزنا، ترضي احتياجاتنا ومطالبنا.

تمناها أن تظل معه، وهو غير قادر على أن يعطيها ما يستطيع أي رجل بالحياة أن يعطيه لامرأة،

وافقت أن تكون معه، وهي تعلم أنها غير قادرة على حبه، فقط أرادت أن تكون شيئًا عظيمًا تحت حمايته وظله.

من بعد ذلك اليوم أصبحت علاقتهما كاذبة، وهما يعلمان أنهما يتبادلان التحيات رياءً، أصبح هو الآخر أكثر غيابًا وسفرًا وسهرًا، لا تسأل ولا تكترث سوى لأوراقها وكتبها، قررت أن تسافر وحدها لتستفيق من صدمتها الجديدة.

أعدت حقيبتها واختارت ما يناسب ارتداؤه للندوة، وملابس شتوية فالجو بارد تلك الأيام بباريس،

تركت الدوحة وجامعتها ومدارسها وذهبت لتحسم قرارها بباريس.

❋ ❋ ❋

- ٩ -

بعد رحلة مدتها 8 ساعات هبطت الطائرة بمطار باريس الرائع الساعة السابعة صباحًا بتوقيت فرنسا، أخذت حقائبها فوجدت أحد الأشخاص ينتظرها رافعًا لوحة عليها اسمها مكتوبًا بالحروف الإنجليزية، ارتاحت قليلًا حينما شاهدته، بعد إحساسها بالاضطراب والغربة بزحمة الوجوه.

كان مدير المؤتمر هو من ينتظرها، مغربي الجنسية، أخذ يحدثها عن باريس وجمال شوارعها وخصوصًا الشارع الذي يقع فيه الفندق الذي ستقيم به، حدثها عن إمكانيتها لنزول شارع الشانزليزه والتمتع بالأجواء والمتاجر والمطاعم والمقاهي، سيكون معها بفندق لوكلاريدج شانزليزه بغرفة مجاورة لها، وبغرفة مجاورة أخرى تقيم سارة مديرة تنظيم المؤتمر، ظل برفقتها حتى أتم لها إجراءات تسجيل الدخول للفندق ومن ثم أوصلها إلى ممر الغرفة وتفاجأت أن الحجز VIP بجناح رائع الإطلالة.

تعشق الفنادق ورائحة الأغطية المعقمة، أخذت تصيح في جنون وتقفز في أركان الغرفة كالأطفال، ثم ألقت بجسدها على السرير الواسع.

شعرت بأنها تستجمع طاقتها بعد رحلة سفر طويلة قررت ألا تضيع الوقت، فقررت تبديل ملابسها والنزول بجولة سريعة في شارع الشانزليزه قبل اجتماعات التحضير للندوة وأعباء العمل.

ارتدت "تيرنج" رياضيًّا رصاصي اللون رفعت شعرها للأعلى، ارتدت نظارتها الشمسية، ثم اتجهت لأخذ إفطارًا خفيفًا من مطعم الفندق، سألت عن

أقرب متجر اتصالات لاقتناء شريحة اتصال جديدة للتمكن من التواصل بالأشخاص، طلبت من موظفة الاستقبال بالفندق خريطة للمكان ورقم هاتف الفندق حتى تتمكن من العودة مرة أخرى خاصة أنها لم تكن بعلاقة وطيدة باللغة الفرنسية، خرجت إلى جولة بأرقى شوارع العالم.

بعد جولة ساعتين لم تشعر فيهما كم مضى من الوقت حتى أصبحت الشمس حارقة، علمت أن ساعتها لا تشير إلى التوقيت الصحيح، قررت أن تجلس إلى مقهى يقترب من الفندق حسبما أخذت علامات بالشارع كي لا تضيع المكان.

جلست تتفقد هاتفها واتصلت بالإنترنت حتى علمت أن الساعة هي الواحدة بعد الظهر، طلبت من النادل أن يحضر لها قهوة فرنسية بالبندق كما سمعت عن مذاقها الرائع، أخرجت أحد الكتب القصيرة التي اقتنتها أثناء جولتها.

كان يجلس أحدهم بالطاولة المقابلة لها، لفت انتباهها بساطة ملامحه وشعره الذي يقف أسفل أذنيه بقليل، كثيف يميل إلى التجعد، يتركه منطلقًا خلف رأسه، يضع شالًا نسائيًا حول عنقه، كان يرسم بوجوم وجدية وتتغير تقاسيم وجهه من وقت للآخر، كانت جلسته تحتاج لرسام آخر كي يرسمه أو مصورًا عبقريًّا كي يلتقط له صورًا، أو أديبًا يكتب عنه بعض السطور، قررت أن تقرأ ملامحه وتنسخها بذاكرتها.

لكل منا أوشام مخلدة بأرواحنا لا يمحيها الزمان!

كان الرسام يبدو عليه أنه موشوم بحب وحزن، شعرت كأنها بحلم حينما خالطها النوم والإجهاد مع التأمل والتدقيق، اللوحة رائعة رسمها بمنتهى الدقة وبوقت قياسي، كما توقعت تمامًا أن اللوحة لأنثى، لكنها لم تستطع تحديد ملامحها إلا أن عينيها واسعتان لامعتان.

ذهبت لجناحها بالفندق ألقت بجسدها للمرة الثانية بعدما أغلقت النوافذ التي تطل على أول شارع تعرفت عليه وألفته.

نامت نومًا عميقًا حتى شعرت بهاتف غرفتها يدق، استيقظت آتية من زمان آخر ومكان آخر وهي تلملم بقاياها من أحلام بعيدة.

رفعت سماعة الهاتف بصوت ناعس:

- ألو

- أيوة أستاذة سلمى أنا عاصم، آسف لو أزعجتك، يا ليت بنتجمع على العشا أنا وحضرتك وأستاذة سارة، على التسعة بنكون على طاولة رقم عشرين.

أغلقت الهاتف لتجد أن الساعة السابعة والنصف، كان لديها وقتًا كافيًا لتتأهب للعشاء.

جلس ثلاثتهم على الطاولة يتبادلون الترحاب والتعارف الشخصي كانوا ثلاثيًا رائعًا جدًّا، رغم اختلاف جنسياتهم وأعراقهم إلا أنهم تحدثوا بسلاسة وكأنهم أصدقاء منذ زمن، منطلقين، مرحين، عمليين، خليط جذاب لا تشعر معهم بالغربة أو ملل المجالسة.

قررا أن ينقضي يومهما الأول معها في جولة بباريس واختارت هي أن تكون أولى زيارتها لبرج إيفيل التي ما دام حلمت بزيارته.

التقط ثلاثتهم صورًا جماعية وفردية أمام برج إيفيل انتهى اليوم بمرح على أن يقيموا اجتماعًا تنظيميًّا الساعة الحادية عشر صباح اليوم التالي، لم يتأخروا بالخارج عادوا للفندق لتأخذ قسطًا من الراحة، نامت سريعًا دون أن تفكر بأي شيء يفسد سهرتها الرائعة مع أصدقائها الجدد.

حينما استيقظت ارتسمت أمامها صورة ميس كيف لم تحدثها منذ أسبوعين وانشغالها بالسفر، شعرت باشتياق شديد لها.

يحدث وأن تأتينا أطياف من نحبهم فجأة بدون إنذار بأوقات غير متوقعة فنعلم أنهم يحتاجون للحديث معنا وربما هم الآخرون يفكرون بنا أيضًا.

ارتدت "جينز" وقميصًا "وجاكيت" على يدها وأخذت إفطارًا سريعًا ثم ذهبت لتأخذ قهوة بنفس المكان الذي جلست به بيوم أمس لكنها لم تجده، شعرت بضيق، أخذت جولة على حساب الفيس بوك ثم راسلت ميس بتحية صباحية التي لم تظهر متصلة على الفيس بوك منذ ساعات، فكرت أن تحادثها ثم امتنعت كي لا ينشغل عقلها أثناء الاجتماع الصباحي قررت أن تؤجل المحادثة بعدما تنتهي من الاجتماع.

همت بالنهوض، فوجدته يجلس ويجهز أدواته، طلب قهوته وبدأ في تهذيب أقلامه ورسم خطوط على ورقة بيضاء من جديد.

تراجعت عن الذهاب، نظرت لساعتها كانت تشير للعاشرة والنصف قررت أن تنتظر قليلًا حتى تتمكن من رؤية لوحته اليوم ربما يرسم أحد الجالسين

بالمقهى أو ملامحًا ارتجالية، خفة يده مبدعة إلى حد الجنون، سريع، منظم، يستطرد أحاديثًا وذكريات بقلمه الذي يترجمها إلى خطوط على الأوراق، يبتسم تارة ثم يعبس تارة، ثم يشرد، واضعًا كل تركيزه بقلمه ولوحته، قرأت عينيه وملامحه بكل حدس، زادها الفضول لمعرفته ومعرفة لوحته اليوم، ما إن اكتملت العينان حتى دق هاتفها نظرت لساعتها وجدت أن هناك فارق 3 دقائق على موعد المقابلة بغرفة الاجتماعات، أخذها الوقت دون أن تشعر،

علمت أن اللوحة هي مطابقة للوحة أمس وأنه يحفظها عن ظهر قلب، وعلمت أن الوقت لن يكفيها لتستكمل اللوحة ولا بد أن تحضر موعدها بتمام الحادية عشر ستتأخر ربما خمس دقائق.

ستأتي لاحقًا ، يبدو وأنه يرسم الفتاة ذاتها كل يوم، أثارها الفضول، لكن لم تأت لباريس من أجل التأمل والشرود، على الأقل بالوقت الحالي.

دلفت إلى بهو الفندق في هدوء، حتى وصلت إلى قاعة المؤتمرات المجهزة لذلك المؤتمر.

كان معهم إحصائيٌّ لديه تقارير عن معدلات التزاوج والطلاق السريعة، يجالسهم طبيب نفسي باحث في سلوك الأطفال الذين انفصل آباؤهم وعاشوا في بيئة مفككة، وصحفية من قناة عربية، وأخرى مراسلة من قناة فرنسية، وسلمى هي الأخرى أستاذة علوم النفس تجلس معهم سارة مسؤولة المؤتمر ومسؤولة إعداد تقرير وخطاب لكل منهم، وعاصم هو المدير الرئيسي، فكل منهم عضو مهم بالمؤتمر المنعقد.

ناقشوا أسباب الطلاق وارتفاع معدلاته بالسنوات الأولى للزواج، وسن الزواج الأمثل، تحدثوا عن تنظيم الإنجاب حتى استقرار الزواج، دونوا إحصائياتهم بالأرقام والنسب لكل دولة عربية مقارنة بالدول الأوروبية.

كان كل شيء يسير بتلقائية، ولكل منهم اقتراح يسمعه الآخرون بكل اهتمام، تم تدوين رؤوس الموضوعات وتقديم كل من الأعضاء لكلمتهم المختارة وعلى سارة أن تقوم بطبع "البروشورات" الخاصة لإلقاء كلماتهم بالمؤتمر بعد التعديلات والملاحظات.

كان لديها ثلاثة أيام تسبق اليوم المنشود للمؤتمر الذي سيحضره وزراء الصحة النفسية واستشاريين علاقات عامة وأسرية من مختلف الدول العربية.

الأمر أبسط مما توقعته، وكانت على أتم الاستعداد لحضور المؤتمر أمام الميكروفونات وكاميرات البث التلفزيوني.

جاء وقت الغروب، عزمت أن تخرج وتجلس بنفس المقهى،

حينما ذهبت نظرت صوب مكانه وجدته فارغًا، قررت أن تشتري مذكرة صغيرة وقلمًا لتدون بعض الخواطر والكلمات، وترسم خطوطًا لعلها ترتب حياتها المبعثرة التي أصبحت تتجاهل التعمق بها، حاولت أن تتحدث بفرنسيتها الركيكة لتصل لمكان منعزل يطل على البحر، يكون هادئًا ومضيئًا لتستطيع فيه الاختلاء بروحها المبعثرة، لم تستطع أن تتفهم فرنسيتهم جيدًا، ما تعلمه عن تلك اللغة لا يكفيها، خافت ألا تستطيع العودة بسهولة، فتحت هاتفها وهمت بالبحث على متصفح جوجل لأكثر من عشرة دقائق لم

تستطع أن تجد مكانًا بسهولة، علمت أنها يتوجب عليها اصطحاب أحد سكان البلدة ليرافقها،

وهي بحال لا تريد أن يشاركها أحد أوقاتها.

بعد أن سارت بضعة أمتار قررت أن تعود لنفس المقهى الذي أنسته بزاوية بعيدة عن المارة والتشويش.

❋ ❋ ❋

- 10 -

على الجانب الآخر، كان يعيش بدر هناك، يفكر بها بكل الأوقات يمرض وينتكس ثم يعود لعمله، ويتفانى به، يضيع جميع أوقات الفراغ بالانشغال، فتظهر هي من بين الفراغات لتومض بعقله، لتئن بقلبه، يتحدى الليل بأن لا يسكنه، فيستقيظ باكرًا، يجول بين المشاريع المعمارية تحت أشعة الشمس، لعله يخلد إلى النوم بمجرد عودته مساءً، لكن النعاس يتلاشى بمجرد لمس وسادته، أي لعنة تصيبنا من الحب، لماذا يحلق بنا في النهار، ويسكننا بالمساء؟!

((أشعر كأنها تطوف حولي في مدار كالقمر، أراها لكني لا أستطيع لمسها!!))

هكذا بدون مقدمات اختفت!

لو كانت فقط تخبرني لماذا!

لو كانت فقط تضع لي حججًا للغياب!

لو كانت ودعتني وتركتني أبكي بين ذراعيها!

ألم يحق لي وداعها وداعًا يليق بجنوني بها!

كيف تنصلت مني بمنتهى الهدوء ورحلت!

لماذا تركت خلفها كل تلك الأسئلة بلا أجوبة؟!

كيف كانت بقربي، ثم فجأة اختفت وذهبت حيثما شاءت

وتمارس يومها وتأكل وتنام!

ألا يلدغها الضمير! ويعذبها الشوق! ويتملك منها الجنون والحيرة كما فعلوا بي؟

لماذا على من يحب أكثر أن يتعذب بعمق أكبر وأشد.

كنت أشعر في بعض الأحيان أنني أريد عقابها، كانت مجرد أفكار تتملكني حينما يشتد الحنين بصدري، سرعان ما أتراجع وأخاف أن أذيقها مرار نفس الكأس الذي تجرعته، الحب لم يكن يومًا انتقامًا يا سلمى.

أتصارع بين قلبي وعقلي.

الألم الذي أشعره يجزم لي بأنه حب

نوبات الخوف من فقدك تؤكد لي أنه حب

الآه المتَّقِدَة بصدري، أحلامي بكِ، وصحوتي بحثًا عنكِ

جميع الأشياء التي تحدث لي تقترن بحبي لكِ

لا أعلم لماذا يتلازم الوجع والعذاب بالحب؟!

لماذا كلما زاد حزننا؛ زاد الحب بنا، وكلما زاد أنيننا انغرس بنا الحب إلى الأعمق!

لمَ يثبت الحب أنه حي وينبض بالألم؟!

قرأت ذات مرة أن الألم هو من يدفعنا لأن نبدع ونكبر ونزداد عظمة

وأنه يؤثر فينا ضعف ما تفعله اللذة.

وها أنا اليوم، ألمع في عملي وأزداد نجاحًا، لكني قادم إليك، سأتخطى الحواجز التي وضعتها لأصل إليك، لتعلميني ما دواء قلبي الذي لم يهدأ منذ غادرتيني.

بينما هي جالسة بالركن الهادئ بالمقهى كانت تكتب:

((بدر اشتقت إلى أيام لم أعشها معك، ليتني لم أرحل بمشاعر معلقة لم يكتمل نموها بعد، غيابك أضاع مني الكثير

أنت من دق بابي بعدما أماته صدأ حزني، ليتني سمحت لك بتفحص قلبي، أن أجلس أمامك ممدة على الشيزلونج وأنا أتحدث معك عن كل ما مضى بي وكل ما أوجعني، وعن مخاوفي ومشاعري لك.

لمَ بعدت وأنا لم أقوَ على البعد؟، أضعت الكثير مني ومنك، ترى الآن ما أصابك بعدي؟))

قلبت سطورها بعد أن تخللتها دمعة أذابت بضعة حروف، صنعت منها رتوشًا توحي بألمٍ لا يُنسى.

ثم رسمت خطوطًا وأشكالًا وظلت تحرك قلمها ذهابًا وإيابًا على الصفحة حتى صنعت منها شبكة أحاديث مثل التي تدور بعقلها التائه، حتى قفزت الأفكار جميعها خارج رأسها إلا عن فكرة واحدة تبعد كل البعد عن حيرتها!

ماذا إذا كان ذلك المؤتمر من توصيات رائف، ولم يكن اختيارًا من قبل الجامعة التي تعمل بها، لمَ هي تحديدًا تم اختيارها؟!

تذكرت ما كان يمسكه رائف بيده حينما دلفت مكتبه قبل أسبوعين وخبأه بسرعة، تستطيع الجمع بين اللوجو الخاص بالقناة التي ستذيع المؤتمر واللوجو المطبوع على الورقة وقتذاك.

ربما كان يرشيها للبقاء معه ما بقي من العمر بصلاحياته،

صرخت من داخل رأسها إلى صدى أحشائها:

إن كان هو المتسبب في مجيئي إلى هنا فلا يعنيني إكمال رسالتي أو عملي أو وجودي بجوار من يريدني أن أبقى بجانبه رثاءً لحاله، لم يتبقَ من عمري الكثير حتى أضيعه بلا مشاعر ولا مستقبل ولا أطفال ولا حياة، أنا لست بقطعة أثاث من إيطاليا ولا سجادة مزخرفة من تركيا،

لم يشترِ وجودي وسنوات عمري معه، قررت ألا أستمر، إذا استلزم الأمر أن أبتعد عن تلك البلدة نهائيًّا بلا رجعة بلا رهف بلا رائف.

وبينما تقول بالقلم بين الدوائر والنقاط والمتعرجات وجدته يقول في هدوء بلغة عربية متأرجحة:

- أعتبر إنك فنانة أو بتنافسيني بالرسم؟ مع إني مش شايف أي رسم.

تفاجأت ونظرت نحوه فاستطرد يقول سريعًا:

- آسف، أنا بامزح معك

ثم مد يده بالمصافحة:

- (يوسف) من المغرب، وانتِ؟

بادلته المصافحة وتنحنحت ثم اعتدلت بجلستها واستطردت بتوتر:

-أهلًا بيك، وأنا سلمى

-لهجتك مصرية، أنا خايف أحكي مغربي ما راح تفهميني هاحاول أكلمك مصري قد معرفتي بيه،

ثم تنحنح مستبدلًا نبرة صوته ولهجته قائلًا:

-حاسس إني شُفتك هنا قبل كدا؟

- أيوة أنا جيت هنا من يومين باخد قهوتي، وباشوفك وانت بترسم.

جذب كرسيًا وجلس بطاولتها بمسافة تبعدها قليلًا وقال:

- وأنا بارسم باكون برًا الدنيا تمامًا، بس شُفتك مرة للحظات بس حفظت وشك وملامحك، وكنت متأكد إنك غريبة عن هنا وعيونك باين إنها عربية.

- شكرًا على ذوقك، حضرتك رسمك هايل ممكن أشوف رسوماتك من قريب إذا سمحت لي.

شرد قليلًا ثم قال:

-أنا ممكن أرسمك وأهديكِ اللوحة، إيه رأيك؟

أومأت برأسها إيجابًا وهي بكامل حماسها، أعد عدته وأوراقه وبدأ يخط خطوطًا منمقة وعيناها تحاولان أن تذهبا إلى ذكرى دون أن تعود حتى تسكن بلا حراك.

أن تُرسم لها صورة من الأشياء التي تمنتها يومًا، لكن ما حققتها، كانت متلهفة لرؤية ملامحها مرسومة.

مرت خمسة وأربعون دقيقة وهي تسبح بذكرياتها، إلى أن رفع اللوحة نصب عينيها لتجد ملامحها مجسدة باللون الرصاصي والأسود تكاد تنطق من جمالها شاردة كما كانت ومعلقة دمعة على مقلة عينها اليمنى تقف سابحة على المدمع.

انفجر منها صوت السعادة المختلط بالمفاجأة وشكرته كثيرًا على اللوحة الرائعة حتى لاحظ بعض الجالسين من حولهم وصفقوا بحرارة وبعبارات تشجيعية واقتربوا يتساءلون إن كان باستطاعته رسمهم مقابل ما يطلبه ماليًّا، فاعتذر على عدم مقدرته وشكرهم لحسن تعليقهم وأغلق أدواته وهم بالنهوض، قال لها بتردد: إيه رأيك تشوفي باريس معايَ.

أخذا يمشيان سويًّا بشوارع باريس ويجلسان بالقرب من نافوراتها الرائعة ويلتقط لها الصور التذكارية بجهاز المحمول الخاص بها.

تحدثا كما لو يعرفان بعضهما البعض منذ أيام، علمت أنه كان مهتمًّا بالرسم منذ شبابه وكانت له صفحة على "الفيس بوك" بها الكثير من المعجبين حتى صادف إحداهن تتابع أعماله، كانت من أوائل من يبادرون بوضع إعجابٍ أو تعليقٍ، ظلت تتابعه أكثر من ثمانية أشهر، هي تنتظر لوحاته وهو ينتظر مبادرتها بالتعليق، حتى واتته الشجاعة وقرر أن يحادثها ويتعرف بها وتفاجأ حين علم أنها تعيش بفرنسا لم يكن يعلم لأنها كانت تخفي كل معلوماتها الشخصية.

ظلا يتحادثان طيلة عامين، عشقا بعضهما حد الجنون، عرف كل منهما تفاصيل الآخر،

لم يلتقيا ولم يصارحها بالحب حتى تمكن من إدخار ما يمكنه لعمل رحلة إلى باريس بتذكرة طيران ذهابًا وإيابًا، حين التقيا كانت بسيطة الجمال كما عرفها من صورها، كانت فرنسية الأب ومغربية الأم أيضًا،

وفي جنون الحب تزوجا بسرعة فائقة، ووفقًا لجنسيتها تم استخراج إقامته بسهولة بعد بضعة شهور،

عاشا الحب كما لم يكن هناك عشاق على وجه الأرض، كأن لم يحب قبلهما أحد ولا بعدهما، رغم استقرارها ماديًّا إلا أنها كانت بسيطة ومتواضعة.

تقاسما الحلم حين افتتحا أكاديمية لتعليم الرسم والفنون بأقسامها، كان لها الفضل في ذلك، وكانت إدارة الأكاديمية مسؤولية على عاتقها، أما هو فمسؤوليته أن يبدع بالفن والرسم واللوحات ويعلم طلاب الأكاديمية، حتى تصدرت لوحاته الكثير من المعارض العالمية وبيعت بأسعار لم تخطر ببال، أصبح هو الآخر ثريًا ومشهورًا، ثلاث سنوات وهما في حب وجنون وأحلام، حتى ازداد ولعه بفرنسا وباريس وقرر الحصول على الجنسية ساعدته وساعده أبوها وخصوصًا بعدما جاء خبر حملها الذي فرحا له كثيرًا، وقبل استكمال فرحتهما، مات الطفل بأحشائها دون أن تعلم، دون أن تشعر، إلا عن أعراض تسمم متأخرة، لم يستطع الأطباء أن ينقذوها من الموت، ماتت جميلة ومات طفله منها ولم يعد لديه منها سوى ملامح محفورة بعقله وقلبه، لم يعد يرسم سواها، ترك الرسم إلا عن ملامحها.

- قد إيه إحنا شبه بعض، أنا برضه جوزي مات بعد جوازنا بشهر، حتى طفلنا مات في نفس اليوم.

واستطردت تقص عليه قصتها مع الحزن ومع الوحدة، حتى التقت بدر، حتى فارقته وهربت بعيدًا عنه، حتى تخبطت وألقت بمصيرها مع رائف:

- كنت مواعدة نفسي ما اسلمش قلبي لحد بعد عامر، علشان كدا هربت من بدر، ولما شُفت رائف افتكرت إني لما اتجوز من غير حب هاكون وفية ليه، بس أنا وجعت نفسي ألف مرة، لأنه ما طلعش الشخص المناسب ليَّ من كل الاتجاهات، أنا ورطت نفسي في جرح جديد.

- وليه ما تصححيش الوضع دا؟ ليه سايبة أيامك تروح منك؟ ليه قابلتِ الشخص الصح وبعدتِ عنه؟ ارجعي واحسمي أمورك، هييجي وقت تندمي على كل لحظة سبتِ فيها حياتك للتيار، سبتِ الدنيا تاخدك يمين وشمال على مزاجها، فيه حاجات قدرية بنضطر نقبل بيها علشان مهما عملنا مش هنقدر نتدخل فيها، إنما اللى انتِ فيه دا بإيدك تغيريه، ارجعي لنفسك القديمة وصحي اللى مات جواكِ.

- ودا قراري اللي وصلت له بس مش قادرة أنفذه، بس وجودي هنا فرق معايَ كتير قوي، أكيد هاخد القرار الصح.

تبادلا الأرقام والحسابات الإلكترونية أصبحا أصدقاء في غضون ساعات، الصداقة حقًّا تبقى صداقة حينما تخلو من الحب والمشاعر، حينما نقنها في البوح والفضفضات والاستماع، كان من الرائع أن يكون يوسف صديقًا لها وكان من الرائع أن تكون سلمى صديقته رغم أنها في غضون أيام ستغادره وترحل إلى رائف من جديد.

عُقد المؤتمر وفقًا لما خُطط له، ونُشر عبر صفحات "الفيس بوك" فيديو وصورًا وانتقل عبر قنوات إذاعية.

شعرت أن الأضواء مسلطة صوبها، شعرت أن كل شيء كان رياءً، وأن اختيارها بالمؤتمر دونًا عن غيرها مدفوع قيمته من قِبل رائف، لمَ لا؟! يبدو أن الأمر مؤكد، شعرت بالشفقة تجاهه وتجاه نفسها،

لماذا تقبل بأشياء مزيفة؟، لماذا تتزين بزجاج متهشم يؤلمها، ويراه الجميع ماسًا لامعًا؟!

الحقيقة لا يراها سوى من عاش تفاصيلها.

بعدما انتهى المؤتمر، ذهبت إلى عاصم، لتسأله:

- رائف كلمك آخر مرة إمتى؟

فرد مباشرة:

- قبل المؤتمر بدقايق

- يعني رائف هو اللي موصيك عليَّ؟

صمت مشدوها من تسرع رده، وإيقاعه بالحديث بمنتهى السذاجة.

علمت أن رائف بالفعل هو من أرسلها للمؤتمر وأشرف على وجودها بالفندق، وهو من دفع جميع التكاليف، هو من دس السم في العسل، وأوصى الجامعة أن تدعم المؤتمر لكي لا ينكشف أمره.

أرسلت رسالة نصية إلى رائف:

شكرًا لكل الوقت اللي عشته معايَ ودعمتني فيه، وشكرًا على المؤتمر اللي كنت شاكة من اللحظة الأولى إنه بفضلك بس كنت باكذب نفسي، أنا مش هينفع أعيش معاك حياتي بالشكل دا أبدًا، انت بتقدم كتير وأنا ما عنديش

مقابل، طلبي الأخير اللي باتمنى إنك تحققهولي إننا ننفصل ويا ريت من غير ما نتواجه علشان نسهلها على بعض، بعد ما هارجع هاخد كل حاجتي الشخصية بس وهارجع بلدي.

تلقت الرد بعد خمس ساعات:

شكرًا لأنك دخلتِ حياتي لفترة قليلة وخليتيني أحسن، اعتبري إن الطلاق حصل ويا ريت ما يكونش تركك للبلد بسببي، عمري ما هارضى بكدا ولا هأذيكِ أبدًا، تقدري تعيشي وتشتغلي ولو احتجتيني أي وقت هتلاقيني جنبك.

قررت المكوث أسبوع آخر في باريس على نفقتها الخاصة لتشعر بالحرية وتتحرر من قيودها وأفكارها، زارت فيها مختلف الأماكن حيث كان يوسف هو مرشدها السياحي الذي يصطحبها إلى أجمل الأماكن وأبهاها، ويتمشى بها بأضيق الطرقات والكباري.

زارت معه أكاديمية الفنون الذي شعرت منذ أن خطت قدماها في اللحظة الأولى، بروح جميلة تطفو في كل تفاصيل المكان.

وجدت لها لوحات في غرفة رسمه الخاصة التي سمح لها برؤيتها بعد أن توطدت علاقتهما باليوم الخامس، رسم لها صورًا بمختلف تفاصيلها وملامحها وابتسامتها وشجنها حتى رأت أجمل اللوحات وهي مرسومة تحمل طفلًا تعانقه بين يديها.

جلست معهم بورش تعليمية مع الطلاب، أمسكت الفرش والألوان، علمها كيف تمسك القلم الرصاص لترسم خطوطًا وظلالًا وملامح حقيقية

مجسدة، لم يكن لديها الموهبة الحقيقية لأن ترسم، لكنها كانت تريد أن تتعلم شيئًا عن الرسم، حاولت أن ترسم صورة لبدر، رغم ضعف موهبتها، وعدم اقتناء صورة له لترسمها من خلالها، كان عليها أن تعتمد على خيالها فقط، لم تستطع أن تطابق صورته ولا إجادة الرسم كما خُيل لها.

ودعت يوسف بالمطار، حزنت لفراقه كما لو أنهما أصدقاء من زمن بعيد، تمنت له الخير وتخطِ الصعاب، شكرته كثيرًا على منحها القوة لاتخاذ قرار مصيري بحياتها، تواعدا أن يلتقيا يومًا ما وأنها ستعود إلى باريس قريبًا.

❋ ❋ ❋

- 11 -

وصلت إلى مطار الدوحة، وما بين صالة المغادرين والقادمين يتواجد هو بأحد المقاعد حيث لا تراه.

بذل كل جهده ليأتي لها ويبحث عنها ويظل بجوارها، يخفق قلبه ويؤلمه كلما تذكر أنها بعصمة رجل آخر تنتمي لاسمه، يتمنى لو يحطم جدران هذا المطار ويبحث عنها بكل شارع وبيت حتى يجدها ويسألها أسئلة كثيرة لم يجد لها إجابات حتى الآن.

كاد أن يصيب أبويه الجنون لاغترابه عنهما، وهما يعلمان سوء حالته الصحية وانتكاساته المفاجئة وخاصة بعدما دخلت سلمى بحياته، حاربته أمه كي لا يذهب، لكنه ظل يتقدم للوظائف الإلكترونية لمختلف الشركات، لم ييأس، شهورًا وهو يرسل ولا يتلقى إجابات، حتى قُبل بوظيفة بالدوحة.

كانت تمر الأيام وهو يتسارع معها لينهي إجراءاته، بعدما استخرج جواز سفره اكتشف خطأً بالاسم الرابع له، اضطر أن يعود مرة أخرى للسجل المدني ومصلحة الجوازات تأخر أسبوعين عن موعد سفره المحدد، حتى جاء اليوم الذي ينتظره منذ شهور.

بصالة استلام الحقائب لم يكن لديها سوى حقيبة من الطائرة القادمة من فرنسا، حصلت عليها وأنزلتها أرضًا وأخذتها وهي تعود للخلف هاربة من الزحام، اصطدمت بها إحدى العربات التي تحمل الحقائب فانزلقت على

الأرض، ولأنها كانت ترتدي حذاءً أبيض ذا كعب مرتفع، أدى إلى التواء ساقها.

انحنى أحدهم ليتلقط السيدة ذات الجاكيت الأزرق التي انزلقت أمامه مباشرة ولم يلحق بإمساكها، كانت تصرخ من الألم، لكنه تعرف على رائحتها قبل حتى أن يلتقي بعينيها

سلمى!

يبدو أن الحياة تستجيب لرغباتنا حينما نعطيها كل طاقاتنا وأمنياتنا، لا تخذلنا حينما نظن بها كل الظنون الرائعة.

لا يعرف كيف يخفف من ألمها كيف يصافحها كيف يضمها إليه كيف يخبرها أنه بدر كيف يكون اللقاء الذي كان من دقائق حلمًا في خيال بعيد؟! تحقق بسرعة البرق.

بعد أن تألمت وتأوهت وهمت بالبكاء وهي تهمهم أنها لا تستطيع أن تحتمل ألم ساقها، تهافت عليهم أشخاص من النساء والرجال منهم من يعرض عليها الذهاب إلى أقرب مشفى لعمل أشعة وفحص ساقها وهو بجانبها ولم تلحظه حتى استوعب قليلًا ما يحدث ثم قال:

سلمى!

لم يستغرق التفاتها له سوى أقل من الثانية وفي تلك الجزء من الثانية قد تعرفت إلى صوته قبل أن تراه،

لوقوع عينيها عليه كان تأثيرًا آخر، نسيت ساقها وجميع من يتحدثون بجوارها، نسيت الحقيبة، أمسكت بيده بكت كثيرًا كثيرًا كما لو أنها لم تبكِ منذ سنوات.

تحدث أخيرًا: شكرًا ليكم جميعًا إحنا هنروح المستشفى

بدأ المتواجدون بالانسحاب حينما رأوا برفقتها رجل، منهم من ألقى عبارات: ألف سلامة، إن شاء الله سلامات وبقيت السيدة التي صدمتها بالعربة برفقتها تشعر بالذنب وتتأسف حتى أذنت لها سلمى بالذهاب.

حينما قامت مستندة عليه شعرت أن الألم أخف عما كان.

سرقها بأحضانه، ضمها إليه يخبئها بداخله، ضغط عليها بكل قواه، يحاول أن يتخلص من أيام الفراق التي عاناها، كانت تشعر أنها بحلم، لم تدفعه أو تبتعد عنه، كانت تحتاجه أكثر مما يحتاجها هو، أو كلاهما يحتاجان بعضهما البعض، توقف بهما الزمن لحظات مرت كالسنوات.

يقال أن صالات المطارات تشهد القبلات والدموع، لكن صالة الحقائب شهدت لهم عناقًا لن تنساه بعمرها كله.

كفكف دموعها وأخذها من يدها إلى أقرب مقعد قريب دون أن يتحدثا بكلمة، هناك كلمات تتحدث بداخلنا، وهناك عناقٌ يختصرآلاف الكلمات.

جلسا ثم تقطعت حروفه حتى استجمعها بكلمات مضطربة:

- كان نفسي أشوفك، ثم أشار إلى الخلف: أنا كنت شايفك في عقلي وخيالي وأنا هناك، وابتسم ابتسامة من القلب: ما كنتش أعرف إني هاشوفك بجد هنا وبسرعة كدا أنا مش مصدق.

ثم نظر إلى أصابعها خلسة ليبحث عن خاتم الزواج وعاد ينظر في عينيها الباكيتين.

- مش مصدقة إنك قاعد قدامي مش لاقية كلام أقوله

- ما تقوليش حاجة دلوقتي، هتقدري تمشي على رجلك؟

- في شوز هنا في الشنطة هالبسها

ساعدها في فتح الحقيبة وأخرجت منها حذاء أرضيًّا ارتدته وقامت مستندة عليه خطوة بخطوة وقام أحد العاملين بإخراج الحقائب خارج بوابة المطار.

كان الوقت تعدى منتصف الليل بساعة تقريبًا، استقلا سيارة أجرة من الخارج جلسا بالمقعد الخلفي كل منهما بجوار نافذة

- انت جيت هنا ليه وازاي؟

- أنا جيت على شركة هندسية اتوظفت من خلال الإنترنت

- طيب نازل لشخص معين أو مكان معين؟

- آه نازل في ماريوت تعرفيه؟

- آها أعرفه طبعًا، تخيل إني أنا كمان حاجزة فيه، إيه الصدفة دي؟

- حاجزة في فندق!! ليه؟

تنهدت من أعماقها ثم قالت:

- هاحكي لك كل حاجة، بس قول لي الأول اشمعنى اخترت تيجي قطر بالذات؟

ابتسم وقال بهدوء:

- هاحكي لك كل حاجة وهتحكي لي كل حاجة تعالي نروح الفندق الأول.

- ماشي

شعر كل منهما بارتياح، جميع أسئلته طارت من عقله حينما التقاها، يريد أن يفيض عليها بكل ما مر عليه بغيابها، هي الأخرى تشعر بالعرفان نحو القدر، نحو يوسف الذي أفاقها من ضياعها، بفضله كان لقاؤها ببدر وهي خالية من أي ارتباط برائف؟

كانت تفكر هل من الأفضل أن تسرد عليه قصتها أم تنتظر للتأكد من إنهاء إجراءاتها؟ تشعر بالحيرة والتردد في إخباره عن انفصالها حتى لا يتعلق بها ويأمل بعودتها له.

كانا ينهيان إجراءات الحجز بيهو الفندق، كانت تملأ الاستمارة فكتبت في حالتها الاجتماعية وللمرة الأولى أنها مطلقة، تنفست بارتياح عن تأنيب الضمير، ثم أخذت بطاقة لرقم غرفتها وعادت بخطوات متثاقلة إلى الجالس في انتظارها في اليهو على أحد المقاعد.

- أنا ورايا حاجات كتير قوي بكرة لازم أعملها وما ينفعش اتأخر عنها، بس هنتكلم النهاردا قبل ما ننام

لمعت عيناه لكلماتها، وسرح قليلًا ثم قال:

- اللي انتِ شيفاه أنا كلي تحت أمرك، أنا مستنيكِ.

- طيب ممكن أطلع أغير ونزل ناخد قهوتنا سوا؟

ابتسم ثم قال: قهوة وليمون.

ابتسمت هي الأخرى وهي تستعيد ذكرى لقائهما الأول.

بعد أن تبادلا أرقام الغرف، حيث أنه لا يقتني خط اتصالات خاص بالدوحة ولن يستطيعا التواصل عبر الموبايل، اتفقا أن يلتقيا بالجزء المطل على البحر كان هو الحاضر الأول في انتظارها بكل شوق ولهفة.

كانت ترتدي ملابسًا بسيطة وما زالت ساقها تؤلمها لاحظ من مجيئها على بعد أنها تسير بصعوبة.

- كان المفروض نكشف على رجلك، بس انا ما اعرفش أي حاجة هنا

- هاكون كويسة ولو الوجع زاد هاروح الصبح

- طيب كنتِ خليني آجي معاكِ ولا ما ينفعش؟

أخذت نفسًا من أعماقها:

- مش عاوزة أتعبك، احكي لي بقى إيه اللي جابك هنا؟

- مش عارف أبدأ منين، بس هاحكي لك، من أول ما اختفيتِ من حياتي وأنا بادور عليكِ في كل مكان ما كنتش عارف أوصل لك، رُحت بيتك، رُحت لك العيادة، سألت السكرتيرة بتاعتك وما قالتليش أي طريقة أوصل لك بيها، فتحت صفحتك على الفيس بوك، دورت على أصحابك وقرايبك، كنت بادور على أي حد يعرف حاجة أو يقدر يقول لي رُحتِ فين، لقيت أختك، دخلت كلمتها وسألتها عليكِ، قالت لي إنك بتجهزي لفرحك وهتتجوزي في خلال أسبوع، للأسف وصلت لها متأخر قوي، ما كانش ينفع أقتحم حياتك

بعد ما عرفت، ما دام اخترتِ الشخص دا وقلعتِ الأسود علشانه وقررتِ تعيشي معاه الباقي من حياتك يبقى هو أكيد شخص مناسب ويستاهلك، كانت دي أصعب فترة مريت بيها، كل ما افتكر إنك هتعيشي مع راجل غيري كنت باتعب.

شعرت بحرج شديد عما فعلته وتذكرت اختفاءها من حياته دون سابق إنذار، قالت بصوت خافت: أنا آسفة

- ما تتأسفيش اللي حصل حصل خلاص

بعد فترة من اختفائك بدأت أحس بضيق تنفس وإغماءات، هلاوس، نفس الحالة اللي كنت فيها وقت العملية، دخلت المستشفى، بس طبعًا ما قدرتش أرجع مستشفى والد بسنت لأني فسخت خطوبتي بعد آخر مرة اتقابلنا فيها.

- أنا لحد دلوقتي مش فاهمة ليه فسخت خطوبتك ببسنت؟

- ما اعرفش أنا عملت كدا ليه، بس اللى متأكد منه إني ارتحت بعدها، فيه وقت بنحس إننا خلاص عرفنا قرارنا اللي تايهين فيه

ضغطت على شفتيها ونظرت للأسفل وتنهدت بحرقة ثم قالت:

- كمل كلامك

- أنا حبيتك يا سلمى، حبيتك من أول مرة شُفتك فيها، ومش ناسي أنا حسيت بإيه أول ما شُفتك، ومش قادر أوقف إحساسي بيكِ، فيه حاجات كانت ناقصاني ما حسيتهاش إلا معاكِ وعاوز أعيشها معاكِ، بعدتِ عني فجأة من غير حتى ما تعرفي إيه اللي جوايا، أنا قلبي اتوجع فوق الوجع ألف مرة في الكتمان.

كان يتحدث بهدوء نابع من أنين صدره الذي سمعته رغمًا عنها وعنه حتى قاطعت صمته الذي يسترسل فيه حديثه الذي يؤلمها:

- أنا ما اقصدش أوجعك أبدًا

- قبل ما تدخلي حياتي أنا ما كنتش حاسس بأي حاجة ولا أي حد، كنت إنسان متبلد المشاعر، بارد، انتِ ربطتِ بيني وبين حاجات كتير أول مرة شُفتك حسيت إني أعرفك من زمان قوي قبل ما اسلم عليكِ كنت عارف ملمس إيدك، حافظ حرارتك، كنت عارف ريحة برفانك، عينيكِ عرفتهم بمنتهى السلاسة... أول مرَّة جيت لك فيها بخصوص المبلغ واتحججت وقُلت إني جاي أكشف بعد ما بسنت أقنعتني إني أروح لك ومن أول ما شُفتك قلبي اتعلق بيكِ، نزلت من عندك وانا حاسس إني أعرفك حاسس إني باحبك قوي مش مجرد إعجاب دا حب حقيقي بس إمتى وازاي حبيتهولك؟ ما اعرفش بجد ما اعرفش.

حسيت بعدها إني ما كنتش باحب بسنت، كانت في حياتي مجرد سند، وجدعنة وصديقة مش أكتر، عارفة يعني إيه بدأت أعرف نفسي لما شُفتك، أنا بقالي خمس سنين تايه عن نفسي وأخيرًا رسيت على بر.

كانت تخالطها مشاعر الاستغراب والمفاجأة من كلماته ثم أكمل:

ما تستغربيش من كلامي لو فضلت اتكلم هتلاقيني عارفك كويس، وممكن أوصف لك تفاصيل فيكِ، أنا مش حاسس إني غريب عنك انتِ فاهماني يا سلمى؟!

فاكرة لما جيت لك الشقة، كان نفسي آخدك في حضني ما قاومتش إحساسي ورغبتي فيكِ، لأني حاسس إنك ملكي مش ملك حد تاني.

اختصرت عنه كلامًا طويلًا فقالت:

- أنا اتطلقت

انتفض بمفاجأته وفرحته التي حاول كتمانها:

- أنا باعتذر لك بس بجد مش قادر أداري فرحتي، بس أتمنى يكون قرارك صح

- أنا المفروض كنت أعمل كدا من زمان، أنا اللي اتأخرت قوي في القرار دا. حصل إيه ممكن تحكي لي؟

- سؤال سهل بس إجابته صعبة هاجاوبك زي ما انت جاوبتني،

أنا فعلًا ارتحت بعد ما عملت كدا، أنا ما رجعتش هنا إلا لما اتأكدت إن الإجراءات تمت بتوكيل للمحامي بتاعي وخلص كل حاجة فاضل لي شوية حاجات بسيطة لازم أكون حاضرة فيها وهاخلصها بكرة.

ارتاح قلبه حينما أخبرته أنه سيكون بمستقبلها القريب الذي بدأ للتو.

أمسك يدها بين يديه وقال:

- ما تبعديش عني تاني أبدًا.

أومأت برأسها بالإيجاب وعيناها تفيض بالدموع.

رعشة سرت بجسدها، انتشاء الحب، انتصار المشاعر، فرحة أنثوية أطلقتها أوردتها وطبعتها على وجنتيها تعلن عن حب دافئ أصبح يسكن ضلوعها دون تردد.

طال الحديث إلى أن اتفقا أن يرتاحا قليلًا كل منهما بغرفته،

حيث ستذهب صباحًا لتنهي أمرها تمامًا مع رائف وهو سيذهب إلى الشركة لاستلام وظيفته الجديدة، وإنهاء بعض الإجراءات الرسمية،

كان يفكر بأمر موعد الطبيب الذي حجز معه، لكنه يشعر الآن أنه معافًى تمامًا دون أي مشاكل صحية، لا وخز بالقلب، ولا هلوسات، يفكر أن يقلع تفكيره عن زيارة الطبيب، ما دام قلبه ارتاح للقائها.

بمجلس الأسرة وفقًا للموعد المحدد تم استكمال إجراءات الطلاق دون أية مشكلات، طلبت أن تنقل إقامتها وكفالتها لجهة أخرى، لتنهي أي صلة تربطها به دون أن يهاجم حياتها أو تنتهك خصوصية مشاعره لها، ترك لهم القاضي فرصة ليتحدثا ربما يتراجعا في قرارهما:

- كان نفسي نكمل مع بعض

- انت إنسان كويس قوي يا رائف، بس للأسف ما ينفعش نكمل، أنا باتمنى لك الخير وممتنة ليك إنك احترمت قراري وقدرت موقفي، بجد شكرًا ليك

- أنا عمري ما كنت هاغصبك إنك تكملي معايَ، وعمومًا لو احتجتِ أي حاجة يا ريت تكلميني مش هاتأخر عنك أبدًا، وكل حقوقك هتستلميها من خلال المحامي، وفي أي وقت تقدري تاخدي حاجتك من البيت.

خرجت وجهتها إلى رهف، قررت أن تلطف الأمر معها لأنهما أصدقاء منذ الصغر، كان الطريق مزدحمًا وأفكارها أكثر ازدحامًا.

الفراق حاد والحديث أثناءه موجع ينغرس بالقلب دون رحمة ولا شفقة، اليوم فقط علمت لماذا يفارق المحبون بعضهم البعض دون أعذار ودون أسباب، ينقطعون عنا كما لو سرقهم الموت المفاجئ، لم أكن أعلم مرارة الكلمات التي تحاول بث أملٍ منقطع.

رأيت بعينيه حبًّا أخافني، حينما دقت نواقيس قلبي تذكرت أني على حافة بدايات الحب الجديد ، ترى سأهرب عنه بعيدًا كي أستعيد ذاتي أو ألتصق به دون فراق؟!، لا أستطيع إخبار أشواقه المُتَّقِدَة أنني بحاجة لوقت كاف، وهو الذي حمل نفسه وجاء للبحث عني !

نفضت جميع أفكارها وحديث نفسها وأوقفت محرك سيارتها.

دلفت نفس المنزل الذي جاءته قبل عام مضى سريعًا حينما استقبلتها به وأعدت لها غرفتها الخاصة، تحبها رهف وهي الأخرى لكن هل سيبقى الوضع كما هو بعدما تزوجت ثم انفصلت عن أخيها!

بصالون البيت الذي يؤلم قلبها فراق أصحابه جلست وانتظرت خروجها كانت على وجه لم تعتدها به وسلامها باردًا خاليًا من الترحاب والصداقة الحميمة التي كانت تجمعهما.

- ازيك يا رهف عاملة إيه يا حبيبتي

ردت بجمود واستياء على ملامحها:

- تمام، يا رب تكوني ارتحتِ بعد اللي عملتيه.

- يا رهف انتِ صاحبتي وصديقة طفولتي وقريبة مني ولازم تفهمي موقفي، إحنا مش صحاب وبس، إحنا اخوات، وأنا عمري ما هاقدر أخسرك،

وعمري ما هابعد عنك وأكون قليلة أصل وأقول خلاص انتهينا، اللي بيني وبينك أكبر من كدا ومش هانسى انتِ ازاي وقفتِ جنبي، وعاوزة لما أشوفك ما تداريش وشك عني ولا أداري وشي عنك، الوشوش بتتلاقى يا رهف والدنيا صغيرة، والجواز والطلاق نصيب، واحنا ما قدرناش نكمل

- علشان أصيلة تبيعي العشرة بالساهل؟!، دا كان بيتمنى لك الرضا، أنا ما شُفته قصر معاكِ في أي حاجة، ليه سِبتيه؟

- والله يا رهف ما هتفهميني، ولا هينفع أقول لك ليه انفصلنا ولا حتى رائف هيقول لك بس دا أحسن لينا إحنا الاتنين.

- هو مش هيتكلم لأنه بيحبك.

قامت لتودعها قائلة:

-الكلام ما لوش لزوم، فيه حاجات بتتخبى في صندوق أسود بتموت معانا، ما ينفعش نعيب في بعض، إحنا أرقى من كدا ورائف كمان إنسان هايل ودايمًا هافتكره بالخير، أنا كان يهمني تفضلي صاحبتي بس يمكن الوقت مش مناسب للكلام دا، لكن الأيام بتداوي يا رهف ومسيرنا نتقابل، يمكن في يوم تعذريني، خلي بالك من نفسك وأنا قريب هاخد حاجتي من المستشفى وطبعًا معاكِ رقمي إذا حبيتِ تكلميني.

ثم قبلتها قبلة وداع استقبلتها الأخرى بصمت وجمود.

أخذت يأسها في فقدان أحد أعز صديقاتها وخرجت إلى سيارتها تستكمل تفكيرها الطويل.

ذهبت للفيلا التي كانت تسكن بها تلك التي لا روح فيها ولا حب، تلك التي قضت بها ليالٍ طويلة فقدت فيها جزءًا طويلًا من روحها المنطفئة، حاولت ألا تتذكر أيًّا من ماضيها والجزء المعتم الطويل الذي انقضى من حياتها، فكرت وهي تصعد الدرج أن تلقي بالخمس أعوام الماضية بداخلهم وترحل.

قاربت أن تتلقى امتحانها لتحضير رسالة الدكتوراة التي أهملتها في الآونة الأخيرة، جمعت أغراضها الشخصية المهمة فقط تركت جميع هداياه القيمة والثمينة أخذت ما كانت تشتريه بِحُرِّ مالها فقط، قررت ألا تأخذ معها ما يذكرها به.

حزمت أمتعتها على أن تأتي أحد شركات التوصيل تنقل لها الحقائب إلى مسكنها الجديد.

كان عليها أن تدبر إحدى الشقق الصغيرة لتناسب احتياجها الصغير.

اتصلت على أحد الأرقام المرفقة بإعلان عن مجمع سكني راقٍ بأحد مناطق الدوحة الراقية، حرصت أن يحوي صالة ألعاب رياضية وحمامًا للسباحة وحديقة بمساحة واسعة.

تذكرت أنه ينتظرها كالمجنون بالفندق ونسيت أن تترك له رقم هاتفها، هاتفت الفندق وانتقلت لرقم غرفته لم يجب

فقررت أن تمر عليه بالفندق ثم يذهبا معًا لمعاينة مسكنها الجديد

دخلت إلى بهو الفندق لم تجده، ثم بحثت عنه في الركن الخاص بالمشروبات، خفق قلبها، خافت أن تكون قد عاودته إحدى نوبات القلب

هربت دماؤها من أطرافها ودبت فيهم البرودة كانت تبحث عنه هنا وهناك ثم خطر ببالها أن يكون بنفس ذات المكان الذي قضيا به سهرتهما البارحة، وجدته مستلقٍ أمام البحر شارد بالطبيعة

ارتاحت أنفاسها وبدأ نبض قلبها يهدأ قليلًا عندما رأته، وقفت أمامه قائلة:

- ينفع كدا؟

اعتدل هو الآخر

- ينفع انتِ كدا؟

- يا سلام؟

- يا سلام انتِ؟

- ما تقلدنيش، أنا بالف عليك بقالي نص ساعة

- وانا مستنيكِ من الصبح!

- أنا خُفت تكون مشيت

- أمشي بعد ما لقيتك ازاي يعني؟

- أنا آسفة إني اتأخرت عليك

- ولا يهمك، طمنيني عملتِ إيه، خلصتِ كل حاجتك؟

- فاضل لي حاجة واحدة بس

- إيه هيَّ؟

- أشوف شقة صغيرة أعيش فيها وعاوزاك تختارها معايَ

- طيب يلا نروح مستنية إيه

- هتنزل كدا ولا حابب تغير؟

- كويس جدًّا كدا

بالطريق تحدثا عما فعلته في الصباح، طمأنته أن أمورها تسير بالاتجاه الصحيح، قادت بشوارع الدوحة وحاولت أن تصف له الأماكن.

- عارف يا بدر أنا لما بامشي هنا باشم ريحة بابا في كل مكان، أنا عشت معاه وقت جميل، أيام ما كانت البلد دي بسيطة وناسها طيبة

بس كل حاجة اتغيرت زي ما اتغيرنا، بقت جميلة بس معقدة، بس باحبها وباتمنى أفضل فيها، على الأقل دايمًا بالاقيها فاتحة لي إيدها وبتاخدني بالحضن، ما بتخذلنيش، يمكن اللى حصل دا كان سوء قرار مني أنا اللي هربت في الاتجاه الغلط.

- هربتِ مني ليه يا سلمى؟

- خفت يا بدر خفت أتورط في حب حد مش من حقي، خفت من اندفاع مشاعرك، خفت إني أنجذب لك وانا مش حاسة، علشان كدا كان لازم أهرب وأبعد من غير ما أقول، أنا كنت شايفة إن بعدي عنك هو الصح وقتها، بس أنا حاسة إن المرة دي أنا ماشية في الطريق الصح.

- انجذبتِ لي؟

- يعني ما حسيتش بيَّ؟

- خايفة تقولها؟

- خلي كل حاجة تتقال في الوقت المناسب، الأيام الجاية كلها بتاعتنا أنا وانت.

شعر بقلبه يخفق ويزداد نبضه، لكنه اليوم ينبض بلا ألم، شعر أنه يمتلك الحياة بأكملها وهو برفقتها.

وصلا إلى المجمع السكني، دلفا المبنى الذي تتواجد به الشقة.

مدخل البناية رائع، رافقهم أحد الأفراد العاملين بواسطة الإدارة إلى شقة بالطابق الثاني، بسيطة ورائعة تتكون من غرفة واسعة بها شرفة تطل على حديقة هادئة، ومطبخًا صغيرًا وحمامًا كلاسيكيًّا، بها جميع الأثاث الذي تحتاجه عدا القليل من التفاصيل واللمسات الخاصة بها.

- إيه رأيك؟

- حلوة جدًّا وشبهك

نظرت للعامل ثم سألته عن كيفية استئجارها، رجعوا إلى مكتب الإدارة واطلعت على شروط العقد وبنوده

- ممكن آخد عقد للشقة اللي قصادها؟

فغرت فاهها استعجابًا لما يقوله، استأذنت مسؤول العقود والإيجارات أن يخرجا قليلًا ويعودا.

- انت هتأجر شقة هنا ليه؟ مش المفروض فيه سكن تبع الشغل؟

- لأ مش هاسكن تبع الشغل علشان عاوز أكون جنبك

- انت فعلًا مجنون

- أنا هابقى فعلًا مجنون لو بعدت عنك لحظة بعد النهاردا

دخلا إلى المكتب مرة أخرى، مضيا عقدين لاستئجار شقتين مقابل بعضهما البعض، أصبحا جيرانًا، كانت تشعر بالتجلي والإشراق، تشعر أن قلبها سيخرج من بين ضلوعها ويصيح فرحًا ويغني طربًا.

كانا يمشيان بين أشجار وطرقات المجمع ويتحدثان:

- هتروح الشركة بتاعتك إمتى؟

- هاروح لهم دلوقتي بعد ما نمشي من هنا علشان أستلم الشغل

- انت بجد ناوي تقعد هنا على طول؟

- أكيد أنا ناوي أفضل هنا طول ما انتِ هنا، ولا انتِ ناوية ترجعي مصر؟

- لأ مش هارجع، أنا ماليش حاجة في مصر يا بدر أنا مرتاحة في الوحدة، أمي ماتت وأبويا مات وأختي مرتاحة في حياتها، قول لي بعد ما فسخت خطوبتك ببسنت ويلاقونا مع بعض بعد ما سلمتك ليَّ بإيديها هيبقى إيه الوضع؟

سرح بذلك اليوم الذي أحل فيه خطبته ببسنت وهو يعلن لها عن عدم شعوره بها سوى كأخته فقط، جن جنونها وهي تسأله كيف كرهها فجأة، كيف وهما بخطبة عامين ونصف عام؟ سألته عن الأسباب، حاول الهرب منها، أخبرها أن لا مستقبل له معها، نوبات واضطرابات، نصف إنسان هو لا أكثر، مشاعره متأرجحة طوال الوقت، أخبرها بنصف الحقيقة، بنصف الواقع، كانت سلمى هي النصف الآخر المتواري بقلبه المريض الذي يعلن تماثله للشفاء فقط في وجودها بحياته.

- بسنت صفحة واتقفلت، يا ريتني بس أقدر أسدد الدين اللي في رقبتي، لعامر وانا أرتاح من أحلامي بيه.

- انت لسَّا بتحلم بيه؟

أخذ شهيقًا وأتبعه بزفيرٍ آلم قلبه

- أيوة يا سلمى ومن شهر جالي في الحلم وقال لي سافر لها وهتشوفها.

شهقت رغمًا عنها ووضعت يدها اليسرى مقابل فمها، صمتت ولم تجد ما تعبر به أو ترد عليه به، صمتا لثوان ثم أردفت:

- أنا باخاف يا بدر، لما بتقول لي إنه حاسس بيَّ باخاف وبابعد، باحس إنه معانا، أنا ساعات باشوفه فيك.

- أمسك بيدها اليمنى، ما تبعديش، وما تخلينيش أندم إني باحكي لك، ما فيش حاجة تخليكِ تبعدي، أنا مقدر كل اللي كان بينكم بس في ما بينْنَا ترابط غريب مش قادر أفهمه! يمكن متطمن عليكِ معايَ؟ ما اعرفش إيه السبب بس اللي متأكد منه إنه مش متضايق أبدًا، هو بيوصيني عليكِ دايمًا فاهماني يا سلمى؟

- طب اشمعنى ما باحلمش بيه زيك كدا؟

- ما اعرفش، انتِ اللى المفروض تفسري لي اللي أنا فيه

- أوعدك إني هادور في كل مرجع وكتاب عن تفسير اللي بيحصل بس واضح إنه في التخاطر والروحانيات مش علم النفس خالص!

- يطلع زي ما يطلع المهم أفهم بييجي لي ليه؟

سكت لبرهة ثم أردف:

- ما قُلتليش إيه خطة حياتك بعد ما استرديتِ حريتك؟

- لازم أشوف شغل جديد، وأكمل دراساتي

- وأنا معاكِ وقت ما تحتاجيني

- انت متخيل إن لسَّا قدامي عدة 3 شهور، أنا لسَّا كنت باخلص إجراءات الطلاق النهاردا.

- وأنا هاستنى ولو 3 سنين.

مر ثلاثة أشهر يلتقيان دون أن يتحدثا بكلمة عما ينبض به القلب،

ثلاثة أشهر فرضتهم عليه كضريبة انتظار أن تنقضي عدتها، كي لا تكون عرضة لارتكاب كبيرة من الكبائر -كما أفهمته-، رغم أن زواجها لم يكن سوى عقدًا مكتوبًا وليس لها عدة، لكنها أرادت أن تعطي نفسها وقتًا إضافيًّا لتحدد القرار المناسب.

كانت فرصة لها أن تفكر وتملأ قلبها منه وتعرفه أكثر وتستمتع إليه أكثر.

وكان هو قلبه قد شفي تمامًا من الآلام إلا من آلام الحب.

❋ ❋ ❋

- 12 -

هل تعلم كيف تقاوم الاشتياق واللوعة؟!
كيف تحترق وتندلع بك نار اللهفة ثم تنطفئ وتتناثر إلى رماد؟!
هل تعلم كيف يمكن أن يكون بينك وبين من تحب بابًا واحدًا ولا تستيطع طرقه يومًا.
مر ثلاثة أشهر وها هو اليوم الأخير غدًا، قررت ألا يمر كأي يوم عادي.
طلب منها مفتاح شقتها وأخبرها أن مكتب صيانة الكومباوند سيجرون بعض الصيانة على توصيلات الكهرباء لأنه يواجه مشكلة ماس كهربائي صغير ويريد أن يفحص الكهرباء لديها كي لا يتكرر معها الأمر.
أخبرها أنه لا داعي أن تعود للبيت وسيتابع أمر العمال.
شقتها كانت مطابقة لشقته إلا عن عكس الاتجاهات، كانت مكونة من صالة مستطيلة بها طاولة طعام وكراسٍ للجلوس، وشاشة تليفزيون وطرقة صغيرة تفصلها عن مطبخ صغير وحمام متوسط وغرفة نوم رائعة، يتذكرها منذ كانت تعاينها من ثلاثة أشهر ومضيا العقد على أهم بند بعقدها الخاص معه ألا يتخطى حدود باب شقتها ولا هي أيضًا.
كان يتذكر تفاصيلها إلا أنه لن يتوقع أن يجدها على أجمل مما شاهدها معها، كل شيء ينتمي لذوقها ورائحتها، يرى كل بصمة لها مطبوعة على أركان الغرفة، عكس شقته التي تتسم بالفوضى وعدم النظام وتحتاج للتنظيف بين الحين والآخر.

رفع هاتفه وأجرى اتصالًا هاتفيًا يستعجل القادمين، ليس لديه كثير من الوقت.

غيروا أغطية السرير بغطاء سماوي منقوش بورود باللون الوردي الفاتح والأصفر، ووضع باقة زهور رائعة بألوان مختلفة على تسريحتها، علق فوق خزانتها فستانًا من Dior وردي فاتح جدًّا، مطرز من الصدر والذراعين على دانتيل من لون الجسم ومفتوح إلى آخر الظهر، قصير من الأمام يغطيه دانتيل من الخلف، وحذاء سيلفر من Valantino موضوع أسفل الفستان، عطر الغرفة برائحة الياسمين ثم وضع بمنتصف السرير بالونا يحمل جملة ((Marry Me)) مربوطًا بعناية في علبة كريستالية فخمة بها خاتم من الذهب الأبيض يحمل كريستالة بيضاء.

من الجانب الآخر جاءها اتصالٌ من صالون التجميل الذي تزوره دائمًا يخبرها أنه تم اختيارها كعميلة مميزة وستحصل اليوم فقط على خدمات مجانية مقدمة من إدارة الصالون.

هاتفت بدر لتطمئن على إتمام صيانة الكهرباء بشقتها:

- ألو، إزيك يا بدر

- حبيبتي عاملة إيه طمنيني عليكِ

- أنا تمام، أخبار الصيانة إيه

- كله تمام شافوا الكهربا وكل حاجة تمام ما تقلقيش

- طيب انت هتروح إمتى؟

- يعني حوالي ساعة كدا وهاروح

- أنا هاتأخر شوية

- وانا كمان ورايا شغل، اللي يخلص يكلم التاني.

أنهى المكالمة وتوجه ليستعد لارتداء ما يناسب استقبالها، كانت هي الأخرى تشعر أن الهواء يداعب روحها ويخبرها أن اليوم رائع، تتنفس بحرية كما لم تكن من قبل، تشعر كأنها عصفور صغير له جناحان يتعلم يومه الأول في التحليق بالسماء.

كيف يفعل بنا الحب هذا؟ كيف يجعلنا أجمل، كيف نستنشق الهواء كما لو أن لنا رئتين نظيفتين تستشعر الذي لم تستشعره من قبل؟ كيف نتبسم كلما نظرنا بالمرآة؟!

كيف تتورد وجنتنا كلما مر طيفهم بنا؟!

((كيف يطهرنا الحب من ذنوبنا؟، ويغسلنا من قبحنا؟، وينقينا من أحزاننا؟.

فعله حُب بدر لي، أنارني وأنار دروبي معه، شهادة ميلادي تُكتب منذ لقائنا الأول، واليوم أول أيامي التي سأولد معه فيها من جديد بلا قيد يربطني.))

بعدما انتهت من جلسة التجميل المقدمة من الصالون، شكرت مديرة الصالون على الخدمة الرائعة.

قادت سيارتها إلى مجمعها السكني وبطريقها حادثته لكنه لم يجب عليها.

اصطفت سيارتها خلف سيارته علمت بأنه عاد من عمله، توقعت أن يكون نائمًا بشقته.

حينما صعدت إلى طابقهما حيث يسكنا، فكرت أن تطرق بابه رغم أنها لم تفعلها مسبقًا، اليوم تشعر أنها تستطيع فعلها.

طرقت بابه طرقًا خفيفًا، قررت حينما يفتح أنها لن تدخل وستبقى خارجًا وستخبره أنها دقت بابه فقط لقلقها عليه، بعد عدم رده عليها.

لكنه لم يجب، سرى بقلبها القلق، لأول مرة منذ جاء بدر لم يجِب مكالمتها أو يتصل بها، هما دائمًا على اتصال طوال يومهم.

توجهت إلى باب شقتها المقابل له.

كان قد شعر بمجيئها فهو في انتظارها منذ أبلغوه بالصالون أنها غادرت.

أدرات مفتاح شقتها وفتحت الباب ثم دخلت وأغلقته خلفها، وضعت حقيبتها بالصالة على طاولة الطعام ثم دخلت إلى غرفتها وضعت يدها على زر الضوء لتجده واقفًا أمامها مبتسمًا حاملًا بيده باقة من الزهور.

خفق قلبها من شدة الدهشة اقترب منها ولاحظ أثر المفاجأة عليها وضع الزهر على حافة السرير جانبًا واقترب منها خطوات وجدها ترتجف وتبتسم وتنظر له وتنظر لغرفتها وتنظر حولها، أمسك يديها وأخذها خطوتين إلى الوراء لأريكة جلسا عليها:

- تتجوزيني يا سلمى؟

قالت ودموع الحب والفرحة تتراقص في عينيها:

- إيه دا إمتى وازاي يا بدر عملت كدا؟، أنا مش مصدقة.

- تتجوزيني؟

صمتت، ودموعها في خشوع تتنازل عن كبريائها

أعاد عليها كلمته:

- تتجوزيني؟

كانت بحال لا يسمح لها بالحديث: أوأمت رأسها بالإيجاب وابتسامة تعلو شفتيها ودموعها تختلط بوجنتيها.

وضع يديه أسفل شعرها المنسدل على كتفيها ثم جذب رأسها برفق نحوه وقبل رأسها بحنان ثم نظر لعينيها عن قرب للمرة الثانية، منذ أول مرة التقيا بشقتها بمصر وقال لها: أنا باحبك

لم تلتقِ العيون فقط، التقت الشفاه بقبلة طويلة دافئة، قبلة طويلة هادئة

سرت بها رجفة تستجديها من حالتها التي سقطت فيها إثر قبلته لها

فهم ما شعرته، ابتعد عنها قليلًا ثم قبل رأسها وقام بهدوء نحو علبته.

شعرت كأنها تتحقق من غرفتها وتفاصيلها من جديد غطاء السرير والورد والبالون والفستان والحذاء، جاء ليجلس بجانبها ووضع بأصبعها الخاتم ثم قبل يدها:

- أنا النهاردا أسعد يوم في حياتي.

كانت تنظر إليه وهي تتلقى السعادة والحب والاطمئنان عاجزة عن الرد أو الكلام.

كان يعي ما تشعره وكان سعيدًا جدًّا بما تشعره وأخيرًا ألقت بنفسها بين ذراعيه، كانت تحبه وتشكره وتحدثه بضماتها المختلفة درجاتها،

تحدثه بين الضمة والأخرى برفق ثم بقوة ثم بهدوء ثم تضمه لها كما لو كانت تخبئه بين ضلوعها ثم تختبئ هي الأخرى بين ضلوعه.

أخذت تحدثه بقلبها وهو عاشق يسمع لها ويبادلها الحديث كما تحادثه.

سكنت قليلًا ثم سألته:

- عاوزة أعرف بقى انت ليك دخل في مكالمة الصالون صح؟.

- صح، أنا كان نفسي أجيب لك الدنيا كلها وأعمل لك اللي بتحبيه كله

- كفاية إنك معايَ وجنبي

- طب تعالي شوفي الفستان

أخذت تلمسه وترى تفاصيله وتلمع عيناها إعجابًا به،

- ليه كدا يا بدر ليه ليه كلفت على نفسك كل دا ليه.....

- شششش، ما لوش أي لازمة الكلام دا، أنا عاوزك النهاردا زي القمر علشان هنتعشى مع بعض احتفالًا بخطوبتنا

- خطوبتنا يا بدر لوحدنا؟

- وإيه يمنع؟ محتاجة أخطبك من عمك أو خالك ما عنديش مانع ننزل مصر نعمل كدا؟

- لأ يا بدر، مصر لأ بس هاكلم نور ونقول لها وقبل ما..

صمتت من الخجل

- سكتِ ليه كملي

- لا خلاص مش هاكمل

- وقبل ما نتجوز هنتفق نفرح سوا ازاي حتى لو لوحدنا هنا

يلا هاسيبك تقيسي الفستان وترتاحي وتشيكِ على الكهربا (ثم غمزها بعينه) ونخرج بالليل.

- شكرًا يا بدر على وجودك في حياتي.

استدار ليخرج من الغرفة ويتوجه لشقته فنادته:

- بدر!

- عيون بدر

- أنا باحبك.

اختار أحد المطاعم الفاخرة يقع بأعلى فنادق الدوحة، يرى الكورنيش والشوارع الراقية.

كانت إطلالتها رائعة تليق بالمكان الذي اختاره، جلسا على طاولة اختارها مسبقًا، جلسا يتحدثان ويتكلمان في سعادة، يتشاركان الطعام وتتراقص أعينهما فرحًا.

كان المكان يناسب من يريد أن يصنع الحب، من يريد أن يحتفل بعيد زواج، بخطبة، باعتراف، المكان يصلح لاثنين فقط أتيا لينعزلا عن الحياة بأكملها.

عزف الموسيقى من حولهم رائع أخاذ، قاما ليرقصا على أنغام الموسيقى يشعران لو أن الدوحة كلها تتراقص معهم وتحتفل بهم.

بينما كانا يتهامسان وقعت عينها على زوج ميس صديقتها يراقص سيدة أخرى.

انقبض قلبها وشحب وجهها وشعر بدر ببرودة يديها، فوجدها تنظر لذلك الرجل وهو ينظر لها.

تساءل بعينه من يكون؟! فهمت سؤاله من عينيه فأجابته بصوت خفيض إنه زوج ميس وطلبت منه الرجوع للطاولة وأن تتحدث معه بعدما شربت كوبًا من الماء.

- اهدي بس

- أهدا ازاي يا بدر ازاي؟ بقى هو واهمها إنه عايش هنا يشتغل ومش راضي يجيبها ويجيب أولاده وهو هنا عايش يحب ويخرج ويرقص مع واحدة في مطعم رومانسي زي دا.

- هو عارفك كويس؟

- أيوة عارفني طبعًا، دا كان معانا في الكلية الله لا يسامحه دي لو عرفت هتموت.

- تعرفي إني ما ارتحتلوش، شكله يقبض القلب.

- هو دا إلى انا حسيته فعلًا.

- هتقولي لها؟

- أقول لها.. لأ طبعًا، بس ازاي ما اقولهاش هاسيبها كدا على عماها

- قومي طيب يلا نمشي ونكمل كلامنا في العربية طول ما انتِ شايفاه هتفضلي متضايقة.

قاما ليغادرا المكان، علقت يدها بيده، توجها نحو باب المطعم ليستقلا المصعد إلى الأسفل، انتظرا أمامه قليلًا، وجداه يتقدم لهما ويحدثهما بتكبر وغرور:

- مدام سلمى، من مصلحتك إن ميس ما تعرفش حاجة عن اللي شُفتيه النهاردا، خليكِ فاكرة كويس إني حذرتك.

ترقرقت الدموع في عينيها، حبستها حفظًا لكرامتها، واستشاطت غضبًا منه كادت أن تخرج من فمها نارًا تلتهمه، نظر لها بدر فهمت أنه يطلب منها الصمت، رد عنها وقال له:

- أولًا لما تشوف راجل واقف جنب ست يبقى عيب إنك تكلمها هي، ثانيًا انت ما تقدرش تعمل حاجة واللي عندك اعمله، ثالثًا والأهم افعل كما تشاء فكما تدين تدان عندك زوجة وأولاد ما فيش أسهل من كدا.

ارتفع صوت موسيقى ينبئهم عن مجيء المصعد

- يلا يا حبيبتي

دلفا إلى المصعد الذي أخذهما إلى بهو الفندق وسرعان ما توجها إلى سيارتهم.

- ما ينفعش تقولي لها على فكرة

- بس لازم أشجعها تيجي تعيش هنا علشان توقف المهزلة دي.

- لو قالت له كدا هيفهم إنك قُلتِ لها أو لمَّحتِ لها

- ما يفهم اللي يفهمه

- طب هو ليه بيهددك وإيه اللي ممكن يعمله يعني؟.

- علشان عارف أُنكل وطنط وهيوصلوا الموضوع لبسنت طبعًا

- طب ما يوصلوا هيحصل إيه؟

- هيزعلوا يا بدر

- لا مش هيزعلوا علشان انتِ اتجوزتِ بعد ما أنا فسخت ودا مش سبب، إلا لو عارف إن طليقك هيضايقك لو عرف بعلاقتنا.

صمتت لأنها تعلم مدى ألمه بما يحدثها عنه، هل الحب يجعلنا نبتلع الغصة دون أن نتألم؟! ربما!

لكنها استاءت لضيقه، وأخذت تنهيدة من أعماقها زفرتها بقوة رد عليها قائلًا:

- هيحصل إيه لو اتجوزنا بكرة مثلا؟!

- بطل جنان

- لا دا مش جنان دا العقل اللي كان لازم يحصل من يوم ما اتقابلنا، إحنا مش لسَّا هنستنى وكل واحد يضايقنا إحنا ما بنعملش حاجة غلط ولا يهمني ناس ولا غير ناس أنا ما يهمنيش غير إننا نكون مع بعض في بيت واحد

- بس انا لسَّا النهاردا..

- ما فيش بس ولو الجنان إننا نتجوز بكرة هنتجوز بكرة.

حادثت أختها نور وأبلغتها بما يدور بينها وبين بدر تمنت لها أن تسعد باختيارها وأن تعيش الحب كما تعيشه هي مع سامر، أكدت لها نور أنها لم تشعر بالسعادة كما تشعر بها الآن، حثتها ألا تضيع الباقي من عمرها في مهاترات، وألا تهتم بحديث البشر الذين لا يشعرون بما نحمل في قلوبنا ولا يمسحون دموعنا يومًا! فقط يتحدثون، فلندعهم يتحدثون.

في صباح اليوم التالي كانا في طريقهما إلى السفارة المصرية بالدوحة بمنطقة الدفنة، كانت يدها باردة كان ينظر لها من حين لآخر من وراء نظارته السوداء ويعلم بتخبط مشاعرها، كلما شعر بها تشرد منه يمسك بيدها ويتحدث معها عما يخططان له:

- إيه رأيك نسافر أوروبا؟

- يا ريت نروح باريس

- اشمعنى باريس؟

- هتبقى أجمل لو رُحناها سوا، عاوزة أشوف باريس من تاني وأنا معاك، وهاعرفك على يوسف اللي كان سبب في إني آخد أهم قرار في حياتي

أنزل نظارته قليلًا ونظر لها

- مين يوسف دا؟

- آه إحنا هنغير بقى والكلام دا؟

- أكيد من حقي أغير، بس برضه هافضل محترم مساحة حياتك الخاصة، لازم نفضل صحاب، لو حصل يوم وبقيت باجبرك لا هاقدر أحبك ولا هتقدري تحبيني، أنا متفهم جدًّا دا

- طب نسجل اللحظة التاريخية دي صوت وصورة ونمضي إقرار

ضغط على يدها ليطمئنها ثم قال:

- هتبقي مراتي، وهتشوفي كل دا بعينك.

خفق قلبها بشدة ثم استطرد ليقول:

- أيوة هنتجوز، وهنسيب شقة ونعيش في شقة واحدة بس

- مش اتفقنا نكتب كتابنا لحد ما نقدم على إجازتنا من الشغل ونحتفل مع أصحابنا.

- سلمى حبيبتي، لا يهمني فرح ولا الكلام دا كله، أنا عاوزك انتِ بس، فاهمة؟

لم يكن بدر ينظر لها سوى أنها امرأة كاملة يهواها ويريدها بكل ما يشعر وبكل ما يمتلك من جوارح، تذكر حينما هاتف أهله بمصر أخبرته أمه أنها كانت تتمنى زواجه من بِكر لم يسبق لها الزواج، تمنت أن تكون معه وهو يتزوج، أخبرها أن سلمى الوحيدة التي سرقت قلبه وأسرته، أخبرها ألا امرأة على وجه الكون ستملأ قلبه وحياته كما فعلت هي، أخبرها أن زواجها الأول انتهى رغمًا عنها، وزواجها الثاني كانت هي ضحيته، تألمت كثيرًا كما تألم وكلٌّ منهما يحتاج أن يتداوى بقلب الآخر، أخبرها أنه كان يتمنى أن يرسل لها ولوالده أن يأتيا ويتشاركان زفافه لكن أوضاع البلد السياسية لا تسمح بالزيارات منذ شهر الحصار وقطع العلاقات مع معظم الدول العربية بما فيهم دولة مصر، لكنه وعدها أن يسافرا إلى مصر بعد أن يقضيا أسبوعًا خارج البلاد.

اتجها إلى باب السفارة المصرية، كانت معهما جميع الأوراق اللازمة لكن لم يعلما أن إجراءات الزواج ستتأخر بعد عمل الفحص الطبي وضرورة إحضار شاهدين من أصحابهما على عقد الزواج بعد تحضير باقي الأوراق اللازمة وعقد القران والاتفاق على مقدم ومؤخر الصداق.

ذهبت إلى الجامعة التي تعمل بها، دلفت قسم علم النفس بعدما أوصلها، كانت متغيبة يوم أمس واليوم قد مضى أكثر من منتصفه وبقي لها محاضرة.

دخلت إلى مدير عام الجامعة:

- صباح الخير يا دكتور منير

- صباح الخير يا دكتورة سلمى

- ممكن آخد من وقتك شوية

- طبعًا اتفضلي

- أنا عاوزة آخد إجازة قصيرة أسافر فيها باريس.

- يعني فيه مؤتمر؟

- لا الحقيقة أنا هاتجوز ومحتاجة بس إجازة قصيرة

ابتسم ابتسامة صغيرة، خلف جديته المطلقة ثم قال:

- ألف مبروك يا دكتورة، ما باقدر أقول لك شيء طبعًا بس الحقيقة إن فاضل لك محاضرات كتيرة ولازم تنتهي منها لأننا بقينا بداخل التيرم وما

بيصير إنه نشتت الطلبة، يعني محتاجين حوالي شهر ولك الحرية وكمان إقامتك بباريس هدية زواجك مني لكم.. ألف مبروك.

- شكرًا جدًّا لحضرتك ولذوقك وإن شاء الله هاخلص محاضراتي بقدر الإمكان وأنا مش محتاجة أكتر من أسبوعين

- ما عندي مانع إن شاء الله بعد شهر إجازتك بتكون متوافق عليها الله يسعدكم.

انفرجت أساريرها وشعرت بارتياح عقب مقابلتها مع المدير، أكملت محاضرتها الأخيرة وتوجهت للبيت تذكرت أنها أهملت بالرسالة في الآونة الأخيرة، عليها الكثير من المهام أن تنجزها في ذلك الشهر قبل الإجازة المتفق عليها.

بدر هو الآخر قد أثبت جدارته بعمله في الشركة الهندسية، مضى للشركة كثيرًا من التعاقدات والكثير وأثبت جدارته، أخبره صاحب الشركة أنه سيصبح ذا منصب عالٍ في وقت قصير، يحبه العمال ويحبه رؤساء العمل، هو الآخر أحب العمل وكان يتفانى به ويتفانى في حبه لها، ويشتعل قلبه بأمل اجتماعهما تحت سقف واحد.

كانا قد كونا صداقات مشتركة، كانوا يتشاركون العطلات الأسبوعية علموا بخبر زواجهم، باركوا بكل حب وأخبروهم أنهم سيقيمون لهم احتفالًا عندما ينتهوا من التسجيل بالسفارة.

انتهت سلمى وبدر من إجراءات الفحص الطبي خلال عشرة أيام كانت أوراقهم معدة للذهاب بها إلى القنصلية التابعة لسفارة مصر، أخذا

شاهدان من أصدقاء بدر وثلاثة من أصدقاء سلمى، تمت إجراءات الزواج وأخيرًا، أصبحا زوجين على كتاب الله وسنة رسوله.

ارتفعت الزغاريد بالسفارة وسكنت المكان الروح المصرية كما نعرفها، تبادلا الصور السيلفي والفيديو كان قلبها يرقص وينبض بالحياة وهي تشعر أنها زوجته.

قضى الأصدقاء يومهم سويًّا واتصلوا بباقي الأصدقاء، كان يومًا رائعًا بسيطًا ينبض بالسعادة، كيف تكون السعادة كبيرة بهذا الحجم رغم تلك البساطة؟!

ذهب العروسان إلى مجمعهما السكني مساءً، كل منهما إلى شقته بعد يوم طويل قضياه خارج المنزل.

بعد أن أخذت حمامًا دافئًا وارتدت فستانًا قطنيًّا قصيرًا، وجدت طرقًا خفيفًا على الباب.

فتحت الباب لتجده أمامها، شهقت كما لم تعتد أن يطرق بابها في هذا الوقت المتأخر.

- أنا جوزك على فكرة ما تتخضيش كدا

- بدر إحنا ما تفقناش على كدا

- لسَّا إيه تاني؟

- إحنا ورانا شغل الصبح ولسَّا فاضل تلات أسابيع على الأجازة

اقترب منها حتى التصقت بجدار خلف الباب.

- وأنا إيه؟ هاستنى تلات أسابيع؟!

- آه وفيها إيه؟

- لا أكيد بتهزري

نظر إلى شعرها المبلل فوق وجهها ثم أكمل:

- فاكرة يوم ما جيت لك كنتِ برضه خارجة من حمامك ووقفت قدامك كدا وكان لازم أقاوم رغبتي فيكِ.

اقترب منها أكثر وأغلق الباب خلفه

- مش هاقدر النهاردا أقاومك، انتِ مراتي وحلالي

تلاقت الشفتان دون أن يقاوم أحدهما الآخر، كانت ترتوي منه ظمأ سنوات، كان هو الآخر يرتوي منها ظمأه طوال فترة حرمانه منها ببعدها وحرمانه منها وهي تسكن بالباب المقابل لبابه.

كان لقاؤهما دافئًا، طويلًا، يتعرف كل جسد على الآخر في صمت وأنين، كان يهدأ على صدرها ثم يعيد اكتشافها، وتهدأ هي بين ذراعيه وتعيد اكتشافه.

غفيا بين أحضان بعضهما البعض، بلا شروط، ولا قيود، بلا مراسم ولا ثياب زفاف ولا إجازات ولا سفر.

لم يصبحا زوجين عاديين، بل أصبحا عصفورين يتنقلان في مشاق العمل نهارًا ويلتقيا ليلًا متى شاءا.

كل منهما ما زال يقبع بشقته، لكنهما يتبادلان كل ليل بغرفة أحدهما دون أن يتفقا ثم يفيقا في الصباح بهما نشاط وحب وسعادة تغمرهما،

يفيقان ليذهب كل منهما إلى عمله.

مر الثلاثة أسابيع، قبل أن ينقضيا بيوم، قررا أن ينتقل بدر إلى شقتها بما تحمل من ذكريات في أركانها بلقاءاتهما، فسخ بدر عقد شقته، وظلت شقة سلمى مؤجرة باسمها بعد أن سدد إيجارها، خاف أن يطلب منها تحرير عقد جديد باسمه فتظنه يهمش وجودها.

عقدة الرجل والمرأة في الزواج دائمًا وأبدًا أن يمارس الرجل سلطته عليها ويحرمها من استقلالها المادي والمعنوي.

أصبحا يسكنان قبل السفر بيوم بشقة واحدة تجمعهما،

كانت ترتدي قميصًا من لون اللؤلؤ وهي تضع آخر قطعة ملابس لها بحقيبتها اقترب من خلفها وطبع قبلة ما بين رقبتها وذراعها ثم همس لها:

- تعالي نرقص

على أنغام بيتهوفن Love story رقصا كما لو كانا فوق القمر،

الرغبة لا تأتي بالمقدمة، العلاقات الزوجية يصيبها الملل والفتور إن كان كل الهدف هو تفريغ رغبات جنسية ومادية ومعنوية.

وحده الحب يأتي بدوره، دون أهداف، تتعانقان وأنتما لا تريدان النهاية ولا تقصدان مغزى، تقيمان كل طقوس الحب بهدوء بلا عجلة،

العيون تحب، الأيادي تلتقي، تتحدثان كالصبية في هدوء وهمس، تتحدثان عن الماضي والحاضر وتأتيان بالذكريات، تتنهدان، تبكيان العيون في حب مشتعل من القلب، تتراقصان، تنفصل أرواحكما عن أجسادكما، تلتقي

الأرواح في اللاوجود، تلتحم الأجساد غيرة من التحام الروح، تمارسان الحب، بكل جنون، بكل المشاعر، الرغبة تأتي بعد طقوس الحب جميعها، كما لو أنكما سافرتما في الفضاء، يهدأ كل منكما على صدر الآخر، كيف يفعل الحب؟!!، لا تستطيعان العودة إلى الواقع مرة واحدة، يحتاج الأمر إلى وقت كي تتحدثان وتعودان للأرض، روحكما ما زالت معلقة تتعانق، كيف يجعل الحب الزواج رائعًا.

من تزوج دون حب لم يعلم كيف يكون لقاء الأجساد.

انسدل النهار عليهما واقترب موعد طائرتهما حزما حقائبهما ليذهبا إلى باريس.

بمطار الدوحة هاتفت يوسف وأخبرته أنها هي وزوجها متجهان إلى باريس وسيلقاه حينما يصلا.

بعد أن جلسا بمقعديهما بالطائرة، كانت الرحلة الجوية الأولى لهما سويًّا، والمرة الأولى التي يتجردان من عملهما واستيقاظهما المبكر، سيظلان متقاربان دون أن يفرقهما الصباح، مالت على ذراعه، وأخذت نفسًا من أعماقها حينما أعلنت الطائرة عن الإقلاع.

- عارف إني فرحانة جدًّا إننا هنروح باريس سوا

- وأنا كمان مبسوط، وأوعدك إننا هنقضي وقت ممتع هناك

- محتاجين نكون سوا

- هناخد هدنة من العالم كله، ونهرب من الناس أكتر ما احنا هربانين

- هو احنا بنهرب من إيه؟

- بصي هو الحقيقة مش عارف بس واحنا مع بعض مش فارق معايَ أي حاجة

- لما باشوفك كل يوم الصبح وانت جنبي باحس إني باحلم وافضل أمسك إيدك ووشك علشان أصدق إنك حقيقة مش حلم، نفسي أفضل طول عمري معاك، مش عايزة حاجة تاني من الدنيا

احتضن يديها بقوة، ثم أردفت:

- بدر، ما تسيبنيش أبدًا

- معاكِ لآخر نفس فيَّ

ما بين غفوات قصيرة واستيقاظ وتناول لوجبات قليلة بالطائرة، أعلنت عن هبوطها في مطار باريس، مدينة الحب والأحلام.

❋ ❋ ❋

- 13 -

استقلا سيارة أجرة إلى الفندق الذي تم حجزه من قبل دكتور منير كما وعدها.

دلفا جناحًا كان قد أعد خصيصًا لعروسين.

كان الوقت متأخرًا، أخذا حمامًا دافئًا وخلدا لنوم عميق بلا تنبيهات الهاتف المبكرة.

استيقظا ظهيرة اليوم التالي ليتناولا الغداء، خطفا أنظار النزلاء، حينما تراهما جنبًا إلى جنب مع بعضهما البعض، تشعر بالنبض والحياة، تعرف من تشابك أيديهما وعينيهم اللامعة المتبسمة أنهما عاشقان حد الجنون.

- قولي لي بقى يا مرشدتنا السياحية، هنروح فين؟

- تعالَ نروح الشانزليزيه أفرجك على الأماكن اللي قعدت فيها.

بروح طفلة صغيرة تخبر صديقها عن أمكانها المفضلة، كانت تحادثه عن رحلتها السابقة حينما كانت تفكر به، وتشتري مذكرات تكتب عنه.

- قعدت على الكرسي دا، وقعدت أشخبط وافكر فيك، ما فارقتش خيالي، قررت إني أرجع وأكلمك قبل ما نتقابل في المطار، عارف، كنت بادور عليك هنا في وشوش الناس

كانت تتحدث بتلقائية ظل يراقب تفاصيلها كان يضمها كلما تتحدث بعينيه ويتمنى لو يأخذها بين ذراعيه ويدور بها بنفس الشارع الذي أخبرته أنه شهد على حبها له وشرودها به، ليشهد عليهما اليوم وهما حاضران به سويًّا.

أخذته إلى بعض الأماكن القريبة التي تعلم عنها، كان ينظر إليها بفرحة تملأ قلبه، وهي ترشده وتحدثه عن شيء تعرفه، وهو يرى باريس بعينيها، كما رأى الدوحة بعينيها من قبل، شعر بتلك اللحظة أنه سيرى حياته كلها بعينيها وقلبها.

اتجها إلى الفندق حتى انتهيا من ارتداء ملابسهما المسائية لمقابلة يوسف.

قابلهما يوسف ومعه صديقته العربية جومانا، رحب بهما كثيرًا وهنأهما على زواجهما،

ظل الرباعي يتقاسمان إلى ثنائيان ويتبادلان الأماكن ما بين يوسف وبدر، سلمى وجومانا، ومن ثم بدر وسلمى ويوسف وجومانا

شعرت سلمى بنظرات جومانا تجاه يوسف التي يتجاهلها هو كليًّا ويتعامل معها كصديقته، هي تبدو كذلك أمامهم لكنها علمت أن تلك النظرة التي تتراقص في عينيها ما هي إلا نظرة عاشقة من طرف واحد.

اندمج كل من يوسف وبدر في حديثهما عن الفن والهندسة والرسم،

تحدثا بلا تفاصيل كثيرة عن معالم حياتهما، أحبا بعضهما البعض كثيرًا، حتى المرأتان كانا أنيقتين في المظهر، بسيطتين في الروح إلى أبعد حد.

- حكى لي يوسف عنك لما اتقابلتوا أول مرة وكان عم يرسم.

- حقيقي يوسف مبدع وشاطر ويتحب جدًّا وينفع يبقى صديق بجد.

- أنا ويوسف أصحاب من قبل ما يتجوز، عشت معاه كل مراحل حياته.

- يا رب طول العمر تفضلوا صحاب

شردت قليلًا ثم ردت:

- يا رب

- ما لك؟، حاسة إن جواكِ كلام.

- كيف عرفتِ؟

- باين عليكِ قوي

تنهدت بعمق ثم قالت:

- ما باعرف إذا مبين علي ولا لأ، بس باحبه من أول يوم عرفنا بعض، بس ما باقدر أحكي واقول مشاعري إذا ما أحس فيها

لما اتغير الوضع وماتت مرته، اتخطيت معاه أصعب فترة بحياته، طول الوقت أنا قدامه، متأكدة إنه حاسس بحبي، بس ما باقدر أقول له حِبني، الحب ما بينطلب أبدًا، عندي أمل ييجي يوم ويحس فيَّ ويحبني مثل ما باحبه، قد إيه الحب لعنة على قلوبنا.

أمسكت سلمى بيديها تربت عليهما وقالت:

- هو ممكن يكون خايف على الصداقة اللي بتربطكم من زمان، ومش قادر يقول لك علشان كدا

- عن جد ما بقيت قادرة اتحمل

- اللي بيحب حد لازم يستحمل للآخر وانا وبدر قدامك أهو أكبر دليل على انتصار الحب أنا كنت بانكر إننا بنحب بعض وعاوزة أفضل مخلصة لذكرى جوزي اللي مات بس لما فتحت قلبي اتأكدت إني حبيته

وعلى فكرة يوسف السبب إني آخد أهم قرار في حياتي واتجوز بدر، وأتمنى أبقى السبب إني أساعده في القرار دا.

تحدث يوسف وبدر عن المعمار والرسم الهندسي والفنون والديكور، تطرقا للحديث عن العمل والرسم حينما أحسا بالألفة والعوامل المشتركة بينهما.

- فكر تيجي الدوحة، فرص العمل ليك هناك كويسة وهاقدر أساعدك، فيه أجانب كتير موجودين عندنا ورواتبهم ممتازة وكفاية إنك معاك الجنسية الفرنسية.

- أنا لاقي نفسي هنا بباريس أكتر، ذكرياتي وحياتي فيهم ما اقدرش أمشي.

- بس انت كدا موقف حياتك، لو بعدت عن ذكرياتك وماضيك هتقدر تكمل؟

- حاولت كتير بس ما قدرت ولا قادر أنساها ولا قادر أكمل

- ما ينفعش توقف حياتك للأبد

- من بعد ما ماتت وهيَّ أخدت كل حاجة حلوة معاها ما عادش فيه أي حاجة حلوة من بعدها

- الموت الحاجة الوحيدة اللي ما نقدرش نعترض عليها أنا عارف إنك عمرك ما هتنساها وهتفضل فاكرها طول عمرك.

- خلينا نغير السيرة دي، بافكر آخدكم على السكاي دايفينج شو رأيك؟

- معاك طبعًا في أي حاجة

- هتتحمل يعني قدها وقدود؟

- قدها وقدود يا بطل بس خلينا نفاجئ سلمى علشان لو قُلت لها هتخاف ومش هتوافق.

كان الجو به نسيم هواء بشرفة الفندق بعدما رجعا إلى غرفتهما، ظلا يتحدثان في الشرفة وهي مستلقية ورأسها مستندة على ذراعه، قالت له:

- جومانا بتحب يوسف

- أخدت بالي

- بجد أخدت بالك؟ يعني أنا وانت خدنا بالنا وهو مش واخد باله؟.

- ما يمكن واخد باله ومتجاهل، علشان مش قادر يكمل حياته بعد ما مراته ماتت.

- فعلًا وفاتها أثرت عليه، حكى لي إنها ماتت وهي حامل ومن ساعتها عايش على ذكراها، بس جومانا بتحبه مش هنتفرج عليهم واحنا ساكتين كدا

وأردفت:

- أنا نفسي نقربهم من بعض زي ما هو قربني ليك هو الشخص الوحيد اللي أثر عليَّ بكلامه وكان سبب إني أرجع لك.

- يا ريت، هاحاول حاضر.

- شكرًا يا حبيبي إنك قريب مني كدا.

قبل رأسها وأخذها تحت ذراعه الأيمن يستمد منها الحب والدفء.

أكثر ما يحيينا بشغف وطاقة أمل هو صدق العلاقات الإنسانية، والصداقات التي تبنى على الحب الخالص دون مصالح، أكثر ما يسعدنا أن نرى قلبًا مائلًا فيستقيم على أيدينا، أن نرى دموعًا منهمرة فنبدلها بابتسامة رضا، أن نرى قلوبًا محطمة فنضمدها ونخفف آلامها

التعساء حقًّا هم من عاشوا بلا أثر طيب في حياة الآخرين.

❋ ❋ ❋

- 14 -

تلقت ميس رسالة على "ماسنجر الفيس بوك" منذ عدة أيام لم ترها لأنها كانت في قائمة مخفية، حينما فتحتها وجدتها من اسم حساب يدعى عفاف،

- ميس أنا عارفاكِ كويس من أيام ما كنتِ هنا وعارفة جوزك وعلى فكرة جوزك بيخونك، ودي مش أول مرة، بس المرة دي اتجوز رسمي، فكري كويس قبل ما تهوري وتاخدي أي قرار، علشان تعرفي تاخدي حقك.

قرأت الرسالة مرات عديدة كي تستوعب كل حرف بها، رغم أنها المرة الخامسة عشر وهي تقرأها إلا أنها كانت تستكشف حروفًا جديدة كل مرة، مرحلة الوعي في المرة الأخيرة للقراءة أخرتها عن شرودها، وانهمرت دموع في عينيها دون أن تعي أنها تبكي شعرت حينما ابتلت شاشة هاتفها الذي تحمله بين يديها، ارتجفت يداها وهي تقرر أن ترد على الرسالة المرسلة وبداخل قرارة نفسها تعلم أنها ليست النزوة الأولى له، وتعلم أنه يخونها، لكن عقلها يرفض التصديق، ألف مبرر وعذر مر بخيالها، ربما كانت تريد إفساد علاقتهما، ربما كانت إحدى الزميلات اللواتي يطمعن في الزواج منه، ربما كانت تهذي تلك المرسلة، أو ربما على حق فكيف تعلم؟، كيف سيخون حبهما؟، كيف يقابل سيدة أخرى سواها؟، ويتناولان الطعام؟، كيف يتزوج؟! كيف سيلمس جسدًا آخر؟!

كيف يفعل وهي التي ضحت بسعادتها معه، واستسلمت لرغبته أن تظل بمصر هي وأولادها الثلاث، لتقليل مصروفاتهم المدرسية وادخار إيجار

شقتهم الباهظ ثمنها، كيف تتنازل وتتحمل أن تكون هي الأم والأب والصديق والطبيب وهو ينعم بأحضان سيدة أخرى؟

كل تلك الأحاديث دارت بعقلها كإعصار مدمر، حاولت التغلب عليه لتكتب للمرسلة:

- أنا مش مصدقاكِ لأن جوزي ما يعملش كدا أبدًا، وبيحبني أنا وأولادي وباثق فيه جدًّا، انتِ اللي عينك عليه وما عرفتيش تجيبي رجله، فما تحاوليش توقعي بيننا.

- كنت متوقعة ردك دا، بس ما كنتش أعرف إنك ساذجة قوي للدرجادي، أنا من ضحايا جوزك اللي عمالة تدافعي عنه، وشوفي الصور بنفسك.

كانت تنظر لشاشة الموبايل متسعة العينين تنتظر أن تكون مزحة سخيفة من أحد صديقاتها، إلا أنها شاهدت صورًا متراصة وراء بعضها البعض.

صورٌ مع نساء لا تعرف التفرقة بينهم إن كان واحدة أو أكثر، أيهما العشيقة وأيهما الزوجة لا تعلم، تتنقل بين الصور وتقرب الملامح للتأكد أنه هو زوجها، الصور حقيقية ليست فوتوشوب أو جرافيك.

مر من الوقت كم لا تعلم حتى قررت أن ترسل، فكتبت لها:

- أنا هاجي قريب، عاوزة تفاصيل أكتر عنها، اسمها، عنوانها، ورقم تليفونها.

هاتفت سلمى كان هاتفها مغلقًا، أرسلت لها الكثير من رسائل الواتساب والفيس بوك كانت لا تستلم، طوال ليلها وهي تنفث بسجائرها التي كانت قد أقلعت عنها.

مر من الوقت كم لا تعلم حتى أسدلت الشمس ستائرها، وقررت أن تأخذ حمامًا تزيل معه ضعفها واستسلامها،

نظرت جيدًا لصورتها بمرآة الحمام، كانت لا تعرف من التي تراها!

ارتدت أقرب تيشرت وبنطال في خزانتها، واتجهت لمكتب سفريات تمتلكه شدوى صديقة قديمة لها، طلبت منها أن تجهز لها إجراءات سفرها، كان من الضروري أن تحصل على إجراءات زيارة لتتمكن من دخول الدولة، لم تكن ترغب أن تخبره بقدومها.

جلست بمكتب شدوى تفكر، سألتها عن تكلفة ومدة استخراج زيارة كانت ستحتاج وقت طويل للقبول، كان الوقت يقتلها إن لم تقتله هي.

- خلي حد يعمل لك الزيارة

- هاحاول أكلم صديقتي تساعدني

حادثت رهف صديقتها المشتركة مع سلمى:

- صباح الخير يا رهف ازيك

- صباح الخير يا ميس، إزيك يا رب تكوني بخير

- حبيبتي مقصرة معاكِ سامحيني، طمنيني على أحوالك

- لا ما تقولي كدا الحياة مشاغل، طمنيني كيف أولادك مش جاية قريب

- ولادي بخير، أنا مكلماكِ علشان كدا، أنا عاوزة آجي أقرب وقت ممكن وما حدش غيرك هيساعدني

- تحت أمرك حبيبتي، كيف أقدر أساعدك؟

- أنا عاوزاكِ تساعديني آجي زيارة للدوحة بس مستعجلة بالكتير النهاردا أو بكرة علشان أعملها مفاجأة لحسام من غير ما يعرف

- طيب حبيبتي عيوني أنا في الطريق يعني عطيني بس نص ساعة، وهاروح على الجوازات وهارد لك خبر ويصير خير إن شاء الله

- شكرًا يا حبيبتي هاتعبك معايَ

- ما تقوليش كدا أنا تحت أمرك في أي حاجة.

ظلت دقائق الانتظار ترتطم بجدران أعصابها، دقيقة تلو الأخرى وهي تجول بطرقات وشوارع لم تكن تعرفها، تتجاهل المارة، شاردة في اللاشيء، تتجنب سماع أي موسيقى تمس جراحها، قررت أن تبقى قوية إلى أبعد مدى وستبقى، ستنتقم لكرامتها ولن تدع فرصتها تمر مرور الكرام، ستلعن الأيام التي أسلمته فيها ثقتها وحبها دون مقابل، ستثأر بكل ساعة اعتصر قلبها من فراقه وغربته وهي تحمل أولادها منه وهو ينعم بالحياة مع أخريات.

ظلت تفكر! كيف ستلقاه! إن سافرت له ومعها العنوان التي أرسلته لها تلك المجهولة، ستزوره بوقت متأخر من الليل أو ظهرًا!

كيف سيكون اللقاء، كيف ستكون المواجهة

حاولت أن تنتقي إحدى الكلمات لتذبحه بها، لم تجد شيئًا من السكين الذي ذبحها بها، لم تجد أوجع من السكين الذي انغرس بقلبها

ستترك كل شيء للقدر يرتبه كما يشاء.

أرسلت لها رهف تطلب صورة من جواز السفر الخاص بها، صوَّرته وأرسلته لها، بعد عشر دقائق كانت رهف قد أرسلت لها صورة لطلب الزيارة، أرفقته برسالة نصية تخبرها أنها في انتظار الرد بالموافقة خلال 24 ساعة؛ لتستطيع حجز تذكرتها وقتما تشاء وأنها في انتظار استقبالها بالمطار.

ذهبت ميس لوالدتها، أخبرتها أن تأتي لبيتها لتعتني بصغارها، وأنها يجب أن تغادر مصر لذهابها إلى الدوحة لحل مشكلة مع زوجها حسام، أخبرتها ألا تحادث أحدًا من عائلته كي لا ينتابهم القلق عليه.

كانت حقيبتها مجهزة للسفر، وقتما ترسل لها رهف موافقة الطلب، بالفعل لم يتأخر الرد الذي جاء مساء نفس اليوم، لم تتحمل ميس أن تنتظر للصباح للذهاب لرفيقتها شدوى لتتم إجراءات حجز السفر.

ولجت إلى صفحة إحدى شركات الطيران بحثت عن أقرب حجز، أتمت الحجز من خلال الفيزا كارت خاصتها، ثم طبعتها.

بعد ثمان ساعات كانت طائرتها إلى مصيرها المجهول تحلق بالسماء، تنظر خلفها وهي تعلم أن القادم لم يكن أسوأ مما مضى.

بالمطار استقبلتها رهف كما اتفقت معها، كانت ملامحها تجيد إخبارها أن هناك شيء كبير يحدث معها.

- يا الله، وايش فيكِ يا ميس؟، أول مرة أشوفك بالحالة دي.

- أنا كويسة يا رهف، ينفع نروح عندك بالبيت؟

- طبعًا حبيبتي تنوري.

- ما بتكلميش سلمى يا رهف؟

شردت قليلًا ثم أتبعت:

- ما هاكذب عليكِ من آخر مرة جات لي البيت وأنا ما اتكلمت معاها، يمكن باكون قسيت عليها، بس غصب عني والله، مع ذلك باتمنى لها كل خير.

- إحنا أصحاب وعشرة، ما تخليش أي حاجة تنسيكِ أيامنا الجميلة مع بعض.

- عندك حق، فرصة نتقابل سوا، أنا نفسي أقابلها.

علمت ميس أن رهف لا تعلم عن زواج سلمى قررت أن لا تخبرها حتى يلتقوا جميعًا.

ما زالت تبحث عن سلمى وما زال هاتفها مغلقًا، تريد أن تحكي لأقرب المقربين إلى قلبها، تريد أن تساعدها.

لكن أصبح عليها أن تواجه الأمر بمفردها.

استخرجت الرسالة التي حفظت محتواها وحروفها عن ظهر قلب، التي ملأت عينيها بصورها وتفاصيل الصور كي لا يهزها حنين أو ندم استرجعت العنوان للمرة ما قبل الأخيرة.

حينما دلفت بيت رهف كانت الساعة الثامنة، وضعت حقيبتها وأبدلت ملابسها واستأذنت من رهف أن تقضي مشوارًا وستعود في القريب وتخبرها كل ما يحدث لها.

كان قلبها يخفق بشدة حينما استقلت "تاكسي"، وطلبت منه المكان الذي تريد ذهابه، استرجعت للمرة الأخيرة الرسالة باسم الشارع ورقم البناية والطابق ورقم الشقة

كانت المنطقة التي تتوجه إليها أفضل مما سكنت فيها معه، لا يهم المقارنات بالوقت الحالي، الأهم كيف ستتصرف

ماذا إن لم يكونا بالبيت معًا!

جميع الأسئلة والسيناريوهات كانت تدور بمخيلتها، حتى وصلت إلى البناية،

دخلت إلى المبنى وضغطت زر الطابق الثالث، تمنت ألا تجد رقم الشقة لكنها وجدته.

وقفت ما يقرب من ثلاث دقائق متجمدة أمام الباب حتى دقت الجرس بيدين باردتين كالثلج.

فتح الباب لها شاغرًا فاه!، لم ينطق ولم تنطق

لو لم تكن الأخرى بالداخل لصاح بها يسألها كيف ومتى جاءت إلى هنا، لو لم تكن بالداخل لأخذها بين ذراعيه كما يلتقيا بعد غياب السفر، لو لم تكن بالداخل لم يتجمد، لو كان بشقة أخرى ربما استبعد فكرة أن تكون قد علمت بأمره.

لكنها تقف أمامه، وما هو إلا في استنكار من حقيقة ما يراه، ربما يظنه حلمًا أو سرابًا، تدور بعقله آلاف التساؤلات، إلى أن نطق أخيرًا بحروف مبعثرة

- مـ .. ميس.... جيتِ هنا ازاي؟، ثم خرج خطوتين آخذًا الباب وراءه كي يغلقه

- بتقفل الباب؟ خايف منها ولا خايف أشوفها؟

- لأ، باقفل علشان...

ثم ظهرت من خلفه ترتدي "جينز" "وتيشيرت" قصيرًا يكشف عن بطنها،

- مين يا حبيبي

ردت ميس عليها:

- مراته يا عروسة

ساد الصمت ثوانٍ كانت كالسنوات، كان يجول بنظراته بينها وبين الأخرى، قال:

- ميس استنى هافهمك كل حاجة

- اخرس ما اسمعش صوتك، عاوز تفهمني إيه، إني غبية، إني مغفلة؟، وإني بقالي 10 سنين باحب حد طلعت ما اعرفهوش؟ ولا إني عايشة لوحدي علشان أربي ولادك وأوفر لك مصاريف العيشة.

- أرجوكِ اسمعيني سلمى عاوزة توقع بينْنَا.

- سلمى؟ إيه علاقة سلمى بالموضوع؟ إيه علاقتها

- مش هي اللى قالت لك؟

- لأ مش هي اللي قالت لي ومش عاوزة أسمعك ولا عاوزة أشوف وشك تاني، انت أوسخ إنسان شُفته في حياتي.

حاول الخروج لإمساك يدها، أمسكته زوجته الأخرى

- تطلقني وفي أقرب وأسرع وقت وتختفي من حياتي أنا والولاد تمامًا.

ظلت تمشي بالشوارع لا تعلم وجهتها، مشت كثيرًا حتى آلمتها قدماها، بكت للمرة الأخيرة، تذكرت أنها لم تسحق كرامته، لم تبصق بوجهه، لم تصفع تلك المرأة على وجهها ألف لطمة، كيف كانت هادئة بذلك الحد، ربما هي القوة التي طلبتها من الله أن يمنحها لها،

بعض الأشياء التي نراها بأعيننا تخلق بنا أشخاصًا جدد.

رجعت إلى رهف متورمة العينين، رجعت جافة الدموع، رجعت وهي تملأ قلبها حبًّا وتقديسًا لذاتها رجعت بداخلها آلاف الأسئلة عن علاقة سلمى بالموضوع وغيابها بتلك الفترة خصوصًا التي تلقت بها رسائل ولماذا ذكر حسام اسمها.

- غياب سلمى يعني الكثير من التخبط، تنتظر ظهورها لتجيب عن أسألتها لتفهم علاقتها، هل هي مرسلة الرسالة! ليس أسلوبها ولا طريقتها، إذن هي تعلم شيئًا عن الأمر، كيف إذن لا تخبرها؟!

لا تطيق رؤية أحد، تريد أن تظل صامتة، إلى أن ترجع سلمى.

❋ ❋ ❋

- 15 -

جنون الأصدقاء، وحب الحياة، والضحك طويلًا من القلب لا يأتي سوى من الذين يعشقون من قلوبهم ويضحكون من قلوبهم، المقبلون على الحياة، تضيق أعينهم بشدة وتدمع حينما تغمرهم السعادة.

كل يوم يلتقيان أربعتهم، يتناولون الغداء، يأخذون جولاتهم بباريس وغيرها من الأماكن القريبة، زاروا معالم جديدة.

علاقة بدر بسلمى كان لها رحيقًا خاصًّا حينما تستنشقه، تريد أن تملأ قلبك منه، تغار فتفوح منك رائحة الحب، تفرز خلاياك العشق، تتمنى لو تتشابك يدك مع آخر كتشابك يديهم، تتحدث عيناك مع أحدهم كحديث عينيهم، حينما تلمحهم تعرف تمام معرفتك أنهما غارقان ببعضهما البعض، لا شيء يمكنه زحزحة الحب من قلوبهم على مر الزمن.

هكذا كان يوسف وجومانا، عزفا أول مقطوعة في نوتة بيضاء، بعدما قرر يوسف أن يحسم علاقتهم المشوشة، كانا يجلسان على الشاطئ تحت ضوء القمر حينما كان بدرًا، نظر بعينيها طويلًا، أمسك يداها ثم قال لها: آسف إني تعبتك معي بكل سنين الانتظار، باحبك وباتمنى أكمل عمري معك.

وقع الكلمات المنتظرة طويلًا على قلوبنا، مفزع، مدهش، مفاجئ،

ربما لو نترك مشاعرنا تطفو فوق أرواحنا، لتعانقنا بلا صوت، لأحببنا بدون عقد وخوف.

ولأول مرة يخرج يوسف عن قوقعته، ولأول مرة يدرك أنه يحبها بجنون، لم تكن جومانا مجرد صديقته التي تتحمل تقلباته وانتكاساته، كانت روحه التي تلمسه، كانت عقله الذي يفكر معه، كانت القلب الذي يستمع له ويتحدث معه من الأعماق.

كانت أول ليلة تحلق جومانا بالسماء، كانت ترى القمر للوهلة الأولى، وتسمع صوت الموج للمرة الأولى، كانت جميع الأشياء أجمل من ذي قبل، جميع الأصوات عالية، جميع الألوان أكثر زهوًا، حتى نبض قلبها يسمعه الجميع، كل الأشياء تخبرها أنها لم تشعر بها من قبل.

كان الآخرين يمشيان على الرمال، يتحرران، يتحدثان من أعماقهما،

كل منهم يحلم مع الآخر، يتذكران لحظات جمعتهما، يتذكران كيف التقيا وكيف أحبا بعضهما البعض، ماذا لو التقيا من ذي قبل!

- يا ريتني قابلتك من زمان.

- إحنا أكيد اتقابلنا في الوقت المناسب يا بدر

- عندك حق، إحنا اتقابلنا في أكتر وقت محتاجين بعض فيه

- أنا حاسة إني بطلة فيلم رومانسي، أو بين سطور رواية حب

- أحسن حاجة في الحياة إنك تعيشي بشكل مختلف تعيشي بجنان وتعملي كل اللي انتِ عايزاه من غير قيود، وتحصل لك حاجات كتير تشقلب حياتك مش تمشي على خط واحد وحياة مملة ورتين خانقك، الأحسن إن حياتنا يكون فيها نجمة تميز، حاجة ما حصلتش لحد قبل كدا

ابتسمت فقالت:

- نفسي نعيش مع بعض لحد آخر يوم في عمري

- هنفضل مع بعض لآخر العمر هنكبر سوا، ونخلف، ونعجز سوا، ونحكي حكايتنا دي لكل الناس.

- نفسي في يوم أرجع مصر وما اكونش خايفة أواجه حد

- ما تخافيش من أي حاجة طول ما انا معاكِ، إحنا ما عملناش حاجة غلط، ولو عاوزة تنزلي مصر أول ما تخلصي التيرم بتاعك ناخد إجازة ونزور مامتك وباباكِ الله يرحمهم، واعرفك بماما وبابا، ونروح لأختك ونزور كل الناس اللي بنحبهم

وكمان نصيف ونتفسح ونعمل كل اللي احنا عاوزينه.

- فكرة حلوة قوي، يا ريت نعمل كدا بجد.

- طيب إيه رأيك نعمل حاجة مجنونة بكرة؟

- إيه هي؟

- سمعت إن فيه هنا سكاي دايفينج حلو جدًّا

- انت أكيد بتهزر، أنا باخاف موت من الأماكن العالية

- أنا زيك وأكتر والله، بس خلينا نجرب علشان خطري

- لا يا بدر لأ لأ ما اقدرش خالص، لو عاوز انت تجرب جرب، بس انا خايفة عليك علشان العملية اللي انت عاملها.

- خلينا ننسى الخوف، وننسى التعب، أنا عاوز أعيش معاكِ كل حاجة من غير أي حسابات دا هيبقى آخر يوم لينا وبعدها هنرجع للشغل والقيود ممكن نتجنن النهاردا بس؟

- مش هاقدر أغلبك في الكلام، ماشي نتجنن

أخبرا يوسف وجومانا باقتراحهم، رحب يوسف، أما عن جومانا فقد كانت بالفعل تريد أن تحلق مع يوسف بالسماء، راقت لها الفكرة وكأنهما يقرءان أفكارها، لم تستطع كبح برودة يدها والرجفة التي سرت بها رغم أن الطقس هادئ، لن تستطيع أن تخفي لمعة عيونها التي عكسها ضوء القمر، شعرت بها سلمى فقالت لها:

- أنا حاسة إن فيكِ حاجة

- أيوة

- يعني إحساسي صح

أومأت جومانا رأسها بالإيجاب،

- احكي حصل إيه

- أخيرًا اعترف إنه بيحبني ياه أنا ماني مصدقة لحد الآن إنه قال لي هيك قد إيه استنيت اللحظة دي

واحتضنت سلمى قائلة:

- شكرًا إنكم ظهرتم في حياتنا وخليتونا نقرب من بعض حقيقي باشكركم من قلبي

سعادة كانت تغمر سلمى، بمَ تشعر حينما تكون سببًا في سعادة أحد بالكون؟!

لن تستطيع تصديق مدى رضاك عن ذاتك لأيام طويلة، مدى شعورك بأهمية وجودك بالحياة، واليوم تشعر أنها أصابت اختيارها، أن الله سخر لها بدر، والقدر سخر لها مقابلة يوسف، القدر رتب كل شيء بلا موعد ليلتقي كل قلب بمن قدر له.

بالصباح الباكر، ذهب الأربعة إلى منطقة ركوب الطائرة الخاصة بالدايفينج، تحدثوا عن إجراءات السلامة، وتفاصيل الرحلة، وكيفية القفز من الطائرة، ثم ارتدوا الملابس الخاصة بالرحلة، صعد معهم المرافقون الذين سيرافقوهم رحلة التحليق بالسماء، كان الأمر ممتعًا ومشوقًا، إلا أنهم جميعًا لن يستطيعوا إخفاء توترهم الذي كانوا يقطعونه بالضحك والمزاح وبالصور السيلفي.

حلقت الطائرة فوق أراضٍ خضراء مخصصة للهبوط بالمظلات، بدأ الجميع للاستعداد، ومن ثم تم ربط كل منهم من الأمام بأحزمة خاصة بأحد المرافقين المتدربين من الرحلة.

الجميع يصيحون والهواء يدخل بصدورهم، يتساءلون من سيبدأ بالقفزة الأولى.

بدأ يوسف بالقفز مع مرافقه، تبعته جومانا بلا تردد، ترددت سلمى التي صمم بدر أن تبدأ هي بالقفز حتى لا تتراجع بعد قفزه، ثم تبعها.

الجميع يتقلبون بالسماء، الهواء يخترق صدورهم، يداعب وجوههم، تفرد سلمى يديها لا تصدق كيف يكون الطيران بذلك الجمال، كيف نحمل أشياءً في صدورنا، هنا فقط تستطيع أن تنسى من كنت على الأرض بالأسفل، مزيج من إحساس الخوف بالاستمتاع، يجب أن تقتل الخوف لحظتها، يجب أن تمسحه من ذاكرتك،

بدر يشعر بأن الحياة هنا، حياة أخرى تمامًا، إن الهواء الذي يدخل صدره يختلف عما استنشقه طيلة أيام مرضه، وخز بسيط بقلبه شعر به، تغلب عليه سريعًا حينما اقترب من سلمى هو ومرافقه ولمس يدها.

عاشقان يسجلان اعترافهما بالسماء، يودان لو يكتبانها فوق السحب، ليشهد عليهما أهل الأرض الذين ينظرون نحو الأفق، لا شيء دفعهما للإلقاء بذاتهما في الهواء سوى الجنون وتهور الحب

نعم هو الحب! هو الدافع للجنون، هو الدافع لتبقيك طوال العمر منتشيًا بالسعادة.

ظلوا يحلقون من فوق السماء ثم اقتربوا من بعضهم ليشكلوا دائرة تشابكوا بالأيدي في صياح جنوني وفي خلال دقائق، فتحت المظلات، وبدأوا بالهبوط رويدًا، حتى نزل الجميع إلى الأرض العشبية وسط تصفيق حار وهائل من المشجعين بالأسفل.

شعرت سلمى بدوار أصابها، لم تستطع قدمها حملها، سقطت كورقة خريف بين أيدي بدر.

أخذها بدر إلى غرفة إسعاف مخصصة بنفس المكان، سألها الطبيب بعض الأسئلة، وبعض قياسات الضغط والسكر والنبض، كان الضغط منخفض قليلًا، أخذت بعض العصير وتحسنت حالتها.

- تعالي نروح المستشفى علشان أطمن عليكِ

- لا يا بدر أنا ما باحبش المستشفيات وانا بقيت كويسة

- شكلك تعبان تعالي نروح علشان خاطري

- والله بقيت كويسة أنا قُلت لك إني باخاف فطبيعي يحصل لي كدا كويس إني ما أغماش عليَّ فوق

- آسف إني تعبتك

- بالعكس أنا اتبسطت جدًّا

- طيب يلا نروح ناكل ونرتاح.

تحدث يوسف موجهًا لهما حديثه:

- خلينا نحتفل بالليل قبل سفركم بكرة، ارجعوا ارتاحوا شوية ونتقابل.

- اتفقنا.

جلس الجميع بمطعم فاخر، يتناولون وجبة العشاء، الجميع بملابس سهرة تناسب المكان، أخرج يوسف من سترته علبة صغيرة حمراء، وقام ينثني على ركبتيه ليقدمها إلى جومانا:

- (Épouse-moi? تتجوزيني)

المشهد الرائع المكرر، مهما شاهدته بالتلفاز، بفيلم، بالواقع، ستسري بك رعشة وتدمع عينك، ستصفق بحرارة.

وبالفعل صفق رواد المطعم بحرارة، دمعت عينا جومانا، ودمعت عينا سلمى من فرحتها بها، استعادت يوم ما طلب منها بدر الزواج، أمسك بيديها وضغط عليها، يخبرها أنه سيظل يراها امرأته وحلمه الوحيد.

- قد إيه فرحان ليكم يا يوسف

- احنا اللي اتعلمنا منكم أشياء حلوة كتير

- أول ما تتجوزوا لازم تقضوا إجازتكم معانا سوا بالدوحة أو مصر

- أكيد

السيدات يحتضنان بعضهما البعض، بفرحة عارمة،

- ألف مبروك يا حبيبتي، فرحت ليكم قوي

- الله يبارك فيكِ انتو السبب في فرحتنا دي

- قريب نفرح بخبر جوازكم، يارب أشوفكم على خير عمري ما هانسى أحلى أيام قضيناهم معاكم.

كانت لحظات الوداع خفيفة، دون أن تنغرس بهم بصمات حزن تمحو سعادة اليوم بكل تفاصيله.

ذهبا إلى غرفتهم بالفندق لحزم أمتعتهم والاستعداد للذهاب إلى المطار والرجوع إلى حياتهم بالدوحة.

❋ ❋ ❋

- 15 -

أول ليلة بعد استئصال جزء منك لم تشعر بشيء إثر التخدير، ستنام طويلًا، ثم تصحو فزعًا على ألم غير محدد موضعه، دقائق وستعرف مصدره بوضوح، رويدًا رويدًا ستتأقلم على شعورك بالألم، ستهدأ ثم تتألم ثم تصمت، ستعلم أنك أفضل وأقوى، ستعلم أن ألم الإزالة خير من آلام البقاء المزمنة.

هكذا كانت تشعر ميس، بعد أن عادت من ذلك اللقاء الذي يشبه بركانًا ثائرًا من الأعماق، خامد الملامح، أيام تقضيها ببيت صديقتها، قليلة الكلام، كثيرة النوم.

سوء حالتها جعلت رهف تطلب من أخيها أن يجلب لها طبيبًا من مشفاه لتفحص حالتها، كان طلبها الأول والأخير هي سلمى، تريد فقط أن تلقاها وتنتظر ظهورها، كانت تعلم رهف أن رائف لا يريد أن يتطرق إلى سماع اسمها، لكنها طلبت منه أن يلبي رغبة صديقتها ويبحث عن طريقٍ لها، حتى توصل أنها خارج البلد.

أخبرته رهف أن يترك لها مظروفًا بالمطار في حال دخولها، تخبرها به أنها تريدها لأمر عاجل يخص ميس وأن تحضر في حال وصولها.

كانت رهف تتمنى أن تعود بأسرع حال لتطمئن لحال ضيفتها التي تخاف أن تقلق أمها وأولادها عليها بمصر، وكان آخر خيار لها أن تتصل بزوجها التي تعلم أنه سبب مرضها وألمها التي تجهل سببه حتى الآن.

بعد مرور ثلاث ليالٍ، وصلت سلمى للمطار، استدعاها أحد الموظفين بالمطار إلى مكتب بأحد الممرات، وبعد انتظار أخبرهم أحد المسؤولين أن هناك المظروف يحمل رسالة للأستاذة سلمى.

توجهت سلمى لبيت رهف دون تفكير، رغم أن بدر كان مترددًا لوجودها في ذلك البيت، طمأنته سلمى أن لا شيء يدعو للقلق وأنها ستحسن التصرف مهما حدث.

قرعت جرس المنزل دون اتصال مسبق، دلفت بهو الفيلا، التي غادرتها آخر مرة بفتور من رهف، مجرد ما رأتها تعانقا بحرارة ودموع رهف آثرت على سلمى البكاء هي الأخرى:

- في إيه يا رهف، ميس حصل لها إيه أنا مش فاهمة حاجة

- ميس بقالها كام يوم عندي ومن أول ما جات وهيَّ كدا ما اعرف إيه اللي حصل لها وكل ما أكلمها بتقول إنها عايزاكِ انتِ.

نظرت لها بلوم وحيرة:

- انتِ تعرفي حاجة يا سلمى؟

- لأ طبعًا أعرف منين، أنا لسَّا جاية من المطار، طلعيني عندها بسرعة

صعدا الدرج واتجها إلى غرفتها التي أقامت بها حينما جاءت من مصر منذ ما يقارب العام، وجدتها نائمة، اقتربت منها وجلست على ركبتيها:

- ميس أنا جيت.

فتحت جفونها المتثاقلة، استجابة للصوت الذي تعرفه جيدًا، انفجرت بكاءً حينما شاهدتها، أخذت تربت عليها بحنان وتهدئها:

- اهدي يا حبيبتي اهدي علشان خاطري في إيه.

- حسام يا سلمى

علمت سلمى أن هناك شيئًا كبيرًا قد حدث، أن الأمر انكشف عنه وعن تلك الفتاة التي رأتها معه

- قولي لي انتِ كنتِ عارفة؟

صمتت سلمى، آخر ما كانت تتوقعه أن تعلم صديقتها أن زوجها يخونها ولم تخبرها، كيف ستبرر لها، كانت كلماتها كالغصة بالحلق.

- والله العظيم شُفته مرة، وما رضيتش أبدًا إني أضايقك.

انهمرت في البكاء:

- تضايقيني، تضايقيني دا إيه، ما كانش لازم تخبي عليَّ، إزاي تسيبيني على عمايَ، هو مين أقرب لك، أنا ولا هو؟

- والله العظيم مش كدا والله أبدًا هافهمك وهاحكي لك بس احكي لي اللي حصل الأول

- البيه طلع متجوز، عاوزة أتطلق منه وبس، أنا بس استغربت إنه جاب سيرتك وفاكر إنك انتِ اللي قُلتِ لي

- ما كانش ينفع أحكي لك وانتِ في بلد وهو في بلد، وما اقدرش أحكم على العلاقة دي، أنا شُفته في مكان عام، ما اعرفش هي مين، وهو هددني وتطاول عليَّ وعلى بدر، لو ما كنتش شُفتهم بعيني كنت هاكدب نفسي، ما ترميش عليَّ الذنب، أنا صحيح غلطانة إني ما قُلتلكيش بس كنت هاوجع

قلبك وانا مش معايَ دليل على صحة كلامي دا مجرد شك، بس انتِ عرفتِ ازاي؟

- جات لي رسالة اتفضلي شوفي.

قرأت سلمى الرسالة، وشاهدت الصور، حتى وصلت إلى نهاية المحادثة.

- مين دي اللي باعتة لك الرسالة والكلام دا حقيقي.

- رُحت العنوان، شُفته معاها في الشقة، شُفتها، الكلام حقيقي لولا عينيَّ شافتهم كنت هاكذب نفسي.

- قابلتِ اللي بعتت لك الرسالة؟

- لأ، مش عارفة أعمل أي حاجة مش عارفة أفكر إزاي أنا عاوزة اتطلق.

- اهدي وهنتصرف، ممكن تنامي للصبح وانا كمان هاريح وأعدي على الكلية بس علشان بقالي عشر أيام مسافرة واجي لك نرتب كل حاجة

خرجت سلمى لرهف تعتذر لها:

- هيَّ ما قصدتش تخبي عليكِ والله هيَّ نفسيتها وحشة زي ما انتِ شايفة

- لا حبيبتي بالعكس أنا ما يهمني إلا أني أطمئن على حالها أنا ما كنت أدري أكلم مين من أهلها وخفت أقلق أهلها وما حبيت أكلم زوجها دريت إنه سبب البلاوي

- خليها تنام والصبح هاجي لكم على طول

واستدارت لترحل، استوقفتها رهف قائلة:

- سلمى لا تزعلي مني أنا آسفة إني كنت قاسية عليكِ آخر مرَّة جيتيني فيها، وألف مبروك على جوازك، الله يهنيكِ

ابتسمت سلمى قائلة:

- ولا يهمك ما اقدرش ازعل منك يا رهوف انتِ صحبة عمري وما اقدرش استغنى عنك أبدًا الحمد لله الظروف فرقتنا والظروف برضه اللي رجعتنا تاني لبعض.

غادرتهم، ثم جلست بسيارتها، قفزت أحد الأفكار برأسها، أمسكت هاتفها المحمول تراسل أختها:

- صباح الخير يا نور، وحشتيني

- صباح الخير يا حبيبتي حمد الله على سلامتك

- الله يسلمك

- ممكن تحجزي لي عندكم نيجي نقعد أسبوع كدا أنا وبدر وهنجيب ميس معانا.

- طبعًا يا حبيبتي تنوروا

- طمنيني على تاليا حبيبة خالتها نفسي أشوفها قوي

- هتيجي وتشوفيها بإذن الله

- أول ما أقرر هاكلمك.

- هاستناكم يا حبيبتي.

جاءتها الفكرة، لتأخذ بيد ميس ويقضيان وقتًا بعيدًا عن زوجها حسام كي لا يلتقيا، تريد أن تقابل نور التي لم تلتقِها منذ وفاة والدتهما، تريد أن تقضي إجازة أطول مع بدر، جميع الأشياء كانت تريدها أن تحمل نفس حقائبها وتعود إلى مصر التي اشتاقتها.

في صباح اليوم التالي، اتصلت سلمى هاتفيًا بمديرها، تشكره على رحلتها الرائعة مع بدر، تخبره أنها حقًا أسعد رحلة قضتها بحياتها،

ثم ذهبت لبيت رهف، لتطمئن على أحوال ميس.

دخول بيت رهف ولقاؤها ما زال يسري رعشة طفيفة في أوصالها، تعلم أن هناك خدش بعلاقتهما، تعلم أن قلب الأخت منفطر على أخيها، لكن لا شيء تستطيع إخبارها به، هناك أشياء تظل مخبأة في صناديق سوداء حتى تسنح الفرصة أن تنكشف.

- صباح الخير يا بنات، أنا جبت لكم فطار ما حصلش يلا نقوم نفطر زي أيام المدرسة زمان.

- والله خير ما عملتِ يا سلمى، وحشتني لمتنا ومبسوطة إننا متجمعين

- المهم إنه في لمبة بس مضلمة ومنكدة علينا يا ريت كدا لو تنور.

نظراتها يائسة لكنها لم تمنع نفسها من ابتسامة مغصوبة.

استطردت سلمى حديثها:

- عندي ليكِ خبر حلو، هانزل مصر معاكِ ناخد ولادك ونطلع على شرم الشيخ نتبسط بقى ونتدلع كدا وننسى الهموم

- ما أحلى ها الخبر والله يا لومي

- أبوس إيدك ارسي لك على لهجة

- أنا نفسي مش عارفة يا سلمى وراس أبوي إني ما بقيتش منتمية لأي لهجة صحابي من لبنان والمغرب وتونس وقرايبي نص مصري ونص قطر، وقرايبي اللي عايشين بلندن ما بيتكلموش أصلًا عربي في الحمد لله إني باتكلم كدا.

- خلينا في المهم يا منتمية، قُلتِ إيه يا ميس.

- مش هامشي من هنا غير لما أقابله ويطلقني ونحط النقط على الحروف.

- يعني إيه يا ميس؟

- يعني لازم تساعدوني وتقفوا جنبي، مش هاحس إني حرة، ولا هافوق من كل حاجة في حياتي إلا لما يخرج منها تمامًا.

- وافرضي ما وافق يطلقك يا ميس إيه العمل؟

- انتِ اللي تقولي لي وانا في بلدكم يا رهف إيه العمل؟

- لازم يطلقك من خلال السفارة لأنك مش مقيمة.

- مش مهم يطلقني المهم انزل مصر حرة ويخرج من حياتي تمامًا.

- شوفي عندي فكرة، إحنا نقدم طلب في مجلس الأسرة نحاول نحركه شوية ويسرعوا في الجلسة وتقدمي أسبابك للطلاق وبيضمن لك حقوقك وبنسأل شوية في تفاصيل مصروفاتك وأولادك.

- برافو عليكِ يا رهف يلا حالًا نعمل كدا هنستنى إيه.

خاب أمل الثلاث سيدات حينما عرفوا أن القانون لا يعطي الحق للمرأة بالطلاق إذا تزوج زوجها شرعًا، وأنها ما دامت مجرد زائرة سيتحول الموضوع على البلد الأم، فلاشيء سينتهي بسهولة كما توقعوا، تحدثت سلمى:

- ما كنتش متخيلة الموضوع معقد كدا.

- ولا تعقيد ولا شيء لما تنزل مصر تخلص إجراءاتها

- وافرض ما رضيش ينزل يا بنتي وفضل هنا.

- أنا رأيي إنها تتقابل معه وتحاول معه بطريقة سلمية جايز يوافق

كانت ميس صامتة شاردة عما يتحدثون، تريد أن تتحرر من أي قيد يربطها به، شعرت وأن جميع الغفرانات التي غفرتها له هي ذنب كبير يستحق أن تُعاقب نفسها عليه ألف مرة، أن تهاونها بحق ذاتها كان سببًا في خسارة قلبها وحياتها، تريد أن تتخلص منه تمامًا وتلقيه بسلة مهملاتها، تتمنى لو كانت تستطيع جعله يتنازل عن أولاده لتضمن عدم لقائه، فليحدث ما يحدث، فقط أن تنهي القصة ولا تريد منه سوى نفقة الأولاد.

- مش طايقة أقعد معاه، اللي بينْنَا لازم يخلص، محتاجة أخرجه من حياتي بلا رجعة.

رن هاتف سلمى لتجد المتصل بدر:

- أيوة يا حبيبي، ازيك

- تمام يا حبيبتي فينك

- كنا في مجلس الأسرة كدا بنشوف شوية حاجات مع ميس

- طيب فيه خبر مش كويس

- خير

- فتحتِ الانترنت؟

- لأ للأسف ما فضيتش خالص لسَّا

-في صفحة على "الفيسبوك" منزلة خبر ما لوش لازمة، السبب ورا طلاقك وجوازك الجديد وصورة من فرحك مع رائف وصورة لينا مع بعض، أكيد دا حسام بيمارس قذارته بأسلوب مش محترم، بيضرب من تحت الحزام، يظهر إنه متخيل إنك سبب في المشكلة اللي حصلت، وعارف إن أكيد ميس هتيجي لرهف يعني عاوز يوقع بينكم.

- إمتى الكلام دا حصل وصفحة إيه دي، أنا هارفع قضية رد شرف ومش هاسكت والله لاجيب حقي منه بالقانون، وهاعرفه إن الله حق، هو مش عارف هو بيلعب مع مين الحقير دا.

صمتت سلمى، لا تعي ما تقول من كلمات، تتزاحم الشتائم برأسها تريد أن تلعنه وتسبه علنًا، لكنها كبحت غضبها حفاظًا على مشاعر ميس التي تعلم أنه سيظل أبًا لأولادها مهما كانت حقارته، وتعلم أيضًا أنه غير جدير بميس منذ كانا على علاقة حب، تعلم أنه من فئة تختلف عن الفئة التي جاءت منها ميس، تعلم أن غفرانها له كان حبًّا، كانت تجعل منه شخصًا رائعًا لتحظى باحترام الجميع له، لكنه يفقد معالم الاحترام والإنسانية.

- إيه يا سلمى في إيه مين دا وحصل إيه.
- حسام جوز ميس، فاكرني أنا إلى قُلتلها على علاقته بالست دي، منزل خبر على السوشيال ميديا عن حقيقة طلاقي من رائف علشان اتجوز بدر، وحاطط صورتي، قولوا لي إزاي يعمل كدا ما فيش غيره هيفكر بالطريقة دي ما حدش متخيل هددني ازاي لما شافني، كدا بيئذي سمعتي، وكل الناس هتشوفني تشاور عليَّ.
تحدثت ميس الصامتة: قذر وواطي ومش هاسيبه الندل.
- يا الله إزاي يعمل كدا، رائف، يا الله، رائف إذا شاف الخبر راح ينجن.
- مين قال لك كدا، يمكن يتبسط ويحس إن أخد حقه مني.
- انتِ ازاي مجنونة، ما تعرفي رائف، حسام ما يعرف إن ممكن ظنونه تخيب وانتو الاتنين ترفعوا عليه رد شرف، والله لا يتعمل له قضية يحلف بيها بعمره، فاكر نفسه بيلعب مع مين مع رائف يا لطيف، والله اللي بيخليني أرده عنه هي ميس بس مش أكتر.
- أنا آسفة يا سلمى آسفة والله، ما اعرفش إنه وقع كدا، أنا ما اعرفش ازاي قدر يعمل كدا، زمان رائف أعصابه اتحرقت وبدر متضايق جدًّا، أنا خربت لكم الدنيا أنا آسفة ليكم والله.
- أساسًا مش هنقدر نوصله ولا نعرف مين عمل كدا، السوشيال ميديا مفتوح على بعضه
- انتِ ازاي تفكري كدا يا سلمى، انت أكيد ما تعرفي رائف، وحسام دا اللي هيربيه بجد هوَّ رائف ما شاف وشه التاني دا هيهدله ويوديه ورا الشمس، والله اللي هيخلني أرده عنه ميس بس مش أكتر.

- أنا افتكرت حاجة مهمة، البنت اللي كلمتني وقالت لي تفاصيل عن حسام، أكيد بتنتقم منه، أكيد أذاها، أنا عاوزة أقابلها، عاوزة أعرف حقيقته البشعة واكرهه أكتر وأخلص حقي منه من غير ذرة ندم واحدة.

رن هاتف رهف، كما توقعت كان المتصل رائف:

- ألو رائف

- شُفتِ الخبر؟

- أيوة

- مين اللي منزله

- حسام جوز ميس صديقتي

- مش هاسيبه

- اصبر يا رائف ما تسوي شيء إلا لما اشوف ميس هتعمل إيه، هوَّ بينتقم من سلمى، لازم لنا قعدة واحكي لك كل شيء.

تحدثت ميس بجانبها: ما تخليهوش يعمل حسابي، غلط ولازم يتأدب

سألتها رهف هامسة: متأكدة؟ ولا بس دي حالة غضب

- متأكدة

- طيب شوف يا رائف، الصفحة اللي نزلت الخبر، اسمها ملتقى شباب مصر، شوف الصفحة ودور على حد من المتخصصين، وهما يقدروا يوصلوا لمكانه، أتمنى ما يكونش أخد احتياطاته ونقدر نوصل له.

أغلقت الخط مع رائف، الجميع بموقف لا يحسدون عليه، كل منهم مهموم بهمه، منذ دقائق كانا عونًا لها، وهذه اللحظة هم أطراف بالقضية، الانتقام رغبة من الجميع لا من ميس فقط.

تواصلت ميس مع مرسلة الرسائل والصور التي أرسلت لها وهي بمصر، وانتظرت لتتلقى الرد وتقابلها للمزيد من المفاجآت.

- ميس عايزاكِ تبقى قوية، المشوار لسَّا طويل، عايزاكِ تبقي قد المشوار دا، وطالما نويتِ انك تاخدي حقك إياكِ تضعفي أنا عارفة المرحلة اللي انتِ فيها دي، وشيء طبيعي إنك تحزني خدي وقتك، صرخي وزعقي وعيطي طلعي كل اللي جواكِ وبعد كدا فوقي واقفي على رجلك، كلنا جنبك ومش هنسيبك أبدًا، وانا هاجيب لك شوية أدوية مضادة للاكتئاب.

- عيطت وحزنت بما فيه الكفاية أنا عايزة آخد حقي منه والنهاردا قبل بكرة

- روحي انتِ ورهف وانا هاروح البيت أشوف بدر وارجع لكم بالليل

- شكلك مرهق جدًّا يا سلمى نامي وخدي راحتك ولما تقومي تعالي لنا

غادرتهم وهي تعلم أن الغضب يجتاح صدر بدر، تعلم أن فتح باب قصتها من رائف يشعله غضبًا رغم أنه لا يظهر لها ذلك،

كانت تريد أن ترتب كلامها وأن تعتذر له، كيف ستبرر له ما يحدث لكنها قد وضعت بطريق حسام وميس رغمًا عنها.

هي أيضًا تشعر بخطئها وتسرعها، هي أيضًا لا تحب أن تتذكر تلك الأيام، وتشعر بألم حينما تمر حياتها بأحداثها السريعة نصب عينها.

دلفت من باب الشقة وجدته جالسًا يتصفح موبايله، ينفث بالدخان الذي لم تعتده منه.

- بدر انت بتشرب سجاير؟

- يا ريت ما نتكلمش لأني متضايق جدًّا

- أنا آسفة، أنا السبب في كل اللي حصل دا

- ما تتأسفيش، دا مش ذنبك انتِ، أنا متضايق لأني مش عارف أوقفه عند حده الكلب دا

- علشان خاطري ما تضايقش إن شاء الله الصور هتتشال والخبر يتحذف

- ومين اللي هيحذفه؟ قولي لي مين؟ رهف صاحبتك وأخوها؟

- انت عارف إن رهف صاحبتي جدًّا، وعارف إني قطعت علاقتي بأخوها تمامًا من ساعة ما انفصلنا وعارف قصة جوازنا اللي ما كانش جواز أصلًا

- ومين يعرف إنه ما كانش جواز غير أنا وانتِ يا سلمى ها؟ ليه لما امشي في أي حتة الناس تفضل تشاور علينا، عمومًا أنا اللي هاتصرف معاه واعرفه مقامه

- هتعمل إيه يعني؟

- خلاص سيبيني لو سمحتِ علشان أنا متضايق

تركته ودخلت بغرفتها تبكي، علمت أن غضبه وصل إلى أقصاه، لكنه أبدًا لا صرخ ولا غضب بوجهها يومًا، راقٍ بغضبه كما هو راقٍ بمشاعره وحبه لها.

تجنبت مضايقته طوال اليوم كانت تريد أن تطمئن على أحواله، وعلى عودته لعمله، لكنها لم تستطع التحدث معه، أجلت الحديث لليوم التالي، دون أن تشعر غفت في نوم عميق إثر تعب اليوم واستعدادًا ليوم الغد.

استيقظت وهو يرتدي ملابسه متوجهًا لعمله:

- صباح الخير

- صباح النور

- أنا آسف لو كنت زعقت لك امبارح، كنت متضايق قوي

- ولا يهمك يا حبيبي أنا ما زعلتش منك أنا مقدرة موقفك كويس .. يااااه أنا نمت كتير قوي

- ما رضيتش أصحيكِ سبتك تقومي براحتك، هتروحي لميس؟

- هاعدي على الجامعة الأول قبل ما اقابلهم

- طيب ابقي طمنيني عليكِ

- حاضر يا حبيبي، خلينا نتغدى سوا النهاردا حاول تفضي نفسك

- هاحاول، باقول لك هو حسام جوز ميس دا بيشتغل إيه؟

- كانت قايلة لي إنه بيشتغل في المقاولات والعقارات

- ما تعرفيش اسم الشركة اللي شغال فيها؟

- بتهيألي اسمها الطائل

- تمام واسمه إيه بالكامل

- حسام السيد العيسوي، انت بتسأل الأسئلة دي كلها ليه؟

- باسأل عادي

- اوعى تكون هتعمل فيه حاجة

- انتِ عارفاني يا سلمى أنا مش إنسان مندفع ولا عقلي صغير

- ماشي يا حبيبي

- أسيبك أنا بقى

احتضنها وقبلها، خرج من البيت وهو يردد على نفسه الاسم مرة أخرى ويفكر بيومه ألا يمضي دون أن يعرف كل شيء عنه.

كانت ساعات قد مضت وأمامه تفاصيل عن مقر شركة الطائل وبيانات عن حسام العيسوي، وبعض مشروعات قيد التنفيذ، علم من أشخاص مقربون أنه يعمل بتأجير الشقق الغير قانونية لمحدودي الدخل من الباطن، أمسك بيده قلمًا أحمر وكتب بورقة بيضاء حسام ووضع حولها دائرة، ثم كتب إيجارات من الباطن.

كان يعلم أن إيجارات الباطن تتم من خلال تقسيم فيلات صغيرة إلى غرف كعلب الكبريت ضيقة جدًّا، من خلال مواد بنائية رديئة وتأجيرها للعائلات حديثي الإقامة بالدولة بأسعار باهظة بالنسبة للحجم لكنها أقل من المباني السكنية، كان الأمر ممنوعًا لكنه متداول بين المغتربين.
علاقات بدر بفترة قصيرة لم تكن بالسيئة أبدًا، هاتف أحد كبار المسؤولين وطلب منه إرسال دورية تفتيش لفحص موقع من مواقع حسام العيسوي بشركة الطائل حيث جاءت منه شكاوٍ ولا أحد استطاع أن يثبت عليه أي حالة.

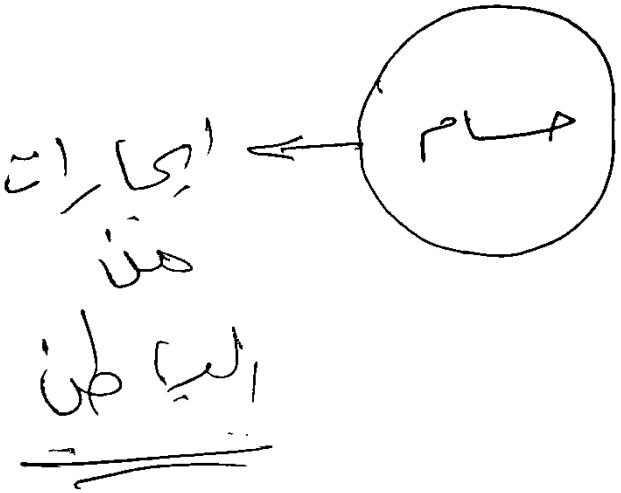
حمام
إجازات
من
الباطن

استغرق الأمر يومين حتى قامت دورية بتفتيش مفاجئ، طبقًا للمعايير والأوراق، والمواد المستخدمة والمواد الفعلية، وجد أنه لا يوجد تطابق، الأمر الذي جعل هيئة الرقابة تفتح عليه النار بلا رحمة ولا شفقة.

المواد المستخدمة أقل كفاءة وتكلفة عن المواد المذكورة بالعقود والبنود، حتى الكميات غير مطابقة، الكميات أكبر بكثير من المستخدم.

أقرت الجهة المختصة أن المباني غير مؤهلة لتحمل درجات الحرارة والبرودة وتقلبات المناخ وفقًا لمعايير البناء.

أصدرت الجهة قرارًا بالتحقيق مع حسام بفائض الأموال المستهلكة لشراء المواد والذي بدوره هو المسؤول عنها، وفائض المواد الخام الغير مستهلكة.

في خلال يومين، كانت ميس قد توصلت إلى مُرسلة الرسائل "لينا" تلك التي روت لهم تفاصيل عن عمله، وتفاصيل عن حياته، اكتشفت ميس أن لحسام وجه آخر خلف قناع الطهارة الذي يظهره دائمًا، اكتشفت أنها لم تعرفه من قبل!

"لينا" كانت تعمل بمول بالقرب من شركة الطائل، التقت حسام في يوم ممطر تعثرت فيه وسقطت حتى ابتلت وتلطخت بالطين والتراب، أمسكها وساعدها وعرض عليها أن يوصلها للمنزل، كان منزلها ليس بالبعيد لكن حالة ملابسها كانت تجبرها أن تذهب معه، تعارفا سريعًا، تبادلا الأسماء وأماكن العمل وذهب كل منهم بطريقه بعدما أوصلها.

مرت الأيام وتلاقا أكثر من مرة صدفة، حتى دعاها ليتناولا العشاء بالمول سويًا، وبدأت الحكاية التي تخطت حدود الصداقة.

لم تكن لينا صيدًا سهلًا، لكن قلبها كان أسيرًا لاهتمام رجل مثله، أحبته وانجذبت له، أعطته قلبها دون أن تشعر، بلا قيود، ثم أصبحت تعطيه كل ما تملك من جسدها، كلما جاءها جائعًا أشبعته، بلا مقابل، بلا شروط، كان هو رجلها الوحيد وسكنها.

شعرت يومًا بحقارة جسدها، بتحوله الذي يطرأ عليه بعد أن يكتفي منها، يبتعد متى يشاء ويعود حينما يريد، طلبت منه أن يوثقا علاقتهما بالزواج، لم يكترث لكلماتها وتركها، نعتها بأقذر الاتهامات، ظنها فتاة ليل يعبر عليها من الرجال من يشاء، رغم أنه هو من اجتاز بوابة عذريتها، لا شيء شفع لها عنده، ولا شعر بحبها له ولا بسذاجتها، هي من تنازلت حتى فقدت كل ما تملك.

هجرها أيامًا طويلة، حتى وجدته بعلاقة مع أخرى، لم تَدُم علاقتهما طويلًا حتى تزوجا، بنفس الشقة التي كانت تلتقيه بها مؤخرًا، يعلم أنها لم تستطع فضح أمرها وشكواه، كيف ستفعل وهي من أسلمت له ذاتها.

ظلت تبكي أيامًا، حتى علمت أنه بالأصل متزوج لم تكن تعلم أن لديه امرأة وأطفالًا، الأمر الذي جن جنونها، جعلها تبحث بشتى الطرق إلى أن توصلت لزوجته ميس، أرسلت لها كل ما تعرفه عنه، طريق الانتقام منه سيكون قاسيًا، أذاها وهي التي أسلمته كل ما تملك من جوارحها.

سمعت رهف وسلمى منها القصة التي أبكت لينا وميس، كل منهما تبكي رثاءً لحالها، وسلمى تائهة بينهما.

رجعت سلمى لبدر تقص عليه رواية لينا، روى لها أن القضاء يحقق الآن مع حسام بقضية الفساد، وأن تلك القضية ستأخذ عقوبة أقلها شهر من الحبس مع ترحيل من الدولة.

شهقت سلمى لما سمعت منه ذلك الخبر، لم تعلم هل سيحزن ميس أم لا!

- ليه عملت كدا يا بدر؟

- انتِ عارفة إن اللي بيعمله دا غش، غش وانا باشتغل في نفس المجال وعارف يعني إيه أقلل من تكلفة الخامات علشان أضرب باقي الفلوس في جيبي، لأ وكمان أشتري خامات بزيادة وأخبيهم واستخدمهم في مشاريع تانية، البيه كان بيستغفل الرقابة، دي حاجة ما يتسكتش عليها، انتِ عارفة بيحصل إيه لما تيجي أمطار في عز الشتا؟ تدخل للناس بيوتها علشان الخامات رديئة؟ عارفة يعني إيه مباني بملايين عمرها الافتراضي يكون أقل من المفروض بكام سنة! فين الأمانة اللي في الشغل؟ دا تشويه لسمعتنا كمصريين وكمهندسين؟

البيه كمان بيأجر شقق سكنية من الباطن وبيستخدم الفائض من الخامات في غرف علب كبريت والناس تعيش جنب بعض بينهم وبين بعض حيطه خشب، فين الخصوصية والآدمية والإنسانية قولي لي؟

يعني لا عاتق الناس اللي معاها فلوس وهتسكن بالشيء الفلاني، ولا سايب رحمة للناس اللي بتدور على سكن بسعر معقول!

قولي لي دا إزاي ما يتحاسبش.

- المصيبة كبيرة قوي، قوي على ميس، دي كأنها ما تعرفوش

- أنا أول ما شُفت البني آدم دا ما ارتحتلوش أبدًا

- أنا برضه عمري ما حبيته أبدًا

- خلي صاحبتك تسافر وترجع لولادها، القضية هتطول هنا، فما لوش لازمة إنها تقعد، كلها شهر أو اتنين ويترحل

- هاقولها تعمل كدا، إيه رأيك نسافر معاها

- أنا لسَّا المشروع بتاعي هيخلص كمان أسبوعين ما اقدرش أسيبه قبل ما يخلص، ممكن تسافري انتِ وانا هاحصلك بعدها

قامت لتقبله تعبيرًا عن سعادتها باقتراح السفر، وأخيرًا ستعود لمصر لتلتقي بأختها نور، شعرت بالدوار الذي أثقل رأسها ثم مالت وفقدت توازنها، قام بدر متلهفًا يمسكها:

- سلمى انتِ كويسة؟

لم تستطع الرد، أغلقت فمها ووضعت يدها عليه وأشارت إليه أن تذهب للداخل.

فهم أنها تريد الحمام فأسندها إليه، طلبت منه أن ينتظرها خارجًا

- دي تاني مرة تحسي بالدوخة دي في إيه يا حبيبتي ما لك؟

خرجت بجهاز كشف الحمل الذي اشترته بالأمس لتشككها في انسداد شهيتها لكنها نسيت استخدامه حتى حدث لها هذا الدوار

- أنا حامل يا بدر

ارتجفت أطرافه، وتوردت وجنته، شعر بالجنة تتمدد تحت قدميه، شعر بالهواء يحمله فوق السحب، شعر كأنه تلاشى وولد من جديد، لم يكن يعلم هذا الشعور الذي يعتري الرجل حينما يعلم أن في أحشاء امرأته منه جنينًا، خلق في رحمها، سيكبر يومًا ليصبح طفلًا، ذلك هو نتاج عشقهما وحبهما، ذلك هو ما تمناه طيلة الليالي التي سكن بجانبها، ونامت على صدره، خاف أن يسألها طفلًا فتظن أن كل ما يهمه الأطفال، لكنه أحبها حتى تمنى أن يرى طفلًا منها يشبهها تمامًا، أحبها حتى خاف يومًا أن يجرحها في سؤاله عن أعراض الحمل وما شابه ذلك، علم أن القدر الذي جمع بينهما هو الذي سيرزقهما بما يتمنيان.

فاجأته حينما أخبرته، حملها كالأطفال، وظل يدور بها بالغرفة.

- يا مجنون هتوقعني

أخذ صدره يعلو ويهبط ويمسك قلبه من فرط الانفعال:

- هابقى أب يا سلمى؟ هابقى أب.

- هتبقي أحلى أب في الدنيا كلها، ما لك؟، فيه إيه؟، انت كويس؟

- فرحان قوي حاسس إن قلبي هيقف من الفرحة، باتمنى الحاجة دي من زمان وخايف عليها قوي، خلي بالك من نفسك لحد ما نروح للدكتور

- ما تخافش إن شاء الله هنتطمن

- مش قادر ما اخافش، علشان خاطري خلي بالك من نفسك

في اليوم التالي وفي طريقهما للطبيب، قرر ألا يقود، صمم أن يستقلا سيارة خاصة لتوصيلهم إلى المستشفى.

- في إيه يا حبيبي هيَّ العربية بايظة ولا إيه؟

- طول الليل باشوف كوابيس، مش عايز أسوق النهاردا، كدا أحسن، لحد ما نتطمن من الدكتورة

- عن إيه طيب فهمني

- مش هينفع أحكيها خايف تتحقق لو حكيتها، ربنا يحفظك انتِ والبيبي

شردت وتذكرت حملها الأول، تذكرت عامر وهو يقود، تذكرت الحادث، والغيبوبة، تذكرت موته وفقدانها جنينها.

ليس عليها أن تتذكر تلك الذكريات السيئة في هذا التوقيت، عليها أن تسعد من قلبها، بأحشائها جنين سيكبر ويتكون ويمنحها دفء الأمومة، وبجانبها رجل يحبها بكل جوارحه.

لكن لماذا خائف؟ لماذا خاف القيادة؟

نفضت رأسها من غبار الذكريات، وأسندت الكابوس لقائمة الصدف، جميع ما يحدث لها وقد حدث يشعر به بدر، كأنه يعيش بروحها أو عاش معها العمر قبل أن تلقاه.

اطمأن الطبيب على حال الجنين في أسابيعه الأولى، وتعجبا وضحكا حينما علما أنها حامل منذ كانت بباريس، وأن الله حفظ الجنين رغم جميع الرحلات التي قاما بها حتى التحليق بالسماء.

صرف لها الطبيب بعض الأدوية والمكملات وسألته إن كان باستطاعتها السفر، لم يمنعها وأشاد إلى استقرار حالة الحمل.

ذهبت إلى الجامعة والتقت مديرها بالعمل، أخبرته أنها ستنهي وضع اختبارات الدور الثاني، وستترك التصحيح لأحد أصدقائها، وأنها ستقضي الصيف بمصر وستعود ببداية العام وتبدأ بإتمام رسالة الدكتوراة.

هاتفت ميس ورهف، والتقوا بـ Costa على كورنيش الدوحة، جلسوا جميعًا بعدما تبادلوا القبلات:

- عندي ليكم خبر حلو

قالتها ووضعت يداها أمام بطنها الصغير:

- أنا حامل

قامت ميس تعانقها بحرارة، بفرحة الصديقة، بفرحة الأخت، عينها تدمع من شدة الفرح وتضغط عليها بقوة من فرط السعادة. قالت رهف ضاحكة محاولة ألا تظهر حزنًا دفينًا بداخلها:

- ميس حرام عليكِ بالراحة عليها بتقول لك حامل، مبروك يا سلمى

- مبروك يا حبيبة قلبي يا رب يكمل لك بخير يا رب فرحت لك من قلبي

- ربنا يخليكم ليَّ يا رب انتو اخواتي وباحبكم ولازم كنت أشارككم فرحتي أول ما عرفت

- يلا طيب نجيب أغراض للنونو

- يا رهف لسَّا ما اعرفش بنت ولا ولد

- نجيب من كل نوع لونين واحنا عندنا كام سلمى

- حبيبتي يا روفي انتِ، يارب دايمًا جنبي ومعايا

- فيه جديد يا سلمى في موضوع حسام؟

- كلمت بدر وقال لي إن الأفضل إنك ترجعي لولادك لأن قعادك هنا ما لوش لزوم، لحد ما يرجع مصر وتتفقي معاه على الطلاق

- خايفة يرفض

- مش هيبقى له عين يرفض

- أنا مش هاستنى أفضل على ذمته أنا أول ما هانزل مصر هارفع عليه قضية طلاق، أنا مش عايزة أقابله ولا أشوف وشه تاني، كفاية إن بينْنَا أولاد.

- المهم جهزي نفسك علشان ننزل مصر بدر قال لي أنزل معاكِ وهوَّ هيحصلني بعدين وما تنسيش تشتري حاجات حلوة للأولاد علشان يفرحوا بيها.

- هتسيبوني يا أندال بعد ما أخدت عليكم كدا، هاعيش كيف من غير مشاكلكم؟، الحمد لله يا ربي إني سينجل

- تعالي معانا يا رهف مصر وغيري جو

- ما اقدرش أسيب شغل الصالون بس أوعدكم إذا قدرت هاكلمكم وآجي

- خلاص خلونا نقضي طول الأسبوع مع بعض ونشبع من بعض لحد لما نسافر

قضى ثلاثتهما الأسبوع، رهف وسلمى يذهبان للعمل صباحًا ويلتقيان بميس، ثم يذهبوا للمولات، وتعود الفتاتان مساءً إلى الفيلا بينما تعود سلمى لنصفها المكتمل بدرًا.

يأتي من عمله منهكًا، ما بين مقر الشركة، وإشرافه على المشروع، يعود كل مساء متشوقًا لها، تنتظره ليتناولا العشاء سويًّا، يجلس عند ركبتيها يستمع لنبض الجنين، في كل مرة تضحك وتخبره أنه ما زال مبكرًا أن يستمع له.

- إن شاء الله هتسمعه كل يوم وهو بيكبر

- أنا عاوزها بنت

- اشمعنى؟

نظر بعينيها وقال لها:

- أنا عاوزها بنت شبهك، ونسخة منك، وأحبها قد ما باحبك، وأدلعها

- تعرف إني كنت دلوعة بابا قوي

- أنا باحبه من غير ما اشوفه، علشان جابك ليَّ.

- كل الكلام الحلو دا ليَّ

- إزاي تكوني قدامي وجوايَ كل الكلام دا وما اقولهوش، دا انا باستنى بفارغ الصبر إن اليوم يعدي علشان آجي لك

- هتفضل تحبني يا بدر؟

- وإيه اللي يمنع إني أحبك كدا وأكتر من كدا؟

دق قلبها متسارعًا، تتساءل بداخلها، هل ستظل تحيا بتلك السعادة الدائمة، ستعيش حبًّا وهي على قيد الزواج من رجلٍ يحبها ويسعدها بشتى الطرق!

كيف له أن يكون جادًّا بعمله، مع مدرائه وعماله، ومعها يترك ثوب الجدية ويتغنى لها بالكلمات، ويسرد لها كل يوم فصلًا عن قصة حبه لها، عن كم الحب وكيفيته!

لا يدع تفاصيل إلا ويذكرها، أصبحت تشعر أنها تحيا بداخله ويحيا بداخلها كلاهما اندمج بالآخر حتى ذابا.

ورغم الالتحام والالتصاق، لم تشعر حتى اليوم أنها مقيده بالزواج. تخاف من كل السعادة التي تغمرها، تخاف أن تفقد تلك المشاعر وتبرد العواطف يومًا، رغم أنهما يتبادلان الأدوار كلما انطفأ الآخر، اعتادا أن يشعلاها من جديد.

انتهى الأسبوع سريعًا، وبقيت ليلة واحدة ستغادره ويبقى له منها رائحتها بملابسها، ستترك فراغًا بوسادتها، يؤلمه قلبه كلما شعر أنها ستتركه، لكنه يخاف أن يخبرها فتتراجع عن السفر، أرادها أن تكون بصحبة صديقتها، وأن تلتقي أختها وأقاربها حتى يسافر بعدها.

ليلة الفراق كان لها طابعًا خاصًّا، كانت قاتمة، لا روح فيها ولا حياة.

رغم أنه فراق لأسبوعين فقط، لكن الروح ستشتاق حتمًا لتوأمها،

لم يغف أي منهما، ظل يرتشف منها قدر ما استطاع، كلما تعبا، يهدآ ومن ثم يأخذها على صدره من جديد، يمشط خصلاتها بيديه، يتنفسها كما لو كان يتنفس عطرًا سيشتاقه، يقبلها طويلًا، ثم يعانقها رويدًا، ثم يلقي برأسه

بين ذراعيها، يتهامسان، ويصمتان، وتلتقي أعينهما بلا حديث، لم يدعا للنوم مدخلًا أن يفرقهما حتى جاء موعد الطائرة.

السفر بصحبة صديقة لا يقل جمالًا عن السفر بصحبة الحبيب، كلاهما له مذاق رائع، ودعا رهف وودعت سلمى بدر.

❋ ❋ ❋

- 17 -

حملتهما الطائرة عبر السماء والسحب والصحاري والبحار، إلى مدينة الزحام، إلى القاهرة، كل منهما تحمل بين طياتها وجعًا، كل منهما تتذكر أشياءً، السفر والترحال والتأمل يعبثون بالذكريات.

التقت ميس أولادها، قبلتهم وحملتهم بكل حب أكثر من ذي قبل، والتقت سلمى بنور وابنتها، حملتها وهي تبكي ولا تعرفها:

- وحشتيني قوي يا نور، وحشني البيت وريحة شوارع مصر، أكيد تاليا مش عارفاني

- انتِ وحشتينا أكتر، احلويتِ يا سلمى

نتورد مع من نحب، تشرق شمسنا، وتفوح منا عطور، نشعر بالارتياح يغمرنا، كل من يرانا يشهد لمعان عيوننا، يستمدون الأمل والطاقة المثمرة بنا.

- عايزة أزور ماما، نفسي أتكلم معاها وأحكي لها.

- أنا ما رُحتش إلا مرة واحدة من ساعة ما كنتِ هنا، الحياة أخدتني قوي مع سامر وتاليا، كان نفسي ماما تبقى موجودة معايَ وتشيلها وتربيها.

- ربنا يرحمها، أنا كمان كان نفسي تشوفني وتشوف بدر، كان نفسي تبقى هي أول واحدة تعرف إني حامل.

- أكيد هتحس بينا.

هل يشعر بنا الأموات؟! هل يشعرون ما نعانيه؟، وما نحياه؟، ليتنا نخبرهم ونتحدث معهم، ولو سمعوننا ماذا سيفيد؟! لم نتلقَ منهم أي إجابات، فقط أحلام بصور مهزوزة غير واضحة، وكلمات صامتة،

لكننا نشتاق لهم، نريد إصلاح الأيام المعطوبة التي تلفت بيننا وبينهم، نريد لو أن نسرق لحظات لنعتذر لهم عن الجفاء، ونعتذر لهم عن قسوتنا، نتمنى لو نعيد تلك الأيام ونجملها ونقضي أطول أوقاتنا معهم.

ذهبا إلى المدافن، وقرآ لها القرآن، دعتا لها بالرحمة والمغفرة.

- أنا جيت لك يا ماما ومعايا نور.

قالتها ودموعها تتساقط على وجنتاها، فتحدثت نور هي الأخرى:

- وحشتيني يا ماما، تاليا بقى عندها 9 شهور، سلمى أخيرًا رجعت لنا ما شُفتهاش من يوم ما جيتِ هنا

- كان نفسي تكوني معانا، رائف ما كانش الراجل اللي ينفع أعيش معاه، رائف كسرني يوم موتك، انا الحمد لله بقيت احسن، مكملتش معاه يا ماما، اتجوزت بدر إلى حبني وجه يشوفني، دور عليَّ، وحامل وخلاص قربت آخد الدكتوراه كمان، أنا ونور مع بعض وشُفت تاليا، كان نفسي نعيش مع بعض، كل حاجة اتأخرت، حتى حبي ليكِ جه متأخر قوي.

كلماتها متبعثرة، مثل طفل صغير لا يقوى على حمل قدميه للمشي، كلماتها تسقط كلما جمعت شتات نفسها، تحمل زهرة من كل بستان تهديها لها، تتمنى لو تأخذها بين ذراعيها مثلما أخذتها بليلتها الأخيرة ، غمرت وجنتيهما

الدموع وبللتهما، حتى بكت الصغيرة تنادي أمها بالرضاعة.

- يلا يا سلمى كفاية عياط ودموع مش عاوزين نزعلها، لازم تطمن إننا مع بعض، وهنيجي تاني نتطمن عليها.

* * *

عادت ميس إلى بيتها، أخذت أولادها بأحضانها، غمرتهم بالدفء والحب، شعرت أنها تحتاج منهم الأمان والاطمئنان، تريد ولو تخبرهم أنهم أغلى ما تملك؛ كي يعينوها على الحياة.

كانت تنتظر قدومه وتنتظر طلاقها بفارغ الصبر.

شعرت أنها تقدمت بالعمر، نظرت بمرآتها رأت بضع شعيرات بيضاء، رثت لحالها، تذكرت أنها تفرغت من المشاعر،

حسام قد أخذ منها الحب، والصبر، أخذ منها العطاء والوفاء، أخذ من عمرها، ومن مشاعرها ما لم يأخذه رجلٌ قبله ولا سيأخذه رجلٌ بعده، شعرت أنه قد أفرغها، انتهى كل شيء كان يخصه يومًا بداخلها.

تشعر أنها استيقظت يومًا بقلب لا يحمل له حب ولا ذكرى

نفد كل شيء باتت سنوات تقدمه بلا مقابل!

لو كان يقدم لها مقابلًا لما تمنحه، كان سيجدد الأمل بها، كانت ستنبت له حبًّا وترويه، لكنها عطشت حتى ذبلت، حتى انطفأت، حتى أصبحت مشاعرها معه على حافة الهاوية، أصبحت أوراقًا ذابلة مرتعشة فوق الغصون، هبت عليها رياح الخريف أسقطتها، لم يعد لديها ما تعطيه له،

انتهى زمنها معه، تريد أن تبدأ من جديد، تبدأ رغم أنف الجميع، رغم علمها أن الجميع سيقفون بوجهها، سيعلمون أنها حطمت حياته كما حطم قلبها، سيتهمونها بالجنون، ويبررون له كونه رجل فقط، سيسمونها نزوة، وينعتونها بأسقط المسميات.

هي حرب ستخوضها وحدها، حتى ولو وقفت أمامها أخته وزوجة أخيه ووالدته التي تفيض عليهم بحب كحبها لابنهم يومًا، لكنها تعلم أن الخسارة قادمة لا محالة، تعلم أنها من أجل استرداد كرامتها وحريتها، ستواجه الكثير، باقٍ في الحياة الكثير، حتى ولو كان القليل، ستجعلها بداية لحياة جديدة، ليس لديها سلاح سوى ابنتها الكبرى والطفلين الصغيرين، والدتها ووالدها سيساندوها، لم ترضخ لرغبة أحد في التخلي عن خطواتها، الباقي من حياتها ملك لها ولأولادها، ليس سواهم.

أعدت بعض الصناديق الورقية والحقائب القديمة، جمعت ملابسه وجميع أغراضه، وعطوره، وأدواته، كل شيء يخصه أو يحمل ذكراه أو رائحته لا تريد رؤيتها، لا تريده أن ينتمي إلى هذا البيت، هذا البيت الذي حفظته له وحملته سنوات وحدها قضت فيه ليالي غربته كرجل للبيت، تطهو وتنظف وتصلح مبرد الهواء، وتغيير اسطوانة الغاز، تطعم أطفالها، ثم تدرسهم الواجبات، ترتب البيت، وتنظف الملابس، توصلهم إلى التمرينات تارة وإلى دروس القرآن تارة، ويأتي كل آخر الشهر يسألها ماذا أنفقت، يذكرها أن تقتصد قليلًا، أن الأمور معه غير ميسورة، أن كل مليم يرسله لهم من تعب وشقاء، تشعر طوال الوقت بتأنيب الضمير، تشعر أنها تثقل عليه، أخبرته

أنها تريد العودة لعملها كطبيبة، أن تخرج إلى المجتمع، كان يرفض رفضًا قاطعًا، كانت تريد أن تتنفس قليلًا، أن تحتفظ بمصروف شخصي تشتري به مستلزماتها، كانت تخاف أن تثقل عليه وتشتري ما يخصها من ماله الذي يرسله، حتى رضخ لطلبها حينما أخبرته إما العمل أو سفرها وأولادها معه فقرر أن يتركها تعمل كي تهدأ عن إلحاحها، لم تستطع الاستمرار بكل تلك المسؤوليات والعمل في آن واحد، فقدمت على إجازة مفتوحة بعد استلام عملها بستة أشهر.

ليس من حقه هذا البيت الذي قاومت فيه ونضجت به وحدها،

حرقت جميع الصور التي تجمعهم، حطمت جميع الذكريات، لم يتبقَ سوى التخلص منه هو، تُرى بعد كل ما تفعله وفعلته ستنسى يومًا ذلك المشهد وهو يفتح باب الشقة وتظهر خلفه تلك المرأة؟! ستنسى يومًا الفتاة التي روت قصتها معه وهي تتخيل كل كلمة وكل لمسة حدثت بينهما؟!

هل ستنسى الجرح الدفين الذي سبب قطعًا عرضيًّا عميقًا بالقلب غير قابل للتضميد والعلاج؟!

* * *

أيام بدر بدونها، قاتمة بلا روح، يبحث عنها في زوايا البيت دون أن يجدها، اشتعلت بقلبه الأشواق، يحصي الأيام التي تفصله عن سفره لها، يشرد كثيرًا ويؤلمه قلبه!

عادت أعراض الألم تزداد، فراقها يفعل ذلك، أجزم أن فراقها الأول هو سبب ألم قلبه لا شيء آخر.

ألم الفراق عضوي يصيب القلب، ويلتهم الروح، حرارة الشوق تشتعل بين الضلوع، وتدق نواقيس العقل، وتفتح حقائب الذكريات، تستجدي همسات الصوت، تستجدي روائح من نحب، تظل كندبة في الجبين يراها من حولنا، نشعر بالألم ينبض بنا ونحن نيام، في الليل تزداد نوبات الاشتياق، وفي الليل تهب نسائمهم تزيد اشتعال اللهيب المتقد بصدورنا، حالة من اللاوعي التي تأخذنا إلى عالمهم، نحلم بلقائهم ونصحوا على غيابهم.

كان يتحضر للقائها، اللقاء بعد الغياب لذة لا يعرفها سوى العشاق، وهي مثله، تشتاقه، تعد أيامها التي تبعده عنها، تصحو كل يوم تحدث طفلها عن حبها لأبيه، تقص عليه كيف التقيا وكيف أحبا بعضهما البعض، كيف كان جنونهما، كيف تركا كل شيء خلفهما، تحدثه تارة كفتاة وتارة كصبي، تحدثه وتخبره أنها تنتظر قدومه بعد سبعة أشهر، موعدهما سويًّا، تفكر إن كانت ستلد بقطر أو ستلد بمصر، تفكر أنها يجب أن تستعد لتحضير رسالتها لمناقشة الدكتوراة.

تستعد لمقابلة عائلة بدر، لأول مرة، تعلم وإن كان يحبها حد الجنون أنهم لن يتقبلوها، تعلم جيدًا أن المجتمع يرفض الأرملة والمطلقة وهي حملت اللقبين، ثم تزوجها بدونهم وبدون حفل زفاف، تزوجها بعيدًا عنهم، وهو لم يسبق له الزواج، تعلم أنهم سيتفاجؤون بخبر حملها الذي اتفقا أن يقدماه لهم كهدية خلال زيارتهم، تعلم أن أخته الصغيرة تغار عليه كما أخبرها، ورغم علمهم بالسعادة التي يحياها معها، إلا أنهم لن يتقبلوها كزوجة لابنهم بصدر رحب.

كان رأسها يحفل بالأفكار الغير منتظمة، زارت طبيب النساء والولادة لمرة واحدة اطمأنت على حال الجنين، ثم هاتفت مريم سكرتيرتها السابقة، تريد أن تلتقي بجميع من كانت تعرفهم، تستعيد ذكرياتها، كانت قد اتفقت مع نور أن يذهبا إلى مقابر عائلتهم في المنصورة ليزورا والدهما، لكن أعراض الحمل زادت عليها وطريق السفر بالسيارة أكثر خطورة من الطائرات، كانت في زحام أيامها تتذكر القريب والبعيد لتلتقيهم، تذكرت عامر، هي لم تنسه لكن الحياة أخذتها بعيدًا عنه، ماذا لو زارته؟

هل زيارتها له خيانة لبدر؟ هل سيحزنه نسيانها له، سيحزنه أنها أصبحت مع رجل غيره؟ كانت حائرة تشتاق روحه وزيارة قبره، لكنها قررت ألا تفتح بقلبها بابًا من الذكرى لا ينغلق.

كانت تريد أن تطمئن عن أحوال عائلته أيضًا لكنها تعلم موقفهم منها بعد فسخ خطبة بسنت مع بدر.

ضاق صدرها، شعرت أن الأشياء ترغمها على عدم البقاء، ليس لها مكانًا بمصر، تريد أن يأتي بدر سريعًا ليلتقي عائلته معها ومن ثم يذهبا مع نور إلى شرم الشيخ ويقضوا وقتًا مع بعضهم البعض.

أنهى بدر مشروعه العقاري، كان من أهم المشروعات بوسط المدينة، أشاد مديره ببراعة إدارته في العمل، وتطويره المهني، قدم له وعدًا بالترقية فور رجوعه من الإجازة، وأخبره أن يستعد لتنفيذ مشروع آخر لا يقل أهمية عن المشروع الذي تم إنجازه.

حزم حقيبته واستعد للمغادرة، وتوجه إلى المطار، ثم ركب طائرته، جلس بالمقعد وحده، تذكر سفره معها لباريس تذكر كيف كان السفر معها وبدونها! كيف يرى تلك الحياة من خلال عينيها، ذكرياته وهو قادم إلى تلك البلد وحيدًا، يتمنى لقاءها جاء للبحث عنها، فالتقى بها بالمطار دون أي تعب أو مجهود، كيف كانت الأقدار ميسرة له، يعلم أن شيئًا عظيمًا يربطه بها، شيئًا أقوى من الحب، لو يعلم ماذا يستطيع تسميته لأخذ عليه براءة اختراع وأعلن للعالم كله حالة جديدة من أسمى درجات الحب.

بالمطار كانت تنتظره بالمكان الذي يشهد لقاء وفراق الآلاف كل ساعة، هذا المكان الذي علت فيه أصوات القلوب والدموع والأفراح،

كان لقاؤهم عذبًا، هادئًا، يحمل الكثير من الأشواق والحب.

كان يشعر أنه اشتاق أرض مصر، كان من الجديد عليه الاغتراب قرابة العام، اشتاق أهله وأخته ووالديه، كانت سلمى قد جهزت له غرفة بفيلا والدتها، كانت ميس تنتظرهم وقد أعدت لهم الطعام.

- حمد الله على سلامتك يا بدر نورت مصر

- ربنا يخليكِ يا نور دا نورك ونور تاليا

- أول مرة تشوفوا بعض يا بدر؟

- أيوة أول مرة نتقابل بعتت لك مرة واحدة وانا بادور على سلمى

- فاكرة طبعًا وآسفة إني ما رديتش، أنا مبسوطة قوي إنكم مع بعض

- وأنا أكتر والله علشان شُفتك

- طيب أسيبكم تغيروا وأنا هاروح أحضر لكم السفرة علشان نتعشى

دلفا إلى الغرفة، قبل رأسها ولم ينس تقبيل جنينها:

- ما ارتحتيش طبعًا من ساعة ما جيتِ

- بالعكس والله يا حبيبي أنا كويسة أهو وكان نفسي أزور بابا وما عرفتش أروح.

- هنروح له سوا إن شاء الله ونروح لطنط.

- ربنا يخليك ليَّ، أنا من غيرك كان ناقصني روحي بجد

- هاحكي لك على حاجات كتير حصلت.

- طب يلا نغير وناكل ونرغي براحتنا بالليل بس اعمل حسابك لازم نصحى بدري نروح لمامتك ونقضي معاهم اليوم علشان نروح شرم بالليل

- بسرعة كدا؟!

- أيوة بسرعة كدا، أنا عاوزة نقضي أسبوع حلو وبعدين انت مش قُلت لي إن إجازتك قصيرة وعندك مشروع مهم وهترجع

- مش هالحق أقعد مع ماما وبابا وندى

- طب عندي فكرة، إيه رأيك نقول لهم ييجوا معانا شرم

- خلاص هاقول لهم بكرة هما أصلًا ما راحوش قبل كدا

في اليوم التالي، ذهبا لزيارة عائلته، كانت مقابلتهم له حارة، لأول مرة يبتعد عنهم، ويعلمون كم تعب بحياته، يعلمون أنه معها يحيا أيامًا تغمرهما السعادة، فكيف سيقفون أمام سعادته وراحته، هم فقط يشعرون بالذنب

تجاه بسنت، ما زالت ندى تهاتفها، ولكنهم غير قادرين أن يحدثوه عنها أو يحدثوها عنه.

تعرفوا بسلمى التي كانوا يسمعون عنها منذ كان يتلقى العلاج لكنها لم تلتقيهم من قبل، شعرت بفتورهم تجاهها ولم تكن تريد أن تثقل عليهم فاستأذنتهم للمغادرة، وتحججت بدوار أصابها من الحمل، وأنها ستضطر للمغادرة إلى المنزل، أراد بدر أن يوصلها لكنها ضغطت على يديه ففهم أنها تريد تركه معه مزيدًا من الوقت قبل سفره معها.

كانت قد حزمت حقائبها، انتقت له الملابس التي سيأخذها معه، وخرجت لتجلس مع نور في غرفتها:

- عارفة يا نور البيت دا ولا حاجة من غير ماما

- أيوة أنا حاسة إنه ما بقاش فيه أي روح مالياه.

- ربنا يرحمها ويغفرلها

- أنا كنت مستنية أتكلم معاكِ في موضوع الفيلا، ماما كانت كاتباها باسمي وأنا عاوزة نقسمها بالنص أنا ما ليش غيرك

- حبيبتي أنا مش عاوزة أي حاجة أنا أهم حاجة عندي سعادتك

- أنا عاوزة ماما ترتاح وما تكونش أذنبت لما كتبت لي الفيلا وحرمتك منها وبعدين هتجيب مبلغ كويس

- ما تبيعهاش يا نور، هي اللي باقية لنا من ريحتها

- فيها ذكريات ما باحبش أفتكرها يا سلمى

- يا نور يا حبيبتي ماما ربنا رزقها بحسن الخاتمة، ربنا رحمته واسعة قوي، خلي البيت اللى بيلمنا وبيجمعنا، مسيري هارجع وانتِ مش هتفضلي في شرم كتير هنحتاج بيت نعيش فيه سوا، ولا انتِ محتاجة فلوس؟

- سامر مش مقصر معايَ في المصاريف خالص، أنا بس نفسي أفتح مشروع خاص بيَّ، يخرجني من الملل اللي أنا فيه؟ إيه رأيك؟

- ومشروع ليه يا نور، كملي دراستك وامشي في الطريق دا، انتِ ليه وقفتِ؟ علشان يعني الحمل والخلفة؟، اوعي تهملي نفسك، ما دام سامر مش مقصر معاكِ يبقى تكملي دراستك وممكن تشتغلي دكتورة في أي كلية.

- شايفة الشغل مقطع بعضه؟

- ما لكيش دعوة بالموضوع دا انتِ ما تعرفيش إن أختك تقدر تعينك في أحسن جامعة؟

- ربنا يخليكِ ليَّ يارب أنا هافكر وهاعمل كدا، انتِ إمتى هتناقشي الرسالة

- لما أرجع هنحدد الموضوع يعني خلاص هانت، ادعي لي علشان هتفرق قوي في حياتي وشغلي

- ربنا يحقق لك كل اللي بتتمنيه يا رب

- يلا قومي حضري شنطتك وسيبي لي تاليا لحد ما تخلصي.

❋ ❋ ❋

- 18 -

وصلوا إلى مطار شرم الشيخ، كانت المرة الأولى لبدر وسلمى، خرجوا جميعًا ليجدوا سيارة سياحية تنتظرهم أمام المطار، أخذتهم حيث القرية السياحية التي يمتلكها سامر.

رحب بهم سامر واستقبلهم استقبالًا يليق بهم، كان قد اختار لهما جناحًا رائعًا ذا إطلالة على البحر تنعش القلب.

- أنا من رأيي ترتاحوا من المشوار شوية وتغيروا وتعالوا نتغدى سوا ونتكلم.

كل مكان يذهبان إليه سويًّا، يُرتسم ببهجتيهما،

كيف تتورد الحياة حينما يكون بجانبها؟

كيف ترى الأشياء أجمل مما هي عليه بآلاف المرات

تشعر كل يوم أنها تكتشفه، ما زالت تعرف به أشياء لم تكن تعرفها من قبل.

وقف خلفها وهي تجلس منهكة على المقعد الصغير أمام المرآة يرى انكعاس صورتهما فيها:

- مبسوط يا بدر؟

- هابقى بابالغ لو قُلت لك إن المكان اللي باروحه معاكِ بيبقى جنة؟

- نفس إحساسي بالظبط

- ليه ما بتعبريش عن حبك ليَّ زي ما أنا باعمل؟

- ساعات باتلخبط، وباخاف، وما باعرفش أرتب الكلام زي ما انت بتقوله، أو يمكن انت أحسن مني في الكلام.

- يعني مستكترة إني أحبك؟

أمالت برأسها جانبًا ونظرت له باستنكار، فقال لها:

- ما اقصدش أضايقك، أنا باقول لك كدا علشان واثق إن حبي ليكِ ما يكفيش قلب واحد، انتِ تستاهلي تتحبي، ولو كنت شُفتك في مكان تاني وزمان تاني كنت برضه هاحبك.

- تعرف إني باحب أسمع عني منك! آه والله باحب قوي أحس إنك بتحكيني وبتوصفني، انت فعلًا أحلى وأجمل حاجة باعيشها في حياتي.

كل مرة يسكن بجسدها، يعيد استكشفاها من جديد، كان يقبلها كأول قبلة عرفتها شفاه، كانت لمساته تعترف لها كل مرة بأنها أجمل امرأة شهدها الكون، كان يشعرها وكأنها أميرة العالم، لا قبلها ولا بعدها نساء.

لم يستطعا الاستيقاظ للغداء، سكن كل منهما بأذرع الآخر، ظل يتنفس عبيرها وتستنشق عبقه وعطره.

شعرت بألم بمعدتها، قامت متباطئة وقام هو الآخر على صوتها، تقيأت وشعرت بدوار ثقيل أنهكها فجلست على مقعد الحمام، جاء لها مسرعًا:

- ما لك يا حبيبتي؟ انتِ كويسة؟

- أيوة، ما تقلقش

- طيب نروح للدكتور

- لا يا حبيبي مش مستاهلة، دي حاجة طبيعية في أول الحمل

- طب تعالي نكلم نور وسامر وناكل أكيد جُعتِ

كلما رأت تلك الندبات التي تعتلي صدره، تلمسها تلقائيًّا، كثيرًا ما تقبلها، وتعتذر له عن عدم وجودها في أيامه الصعبة.

حينما لمستها كانت جالسة فابتسم وقبل رأسها:

- أنا حاسس إنهم لما فتحوا قلبي حطوكِ جواه أساسًا

- إيه دا هو انت كل دا وحاسس بس، انت لازم تبقى متأكد

- طيب يلا بقى ننزل علشان لو قعدنا نتأكد من الموضوع دا هنقعد للفجر

ثم غمزها بعينه.

ارتدت "جينز" من اللون الثلجي وقميصًا ورديًّا أضفى عليها جمالًا بريئًا تركت شعرها فوق كتفيها، وبقدميها حذاء أرضي من نفس لون القميص.

كلما أسرعت خطواته، أمسكت أسفل بطنها، وذكرته:

- امشي بالراحة يا بدر أنا حامل وقصيرة مش زيك طويلة.

- من يوم ما عرفتك وانتِ بتمشي بالراحة.

- قول إنك زهقت أيوة بان على حقيقتك

- طب بس علشان هاشيلك قدام الناس واعرفك إني ما زهقتش يا رخمة

واقترب منها يريد أن يحملها، ابتعدت خطوتين للوراء وصاحت به:

- يا مجنون اوعى تعمل كدا هيقولوا علينا إيه

- لا انتِ بقى عارفة إني ولا بهمني يقولوا وما يقولوش، والله أعاند أكتر واشيلك

- خلاص يا بدر خلاص وحياتي وحياة النونو، انت ما زهقتش وانا كويسة وهامشي بسرعة

- طب بتتكسفي، ماشي هاشيلك

حملها وكانا قد اقتربا من الطاولة التي يجلس عليها نور وسامر وصوت ضحكاتهما يدوي بالطرقة المؤدية للمطعم.

مشيا المتبقي من المسافة الفاصلة بينهما وبين الطاولة.

تحدثت نور وعلى وجهها ابتسامة إعجاب بالحالة التي تراها عليهما:

- الحمد لله شكلكم مبسوطين، ربنا يزيدكم، نمتوا كويس؟

ردت عليها سلمى:

- آه الحمد لله نمت، كنت تعبانة جدًّا، وانتِ عرفتِ تنامي؟

- لا طبعًا كل شوية باصحى علشان تاليا، حاسة إني ما شبعتش من النوم

- بتطمنيني

- عيشي يومين قبل ما تولدي، أحلى أيامك دلوقتي.

تحدث سامر إلى بدر ثم سأله عن النوع المفضل من الطعام الذي يفضل أن يتناوله وبعد أن اختارا الأصناف سأله سامر:

- ناويين تروحوا مكان بكرة برًا ولا تحبوا نقعد هنا ونشوف الفندق؟
- لا خلينا نقضي اليوم هنا المكان شكله جميل جدًّا ومريح للأعصاب
- على فكرة احنا مصنفين على Booking وTrivago من التوب 10 في شرم الشيخ ودا رقم هائل بالنسبة للأحداث الأخيرة وقلة السياحة، كمان إحنا مخفضين نسبة السياحة الداخلية عندنا لـ 10% بس ودا رقم هائل وخصوصًا في الصيف، والحمد لله اشتغلنا بحملة كويسة قوي دعائية علشان نروج للسياحة.
- واضح إن المكان جميل جدًّا ولاحظت إني ما شُفتش مصريين كتير
- هتشوف عرب وأجانب ومصريين كمان، بس هتشوف ناس شبهك ودا مهم إن الناس تدفع فلوس مقابل خدمة وكواليتي عاليين ويحسوا إن الناس اللي حواليهم كلهم شبههم، ساعتها مش هيفرق معاهم السعر.
- دا فعلًا حقيقي، ومن حسن حظنا إننا نزلنا عندكم طبعًا
- أنا حقيقي اللي اتشرفت بمعرفتك، ونورتونا وهنتبسط إن شاء الله

حديث الرجال لا يتغير بمرور الزمن، الأرقام والإحصائيات، التحدث عن العمل والإدارة، والولوج إلى تفاصيل المشروعات والمباني، اندمجا بحديث يراه السيدات مملًا وطويلًا، بينما الأختين كانا يتناولان الغداء متأخرًا وتسأل سلمى عن الأعراض التي تشعر بها طوال الوقت وتطمئنها نور أنها أعراض طبيعية لا قلق منها.

بعد تناولهم الطعام، أسدلت السماء ستائرها، كان المنظر خلابًا رائعًا، دعاها بدر للذهاب نحو الشاطئ الرملي، للاستمتاع بوقت الغروب.

جلسا على أحد المقاعد المواجهة للبحر، يسمعان صوت الأمواج ويتأملان في السماء.

سهروا ليلتهم على أنغام الموسيقى أمام المسبح وبار المشروبات، يتناولان مشروبًا باردًا، حاول سامر أن يدعو بدر لشراب بارد من الكحوليات، أمسكت سلمى يده من أسفل الطاولة، فهم ما تشير إليه، شكره كثيرًا وأخبره أنه لا يميل لتلك المشروبات ولا يهتم بها، ضغط على يدها بخفة ليطمئنها أنه لن يتغير ولن ينساق وراء أحد مهما حدث، ثم مال على أذنها قليلًا:

- يعني أنا ما شربتش وأنا في فرنسا، هاعملها هنا؟

أمالت رأسها على ساعده للاطمئنان به، كأنها تخبر قلبها أنها أحسنت الاختيار.

ليس التحرر بالعري، ولا بالمشروبات، ولا الأخلاق تقاس بمدى الجدية والوقار،

كلاهما يعلمان كيف يسعدان ويلونان أيامهما دون أن تختلط عليهما الأمور.

خطوط التعب الرفيعة تختبئ بملامح نور، ربما هي الأمومة، والوحدة، تشعر أنها تعاني أكثر مما تخبئ عنها، نظراتها لهما وبريق عينيها يقولان الكثير، تفتقد الكثير خلف جدية سامر وجلسته الواثقة.

دارت أغنية Sway لم يستطعا منع أنفسهما من رغبتهما بالرقص.

على أنغام Sway، وسط الهدوء، وانتعاش الهواء المحيط بهم، كانا يجولان في سحر وجنون حتى اقتربا من اثنين آخرين يرقصان بجوارهما،

توقف الأربعة ينظر كل منهما للآخر.

كانت بسنت، والطبيب أمجد الذي يعرفه بدر جيدًا، الجميع بنظرات ثاقبة، دون أن يستطيع أحدهم التفوه بكلمة واحدة، قالت الأعين جميع ما لم يستطع اللسان قوله.

جذبها برفق ليعودا إلى مكانهما، لم يجلسا، اعتذر بدر عن رغبته في العودة للغرفة احتجاجًا بإجهاد سلمى، ذلك الذي لم تصدقه نور وفهمت تمامًا فور رؤيتها لبسنت التي تعرفها جيدًا، وعلم سامر أن هناك شيء ليس كما قال بدر!

سألته نور عن هذين الشخصين، أجابها أنهما نزلاء منذ يومين (عرسان جداد) وأن الطبيب أمجد صديقه من القاهرة.

كانا متجهين نحو غرفتهما:

- يا بدر بتجري برضه ومجريني وراك ممكن أفهم في إيه

- إيه اللي جابهم هنا؟

- أنا أعرف منين يا بدر هو الفندق بتاعي؟

- مش عاوز أشوف حد فيهم

- واحنا عملنا إيه غلط يا بدر مش هو دا كلامك؟ مش باختيارك وباختياري

- يعني هو أمجد دا كان مستني إني أسيبها علشان يقرب منها

- بدر بجد مش فاهماك، انت هتخوفني منك ليه؟ مش انت اللي قُلت لي إنك مش حاسس ناحيتها بمشاعر، اتضايقت ليه لما شُفتها مع حد تاني

شعر بأنه يجرح مشاعرها، فهدأ قليلًا وجلس على سور متوسط خلفهم:

- ما اقصدش يا حبيبتي انتِ فهمتيني غلط، أنا بس ما اعرفش إيه اللي جايبها معاه هنا؟

- وإيه يعني يا بدر، ربنا بيبعت ناس تعوض ناس، إنت ناسي إن هي اللي دلوقتي زمانها كارهانا احنا الاتنين، يا بدر انت كنت خطيبها وأنا كنت مرات أخوها.

- أنا آسف، سامحيني بس الناس دول أنا باحبهم وعاشرتهم، وبسنت كانت....

ثم صمت قليلًا وشرد،

- كانت إيه يا بدر

- ما اعرفش يا سلمى، بصي أنا ما باحبهاش زي ما انتِ فاكرة، صدقيني أنا لما لقيتها مع حد تاني....

شعر بالكلمات تختلج بصدره.

- بصي أنا مش فاهم حاجة.

رن هاتفها لتجد المتصلة نور:

- يا سلمى ارجعوا والله يا بنتي ما كنتش أعرف إنها هنا، دي اتجوزت ونزلت هي وجوزها من يومين بس هنا

- طيب يا حبيبتي ما تشغليش بالك هاكلمك تاني

- بتقول متجوزين، أنا توقعت كدا يا بدر، أكيد مش جاية تتفسح مع الدكتور يعني، أكيد هنتقابل كتير، فخلي الموضوع عادي؟

- هتتكلمي معاها؟

- ما اعرفش الموقف أصعب مما تخيلت، أنا مش عاوزة أجرح مشاعرها.

- خلاص تعالي نغير الفندق.

- كدا سامر ونور يزعلوا، خلينا نتجنبهم وما نحاولش نقرب منهم، ولا نفتح في مواضيع اتقفلت.

حاولت تهدئته، وحاول ألا يعكر صفو أجازتهما، سهرا بليلة خاصة بهم، يعتذر لها بطريقته الخاصة، وتتقبل هي كل اعتذار يطبعه على شفتيها، ثم غفت على صدره، يحتلها عطره ويأخذها بنوم عميق.

استقيظا متأخرًا، اقترب موعد انتهاء الفطور، ذهبا إلى صالة الطعام شعرت بدوار خفيف فجلست على الطاولة، وقام يعد لها إفطارها المفضل.

جلسا يتناولان إفطارهما سويًا وانتهيا منه، واتجها نحو السيارة التي ستقلهم إلى الميناء الخاص بالنزهة البحرية.

بالميناء وهما ينتظران السفن الصغيرة، وجدا بسنت وأمجد ينتظران هما أيضًا سفينتهم.

تلعن سلمى الحظ الذي ألقى بهم في نفس المكان والزمان، ثم أخذت تدعو ألا تجمعهما سفينة واحدة.

استجيبت دعوتها، وكانا بسفينة أخرى، تنفست بارتياح أخيرًا.

يبدو على بسنت التوتر، لا تعلم لأنها رأتها أو رأت بدر أو ربما سمعت ما لا يرضيها من زوجها!

كان سامر يصف الميناء، يحدثهم عن طبيعة شرم الشيخ ومعالمها ومزاراتها، كان يتحدث عن جمال البحر وشعابه المرجانية وأسماكه، كان يعدهم برحلة متميزة سيسجلونها بالعمر.

انطلقت السفينة الصغيرة تبحر، وسلمى تشعر بالدوار يأخذها يمنة ويسرة، تفكر فيما حدث بالأمس، الذي غير جميع توقعاتها ومشاعرها نحو بدر، جعلها تفكر ألف مرة هل ما حدث هو اشتياق لبسنت؟

وجهت لنفسها نفس السؤال، لو عاد الزمن بعامر ورأته، هل سيستوقفها وتتألم لمشاهدته مع أخرى؟

نفضت رأسها، هي لم تتركه بإرادتها، هو من غادر الحياة ولم يعد.

كانت نور تحدثها، أفاقت على حديثها التي أعادته للمرة الثانية:

- ما علش كنت سرحانة بتقولي إيه؟

- كنت باقول لك خايفة على تاليا لتفضل تعيط كتير، انتِ سرحانة في إيه

- ما فيش، بس اللي حصل امبارح قلقني

- بخصوص بسنت صح؟

- أيوة انتِ عارفة إن بدر كان خاطب بسنت؟

- أيوة عارفة إنه موقف كان وحش قوي

- بدر اتغير لما شافها، حاسة إنه بقى واحد تاني فجأة، مع إني متأكدة إنه ما بيحبهاش بس اتنفض لما شافها بين إيدين راجل تاني، حاسة إنه غيران عليها، ومش عاوزة اتكلم كتير في تفاصيل معاه

- ما تنسيش إنهم فضلوا مع بعض فترة ممكن يكون اتفاجئ لما لقاها اتجوزت بالسرعة دي.

- ما انا كمان عملت كدا يا نور، اتأقلمت بسرعة واتجوزت

- ما تتعبيش دماغك وتفكري كتير، بدر بيحبك ودي حاجة مش محتاجة تشكي فيها خالص.

- عندك حق، انتِ متعودة تسيبي تاليا على طول؟

- لا مش كتير بس النهردا هيبقى أول مرة أسيبها وقت طويل قوي كدا

- وانتِ معاكِ بيبي قادرة تعيشي بطبيعتك؟

- صراحة لأ، بس باحاول اتأقلم

- سامر بيضايقك؟

- سامر بيقتلني بسكوته، من ساعة ما جينا هنا وحصلت المشكلة بينه وبين باباه وهو بقى واحد تاني، بيحاول أحيانًا يعوضني غياب ماما وغيابك، بس بعده عن أهله كسر ضهره وخصوصًا اللى باباه عمله فيه.

- طب خليه يرجع لهم ويصالحهم ويشوفوا بنته أكيد موقفهم هيتغير

- أكيد هييجي يوم وهنعمل كدا، بس هو بيقول لي إن لسَّا ما جاش أوانه، وإنه خلاص قرر يعيش بعيد وكان لازم يحصل كدا من زمان

- كويس وانتِ قررتِ إيه؟

- عاوزة أعمل "نيرسري" استضافة فيها بيات كمان مش مجرد حضانة، المكان هنا ترفيهي وسياحي وفي ناس بتحتاج استجمام وبتحتاج تسيب أولادها يباتوا في مكان أمان، فكرت فيه جدًّا وحسيت إنه هيبقى كويس

- فكرة تجنن وحلوة قوي، وأنا أول واحدة هاجيب لك النونو علشان نعيش أنا وبدر.

ضحكت الشقيقتان بصوت عال، كان عليهما أن يقضيا اليوم تأملًا بالبحر، سلمى لن تستطيع نزول البحر، والأخرى تخاف كثيرًا من العمق ولا تستطيع السباحة.

قد حان وقت النزول للغطس والسباحة، واصطفت السفن بجانب بعضها البعض، لمحت بسنت من بعيد فأشاحت بوجهها وذهبت لتلتقط صورًا لبدر.

- هتنزل برضه؟

- أيوة هانزل طبعًا ما فيهاش كلام ولولا إنك حامل كنت خدتك معايَ بالغصب ولا نسيتِ اللي عملناه في السما.

- خايفة عليك تنزل لوحدك.

- ما تخافيش يا حبيبتي.

ثم غمز لها، وقبل رأسها، وذهب ليرتدي البدلة الخاصة بالغطس.

التقطت له بعض الصور ثم غطس بالبحر، دقيقة تلو الأخرى وهي تبحث عنه بعينيها، حتى ظهر ورفع نظارته المائية:

- يا ريتكو تيجوا المنظر يجنن

- لا شكرًا كفاية بقى تعال اطلع

- شوية وجاي لك

ثم أشار لها بيده ونزل إلى الأعماق مرة أخرى

كان معه مدرب الغطس المسؤول والذي انشغل بفتاة خائفة تريد النزول معهم، كانت الأجواء تحت الماء أشبه بفيلم ثلاثي الأبعاد، من فرط الجمال لا تستطيع التصديق أنك بعالم البحار والأسماك والشعاب المرجانية.

كان كل شيء أزرق وجميل، وممتع، لكنه شعر فجأة بانخفاض في ضغط الدم، شعر بأنفاسه تتلاشى، الهواء يختنق، يغيب عن الوعي، يداه وقدماه بعيدتان تمامًا، رؤيته تقل تدريجيًّا، حتى غاب عن الوعي وراء نظارة بلاستيكية.

هرج ومرج على سطح الماء، تسمع من يقول أن هناك شخص لا يتحرك، شخص غارق بالمياة في الأسفل، قامت لتبحث عنه بعينيها، تتوقع أنه سينضم لفريق الإنقاذ ولن يترك الغارق وحده.

زاد دوار البحر، ازدادت ضربات قلبها، وجدتهم فوق الماء يحملون شخصًا ببدلة غطس، يرفعون النظارة من فوق عينيه، تجده هو من يحملونه، تجدهم يفحصون نبضه، يسحبونه بطوق نجاة ويشده آخر تجاه السفينة، كل شيء يحدث بسرعة لكنها تراه بالتصوير البطيء، تراه بلا صوت، تراه كالحلم الذي نراه ولا نستطيع الحركة به،

كيف نزلت تلك الدرجات القليلة العمودية بالطابق السفلي لتراه، الزحام من حوله، يحاولون إعطاءه تنفسًا، يقولون أن تنفسه طبيعي ولا مياة زارت رئتيه، يخلعون سترته، يقيسون ضغط الدم، يضخون سوائل بفمه، بدر لا يستجيب!

بدر ملقًى أمامها بلا صوت.

بدر الذي كان يقبل رأسها منذ دقائق ويشاغبها ويريد أن يأخذها معه تحت الماء في جولة يتذكراها سويًّا.

بدر الذي يشاغبها ويغازلها ويشاركها جنينها وتشاركه حياتها بعد العناء الذي عاشته، ممدد على سرير يأخذونه بطرقة، ثم ينغلق الباب خلفهم ويغيب عن أنظارها.

الرعب سكن قلبها، الليل أسدل ستائره في عينيها، كل شيء مر بسرعة، الشمس غابت والجميع بالمستشفى ينتظرون أي شخص يطمئنهم!

❋ ❋ ❋

- 19 -

"عام"

في بلدة يمتد بها الأخضر أكثر من اليابس، أجري وألعب بالكرة، فيناديني جدي ويطلب مني أن أجلس على ساقيه.

يلقبني بالدكتور، ويخبرني أن أمي ستلد طفلًا صغيرًا يصبح أخًا لي.

أسمع صراخها يدوي من بعيد، يخبروني أنها ستكون بخير وأنها ستلد طفلًا جميلًا.

يخرج أبي حاملًا الطفل الصغير ويخبرني أنها فتاة جميلة، أصبح لي أخت اسمها بسنت.

أشعر بالحزن أنها لن تشاركني لعب كرة القدم عندما سنأتي إلى البلدة الخضراء، أصبحت أعتني بها أكثر من أي شخص بالعالم.

تكبر أمامي وتحبو ثم تخطو أولى خطواتها، أصفق لها بحرارة وأعلمها ألا تخاف.

كبرنا ونحن ملتصقين ببعضنا البعض، ببيت يطل على النيل، أخبرها دائمًا أننا سنذهب إلى بيت جدي قريبًا بالأراضي الخضراء وأعلمها أن تلعب معي الكرة.

يغيب أبي كثيرًا عن البيت، فتخبرني أمي أنني يومًا سأصبح مثله وأقضي أيامي وليلي نهاري بالمشفى التي سنؤسسها أنا وهو سويًا.

أشعر أن الذكريات تصطحبني إلى الجنون، الصور غير مكتملة، قصاصات من الذكريات البعيدة أحاول أن أجمعها كقطع "البازل".

أرى أنني شخص آخر، مريض، تحملني أمي إلى الطبيب، أدخل إلى جهاز الأشعة مرارًا وتكرارًا، لكنني أقاوم، آخذ أدويتي، أذهب مدرستي، لا أحب تدليلهم لي.

أمي لا تريد إنجاب أطفال آخرين، أشعر بالاستياء، أريد أن ألعب مع أخي.

أرى نفسي جالسًا على مكتبي بالبيت، أمي تجلب لي السحلب شتاءً وصيفًا، أحبه كثيرًا رغم أنه بالصيف يزيد جسدي حرارة، أشعر أن العرق يتدفق من فوق جبيني.

أحب الشاي الأحمر، أغمس فيه قطعًا من البسكويت التي أسرع من حملها كي لا تسقط، فتخبرني أمي أن لا أزيد في طلب الشاي لأنه خطر على الأطفال.

أشعر أنني أنام ثم أستيقظ، تمر أيامي سريعة مثل تقلب ورقات نتيجة لأيام السنة وسط رياح.

تمر الأيام بين أدوية وأطباء لا تنتهي، لكنني أقاوم بلا يأس.

أصبح لي شاربًا، وأدخن دون أن أخبر والداي، أصبحت طالبًا في الجامعة، أرى المعطف الأبيض والمعامل، أرى الجثث المحنطة، وأشاهد الفئران والضفادع والمشارط، أرى الكثير من الأعضاء محنطة بحوافظ زجاجية، جميع المشاهد أراها كأنني بداخل فيلم.

بداخلي شخص يريد أن يكون مهندسًا، أراني أرتدي الخوذة، وأمسك الأدوات الهندسية وأحلم أن أقف بين البنايات بمعطف برتقالي اللون.

التقيت "بعايدة" طالبة بالصف الأول معي، كانت تجلس بجواري، انجذبت لها لكنني لم أحاول أن أخبرها عن إعجابي بها، كانت تأخذني الدراسة إلى منزلق عميق، وأبي يخبرني بضرورة تحملي المسؤولية أبي يفتتح مستشفى ويخبرني أن مكاني بها محفوظ، يريدني أن أتفوق لأصبح أستاذًا طبيبًا بالجامعة أيضًا

أحفظ المستشفى وأحفظ غرفتها جيدًا!

بالعام الثاني من الجامعة ازدادت عايدة جمالًا بعيني، لم أشعر بالأيام تمر إلا عندما لاحظت وقوفها المتكرر مع إبراهيم طبيب بآخر عام بالطب.

لم أخبرها بحقيقة مشاعري تجاهها، هي الأخرى لم تترك لي الفرصة لذلك.

أرى خاتمًا ذهبيًّا يلمع في يمناها، ويخبرونني أن عايدة تمت خطبتها لإبراهيم، أبارك لهما في هدوء وأنغمر بدراستي.

كانت عايدة الطبيبة! أم إيمان التي تدرس بكلية الهندسة، أتذكر إيمان أيضًا لكنها هي من كانت تحبني وأنا لم أبادلها نفس الشعور؟

بالعام الثالث تغيرت كثيرًا، اشترى لي أبي سيارة، أرى لونها أسود، يلتف حولي الكثير من الطلبة والطالبات، أصبحت أكثر اجتماعية، أرى أختي تأخذ مكاني بالغرفة تذاكر وتشرب السحلب أيضًا.

أخبرها أن تذاكر بجهدها لكي تلتحق معي بكلية الطب وأوصلها معي بالسيارة. فتخبرني أن أبي سيشتري واحدة لها وأنها لا ترغب أن تكون طبيبة. الأسماء تتزاحم في رأسي، زياد ومهاب وميس وشيماء إيمان ورانيا وحسام ومحمود.....

أظن أنني أعرف جميع من يدرسون في هذا المبنى ومبنى هندسة أيضًا، أعرف طارق ومازن ومحمد وعادل، جميع الوجوه مألوفة الجميع يلتقون بعضهم البعض ويتشابكوا بالأيدي بالكافيتيريا، والكثير من الخطبات سمعت عنها هذه الأيام، لكن من بعد عايدة لا فتاة في طب دقت أبواب قلبي.

أتذكرك يا سلمى، أتذكر خطواتك الهادئة التي تشبه أولى خطواتي في تلك الجامعة، أعلم أنك بالعام الأول، لكنك لم تدرسي معنا هنا أو ربما جئتِ متأخرة عن العام الدراسي.

أراك من بعيد تصافحين ميس صديقتي بطب في دفعة أخرى، تقفين معها ومع حسام الذي يأتيها من جامعة أخرى، أنتما الاثنان أغراب عنا لكنني أتابعكما، حسام يهتم بميس لكنك تنسحبين حينما ترينه.

اليوم شاهدتك تخرجين وحدك وميس لا تلحظ خروجك فقررت أن أحادثك

أتذكر أنني أقترب منك وأسألك عن اسمك وجامعتك وعن أي عام تدرسين. تردين علي بتلعثم وخجل.

أتذكر الأيام التي تمر بيننا وأنا أجدني بك وبعينيكِ، وألقي بأقداري بأيامك، أتجاهل كل من عرفتهم من أجل التودد لكِ من أجل أن تثقي بي.

الجميع يغارون من سلمى التي خطفت قلبي.

الجميع يرون في أعيننا الحب، أتذكر أننا لم نقُلها لبعضنا البعض حتى الآن.

تقتربين أم تهربين؟ لماذا أشعر أنني أطاردك وأبحث عنك بعدما التقيتك رغم أننا نلتقي ونتحدث؟

أتذكر وأنا أصافح والدك، وتحكين لي عن أختك وأمك وتذكرين أنك لن تستطيعي أن تفصحي عنهم أكثر من ذلك.

أشاهد أطياف حفل صغير بمطعم، أضع بأصبعك خاتمًا وأنت كذلك تضعين بأصبعي خاتمًا.

أراك تبكين كثيرًا، وأتألم ويؤلمني قلبي لبكائك، ثم أعدك أنني سأعوضك عن غياب أبيكِ وأكون لك عالمك بأكمله.

ما زلت تدرسين، أتذكر كلماتك وانتِ تتحدينني وتخبريني أنك ستصبحين طبيبة مثلي.

لكني لست طبيبًا، أنا أعمل بالهندسة أنا أريد أن أكون مهندسًا!!

تدمع عيناي سرًّا وأنا أراكِ بفستان زفافك، أقبل رأسك ونتراقص على الأنغام.

أقبل شفتيك للمرة الأولى، وأسكن بجسدك، وأنتفض، وأعلم أنني أسكن الجنة للمرة الأولى على وجه الأرض.

أراك تجلسين بجانبي، وأنا أكتب أبحاثي، أشعر بدفئك من خلفي، تعدين لي السحلب الذي أحبه.

تسقطين، وتمسكين برأسك، أتفحصك وأعرف أنك تحملين مني طفلًا.

تنكسر يديك فأضعها في جبيرة محاولًا تخفيف ألمك، تطلبين مني أن تخلعها من يدك بعد أيام، تترددين لي بالذهاب إلى المستشفى

تنقلب السيارة، أبحث عنك وأفتش عنك لأحميك وأحمي طفلنا، الزجاج يتطاير بكل مكان، أمد يدي لكِ وأنتِ مغمضة العينين، أحاول أن أقاوم لكنني أغمضت عيني وذهبت إلى عتمة لا ضوء بعدها.

ما زال قلبي ينبض، ما زلت أشعر بجميع الأشياء التي انتقلت لتنبض من جديد وتحبك من جديد.

شيءٌ ما يتبدل بداخلي، أرى أشياءً لم أعشها من قبل،

أشعر بها وأراها وكأنني مسيَّر داخل فيلم "أنا بطله".

أحيا مرتين (حياة سابقة وحياة حالية)

أهرب من كل الأسئلة التي تخيفني، أخلع ملابسي ثم أنظر بالمرآة...

أجدني "عامر"

أقفز بالبحر، فأرى صورتي مرسومة على وجه الماء

أجدني "بدر!"

❋ ❋ ❋

- 20 -

"بالمستشفى"

بجواري نور وسامر، لكنني أفقد السمع إلا صوت الأطباء، أفقد الرؤية إلا لوحة العناية المركزة، أفقد الإحساس إلا إحساس الفزع والخوف.

كيف سأفقدك؟ كيف ستتركني وتذهب؟.

بعد عمليات إنعاش للقلب، وانخفاض أدى إلى توقف للقلب، أخبرنا الأطباء بمستشفى شرم الشيخ أن المعدلات الحيوية للقلب منخفضة، ضغط الدم منخفض، الجسم يفرز أجسامًا مضادة، وأن المريض مصاب بغيبوبة، لا يعلمون متى سيسترد وعيه.

الطبيب يريد ملفات المريض القديمة، بعدما علم أنه أجرى جراحات قديمة رأى آثارها على صدره، يتقدم أمجد خطوات ليتحدث مع الطبيب ويخبره أنه يعلم بحالة المريض حيث كان من الفريق الطبي المعالج له قبل خمس سنوات.

الآن أستطيع أن أسمع، ما زلت أترجم الكلمات بكل لغات العالم لا أستطيع ترجمتها؟

- أنا دكتور أمجد وكنت من الفريق الطبي المعالج لحالة بدر، بدر اتزرع له قلب من خمس سنين حصلنا عليه من متبرع وواضح إن الجسم فجأة قرر يقاوم العضو المزروع، أنا هابعت أجيب التقارير من المستشفى بتاعتنا في

القاهرة علشان تقدروا تنقذوه ولو ما فيش إمكانية هنا حضرتك تبلغني ونجهز طيران ونرجع بيه القاهرة.

جميع الهمهمات والأحاديث الجانبية تدوي في رأسي كضجيج قطارات ممتلئة بالركاب في محطة مزدحمة.

سألت بسنت أمجد في دهشة وجنون: مين اللي اتبرع له بالقلب؟ وإمتى دا حصل أنا مش فاهمة حاجة؟

ليرد عليَّ أمجد في ثبات: ربنا يرحمك يا دكتور عامر، مات وساب قلبه في جسم بدر.

جلست سلمى على الأرض بعد سماع الجملة الأخيرة، كتمت أنفاسها لدقيقة ثم صرخت صرخة أسدلت بعينيها ستائر سوداء.

حملتها نور وسامر، أخبرتهم نور أنها حامل وتحتاج لمحلول مغذٍّ لانخفاض ضغط الدم، كان من الضروري أن تقف على قدميها، كان من الضروري أن تذهب معهم إلى المستشفى في القاهرة ليتلقى علاجه، كان من الضروري أن يشعر بيدها تمسك يده ليفيق، ليبقى معها ولا يغادر حياتها.

أفاقت وظلت بجانبه، انتقل إلى المستشفى بالقاهرة، جاء والديه ليطمئنا على أحواله، بكى والده حينما علم أن الجميع كشفوا أمر قلبه، كان لا يود إخباره عن الحقيقة، كي يتلقى العلاج بهدوء، كان يريده ألا يفزع حينما يشعر بقلب آخر ينبض بين ضلوعه، كي يتقبله جسده بلا رفض.

كان يخاف عليه من تغيرات قد تطرأ عليه وينساق بحثًا وراءها.

كانت رغبة والد عامر مشابهة لوالد بدر، لكن اختلفت الأسباب،

في المقام الأول كان يريد لعامر أن يأخذ الأجر، وفي المقام الثاني كان يخاف كلام عائلتهم وأصدقائهم أنه تم انتهاك جسده وأخرجوا أعضاءه، لن يفهموا يومًا أنه كان ينفذ وصيته لكنه لم يتوقع أن يتبرع بقلبه!

بكى أبوه كثيرًا حين وجد بدر ممددًا تحت الأجهزة لا حياة فيه، يريد ألا يتوقف نبض هذا القلب، الذي غادر صاحبه الدنيا وتوارى تحت التراب.

جلست أمام دكتور حسني والد عامر تحدثه:

- أنا عاوزاك ياعمي تحكي لي كل حاجة حصلت من ساعة ما عامر مات ونقلتو قلبه في جسم بدر!

قالتها وهي تحمل بقاياها المنكسرة، تحمل ألف سؤال وسؤال، تحمل في نفسها الكثير من الأنين، كيف أحبت عامر لمرتين دون أن تشعر؟

كانت تريده أن يسرد الكثير الذي تجهله.

ترقرقت الدموع في عينيه يستعيد الذكريات الأليمة العالقة بصدره، تنهد بعمق ثم أجابها:

- عامر جه من الحادثة كان النزيف في المخ وصل لأقصى درجة، كانت حياته شبه مستحيلة فضل على الأجهزة يا بنتي ووظائف الجسم بتنهار ساعة ورا التانية بشكل سريع، رغم إني أبوه ودكتور ومش عارف أعمل له أي حاجة، كنت بابكي علشان ألحقه بس عارف إن ما فيش أمل، ساعتها افتكرت وصيته الله يرحمه قال لي لما اموت يا بابا لو حد احتاج أي عضو من

جسمي اتبرع بيه، اوعدني يا بابا، كانت الفكرة كبيرة في دماغه وفضلت سر بينْنَا وأقول له بعد الشر عنك، كان بيقول لي الشر إننا أطباء ومش فاهمين إن التبرع بالعضو زي التبرع بالدم يكون في إيدينا ننقذ حد ونخاف لمجرد خوفنا انتهاك حرمة الميت! قال لي يا بابا إحنا دكاترة حياتنا كلها مشارط ودم إيه اللي يخوف وهيفرق إيه لما يتشرح جسم حي ولا ميت.

كلامه كان بيرعبني بس زرع جوايا العقيدة دي، ولما نقلنا حالة بدر للمستشفى كان وقتها لسَّا عامر متجوزك وكان بيحضر أبحاث، ودكتور أمجد اللي كان متابع الحالة، كان قلبه مصاب بضمور تام ووصل لحالة متأخرة في استجابة العلاج لأنه مولود بمشاكل في القلب، كان عندنا دكتور جون وفريقه وجاهز لزرع قلب لبدر ومستنيين متبرع يظهر وقلب بالمواصفات المطابقة.

مات عامر دماغيًّا وجسديًّا وما بقاش فاضل غير قلبه اللي بينبض، بموافقتي وإقراري وطبقًا للشروط المطابقة كان قلبه سليم، وقررت أنا ووالد بدر يفضل دا سر بينْنَا ومعانا دكتور أمجد، كانت العقاقير اللي لازم ياخدها بدر بعد الجراحة قوية جدًّا علشان الجسم يتقبل القلب بدون رفض، كان دكتور جون بيأكد ضرورة المحافظة على شعور المريض بعد الإفاقة وقرر والده إنه ما يعرفش أي حاجة عن الموضوع دا.

فاق وبقى كويس، ما حدش حكى له وهو ما سألش، لأنه كان اتعود على العمليات، بس اتحسن كتير، ساعتها بس ارتحت وحسيت إني نفذت وصيته.

- هو دا اللي قاله عامر لبدر في الحلم: اللي يخصني يخص سلمى؟

- كان بيحلم بيه كتير، وكان بييجي يقعد معايَ بالساعات لما سألني عن صورة عامر وقال لي إنه بيشوفه في الحلم وسألني ليه بيتكرر الحلم، ابتسمت وقُلت له أصل جزء من تكاليف الجراحة سددتها من حساب عامر الله يرحمه بعد ما مات، كنت فاكر إن الدراسات اللي بتأكد تغيير مشاعر المريض بعد الزرع مجرد كلام، بس طلع حقيقي، وبدر بقى قريب منْنَا جدًّا ومن بسنت، لحد ما طلب إيد بسنت، ما كانش في إيدي أرفض كانت متعلقة بيه جدًّا، وشرعًا ما فيش حاجة تخليني أمنع جوازهم، دا مجرد حامل لقلب أخوها.

بس برضه حصل اللى كنت متوقعه، كان دايمًا بيأجل الجواز، كنت حاسس إن مشاعره مهزوزة، أمجد قال لي كتير بلاش يا دكتور مش هيحبها، كنت فاكره بيقول لي كدا علشان هو بيحبها بس صدقت كلامه بعد ما جالك العيادة يا سلمى وقابلك وكل حاجة في حياته اتشقلبت.

ما عتبتش عليه، قلبنا مش بإيدينا، هو خد قلب اللي كان بيحبك من كل قلبه.

مع كل حرف كانت تذرف آلاف الدموع، قلبها ينزف هو الآخر، تتساءل إن كان بدر أحبها لذاتها أم أحبها لأنه يحمل بين ضلوعه قلب من كان يحبها حتى النخاع؟

لكنها أحبت بدر، دون علمها بأن شيئًا خفيًّا يجمعهما، لكن الذي تشعره الآن أنها تائهة تجاه تقييم مشاعرها نحوه؟

تشعر بالخوف والفزع والاستغراب؟ تشعر بأنها بحلم غريب، كأحلام بدر الذي يرويها لها وستفيق منه.

تحدث نفسها:

لكن أين هو بدر؟ غارقٌ في سبات النوم، متى ستفيق وتعلمني بما تشعر، سأسأله ألف سؤال، سأعرف منه إن كان يحبني بقلبه أم بقلب عامر.

طال الانتظار يا بدر، وأنت ممدد هناك تحت الأجهزة، نحلت كثيرًا، وشحب لونك، وزاد حجم بطني وجنيني، ما زلت أبحث عن إجابات لأسئلة كثيرة تدور برأسي، سأنتظرك حينما تعود وتفيق، لن ييأس دعائي لك.

الجميع يحبونك يا بدر، مدراؤك بالدوحة يتصلون ويسألون عن أحوالك، يشيدون بنجاحك ينتظرون قدومك وترقيتك بعد آخر مشروع والوزارة تهنؤك عن كشف فساد حسام وقضيته التي أنقذت بها المعمار والتشييد بأكمله.

طفلتك تنتظرك يا بدر، تريد أن تحملها بين أحضانك بعدما تعبت في حملها معي بجميع الطرقات التي مشيتها، أنا أبحث ليلًا نهارًا في جميع المراجع التي تدلني على طريقة لعودتك، فقدت وظيفتي في جامعة الدوحة لأظل بجانبك، أجيب عن أسئلتي التي تعجز الإجابة عنها وأجيب عنك أنا، أجيب عن الأمور الخاصة بعلم النفس والطب، وأترك لك الإجابة عن أشياء لن يشعرها سواك أنت.

والداك وأختك معي طوال الوقت، أحببتهم وأحبونني كما لم أتوقع أن تتوطد علاقتنا يومًا، نزورك كل يوم بالمستشفى، ويزورك أمجد وتزورك بسنت، لم تعد تكرهني، هم يرون فيك قلب عامر، وأنا أريدك أنت.

كانت تجلس بقربه، تمسك يده وتتلو عليه الآيات وتدعو له بالشفاء، تخبره أنها اشتاقته، لم يتبقَ الكثير على وضع مولودتها وتحتار في تسميتها، تترجاه أن يعود لها ويساندها، تخبره أن أيامها بدونه بلا روح.

كان الطقس في هذا الليل باردًا، قررت أن تنام برفقته، طلبت سريرًا إضافيًّا التصقت به، ونامت وهي تمسك يده الموصل بها أنابيب مغذية.

❋ ❋ ❋

- 21 -

سمعت صوت صفير وإنذارات، استقيظت على دخول ممرضتين ينادون الطبيب، نفس الحالة التي كان عليها وقت وجودهم بمستشفى شرم الشيخ، ابتعدت بسرعة عنهم، للمرة الثانية تراهم يضعون فوقه أجهزة إنعاش للقلب، ضجيج وزحام وركضات، وصوت جهاز القلب والنبض يرتفع في أذنيها.

وضعت يدها فوق أذنيها ووقفت بالزاوية تنتظر ما سيحدث، أنفاسها شبه منقطعة إلا عن نبض قلبها رغمًا عنها،

انتفض عدة مرات ثم عاد النبض لوضعه الطبيعي، سعل وتحركت يداه!

بعد عدة ساعات أفاق على صوت الجميع حوله، يشعر بزحام برأسه، وضوء شديد يخترق بؤبؤي عينيه، رأى جميع الوجوه تنتظره ويتمتمون الدعوات والحمد الكثير، والمباركة، إلا سلمى تجلس برفقة يده تقبلها ودموعها تنساب فوقها.

كيف سيصدق أنه نام لخمسة أشهر؟

لم يستطع القيام ولا الحديث، كان يبحث بعينيه عنها ويشير إلى بطنها المنتفخ، غير مصدقٍ أنها كبرت بهذا الحجم؟

أين كان؟ يرى أنه كان برحلة في أعماقه مع حياة عامر، ألف سؤال يريد أن يسأله، لماذا اختلطت ذكرياتهما سويًا؟

أسبوعان آخران من تلقي العلاج الطبيعي والعقاقير، كان قوي الإرادة، إرادته التي جعلت حنينه للقاء ابنته أكبر من انتكاسة مرضه.

كانت سلمى تجلس معه بالغرفة بعد تلقيه علاجه:

- قُلتِ لي هنأجل الكلام ولما تتحسن والدكتور النهاردا طمني وقال لي تقدر تخرج

- ما احنا بنتكلم أهو

- أنا حاسس إنك متغيرة، جواكِ كلام مش قادرة تطلعيه أو تقوليه، إيه اللي حصل وأنا نايم؟

- وحشتني، كنت بادور عليك في كل حاجة بتاعتك سبتها، كنت باحتاجك واجي لك واقعد جنبك واكلمك

- أنا كنت حاسس وسامع وكل حاجة بتحصل حواليا، بس ما كنتش قادر أفوق ولا أصحى، كل حاجة عندي داخلة في بعضها

- الحمد لله إنك رجعت لي بالسلامة، على فكرة أنا بدأت أجهز في موضوع رسالة الدكتوراة..

- انتِ بتتهربي من الكلام ليه؟

صمتت.. ليسأل:

- هو أنا هاقدر ارجع شغلي تاني؟

- طبعًا، ما حدش بطل يسأل عنك وكله مستنيك، وكانوا مصممين إنك تروح تتعالج هناك بس مامتك وباباك كانوا عاوزينك هنا، وانا ما كانش ينفع أفضل لوحدي من غيرك هناك.

أردفت لتقول:

- احكي لي بقى كنت حاسس إيه؟

- أنا عشت حياة تانية، وشُفت ناس كتير، وقابلتك، بس المرة دي ما كنتش أنا ، كنت عامر.

شهقت ووضعت يدها على فمها، أشاحت بعينيها عنه.

- فيه إيه يا سلمى مخبية عني إيه؟

- ما فيش

- فيه حاجة مش طبيعية، أنا شُفت تفاصيل ما ينفعش حد يشوفها إلا حد عاشها بجد؟ ليه عامر بالذات

- علشان.... بدر علشان خاطري ما ينفعش نتكلم دلوقتي

- أنا عاوز أفهم، ما تخافيش عليَّ أنا كويس، وهاكون كويس أكتر لما أفهم أنا بيحصل لي كدا ليه

....-

- في إيه بيربطني بعامر؟ أنا وهو عشنا مع بعض فين قبل كدا؟ هو أنا فقدت الذاكرة ولا في إيه أنا مش فاهم حاجة.

- انت عارف يا بدر إنك قلبك كان فيه فشل من الدرجة الأولى وكنت محتاج جراح من إنجلترا ييجي يعمل لك العملية...

كانت تتحدث ويدها تلتف حول بعضهما البعض، فأمسك يدها بين يديه:

- كملي ما تخافيش وقولي

- وكان لازم يتزرع لك قلب جديد، وما كانش ينفع يقولوا لك كدا علشان احتمال نجاحه ضعيف، ومواصفات القلب ما كانتش موجودة، وصادف وجودك بالمستشفى موت عامر، وفشل 80% من أعضاؤه يعني كان ميت، وكان موصي باباه إنه لما يموت يتبرع بأعضاؤه لحد محتاج يعيش علشان ينقذ بني آدم.

ارتعشت يداه وبردت وأصبحت أقل تماسكًا بيدها التي كانت بينهما،

استطردت تتحدث ودموعها تنساب وأصبحت هي من تمسك بيده:

- وزرعوا لك قلب عامر ونجحت الجراحة، وفضل دا سر ما بين باباك وباباه ودكتور أمجد والطاقم اللي عمل لك الجراحة.

انتفض وقام يمسك صدره، ويضرب عليه بيديه بكل قوته،

- أنا؟، أنا عايش بقلب حد تاني؟، مش من حق حد يعمل فيَّ كدا من غير ما اعرف، ليه أعيش بمشاعر حد تاني؟ ليه ما يكونش ليَّ الحق أختار أموت ولا أعيش؟ إزاي ما ياخدوش موافقتي في حاجة زي كدا؟

انسابت دموعه بحرارة كانت تراها لأول مرة، ولأول مرة ترى انفعاله.

- بدر، بدر علشان خاطري ما ينفعش وحياتي عندك إهدا علشان خاطري علشان خاطر بنتنا

- إزاي يسيبوني في كل الحيرة دي، لمجرد إنهم خايفين عليَّ من الموت، يسيبوني عايش بقلب حد تاني سنين وانا ما اعرفش.

ظل يضرب بيديه على قلبه ويسألها، وهي تبكي، وتزداد ضربات قلبها خوفًا عليه وتزداد حركة الجنين، شعرت بمياه تتدفق من بين قدميها يتبعها قطرات دماء، ويزداد الألم الذي لم تعد تحدد مصدره صرخت صرخة، أفاقته من نوبة غضبه، انتبه لوقفتها المتجمدة والماء الذي يبللها.

لحظات كان يشعر فيها بسوء التصرف، ركض نحو الباب ثم عاد وأسندها، يريد أن يتركها ليطلب أحدًا لمساعدتهم، أجلسها على أقرب مقعد وركض ثانية نحو الباب، طلب مساعدة التمريض بالقسم،

- سلمى بتولد حد يلحقنا بسرعة.

آلام حياتنا جميعها كآلام المخاض، تولد بعدها حياة جديدة تنسينا ما مضى، وتمضي الآلام خلفنا.

الولادة الأولى، المولود الأول، حمله للمرة الأولى وتقبيله، كلها أشياء رائعة تستحق أن تخلد للزمن.

جاءتهم فتاة ولدت من ألم أبيها، وألم مخاض أمها، جاءت تصرخ لتنسيهم ما كانوا يتألمون من أجله، جاءت لتأخذ قلبه الذي يسكن بين ضلوعة أيما كان ينتمي.

ألم ينبض بجسده لخمس سنوات وأصبحت تجري به دماؤه، وسكن به حب وفراق وأشواق؟ ألم يسكن به فرحة لقائه بتلك الصغيرة؟

إذن لمن ينتمي القلب؟

كانت ممدة على سريرها بنفس المستشفى، التي أجرت بها الولادة، جلس بجانبها مساءً، لم يعرف أحد بولادتها من أهله ولا عرفت نور بذلك.

- حمد الله على سلامتك.

- الله يسلمك

شاردًا بعينيها وبعيني الطفلة، تائهًا:

- حاسس إني في حلم

- فرحان؟

- جدًّا، دي نستني الدنيا كلها لما شلتها بين إيدي وحضنتها

- شبهي ولا شبهك؟

- أكيد شبهك وهتبقى حلوة زيك، شُفتِ أنا محظوظ قد إيه بس كان نفسي أحبك وأحبها من قلبي أنا، مش من قلب اتزرع فيَّ.

- ما توجعش قلبي أكتر من كدا

- كل حاجة كانت غريبة، مشاعري لبسنت اللي عمري ما حبيتها ولا حسيتها إنها تبقى مراتي، كنت باخاف من الفكرة دي وعمري ما صارحت حد، إحساسي بحبي لوالدتها ووالدها، إحساسي بإن المستشفى والعمليات ما عادوش بيخوفوني، إيدي الشمال، فاكرة لما سألتيني انت أشول، ولما شُفتك أول مرة، كنت حاسس إني أعرفك، أحلامي بيه وهو بيقول لي اللي يخصني يخص سلمى

- انت عاوز تقول لي إنك ما حبتنيش؟

- لو شُفتك في مكان تاني وزمان تاني وغيروا لي مليون قلب هاحبك برضه

- يعني حبك ليَّ ما اتغيرش؟

- معقولة بتشكي في حبي ليكِ؟

- ما باشكش يا بدر، بس خايفة تكون دي مشاعر عامر مش مشاعرك.

- أنا حقيقي ما اعرفش دي مشاعري ولا مشاعره، بس اللي متأكد منه إني باحبك، وهافضل أحبك، ومافيش حاجة تقدر تغير إحساسي ليكِ لحد ما أموت، عايز أنسى علشان أقدر اكمل حياتي.

صمت قليلًا ثم أردف:

- هنقدر ننسى؟

- هتقدر تحبني أكتر؟

أمسك يديها ثم قال:

- هاحبك لآخر نفس في عمري

أخذ نفسًا من أعماقه ثم قال:

- تعرفي إن حكايتنا دي تنفع تتعمل رواية؟

- فعلًا، علشان كدا قررت ولو تسمح لي طبعًا، إنك تبقى موضوع رسالة الدكتوراه بتاعتي.

- موافق طبعًا، يعني خدتِ قلبي، وهامنعك يكون عنوان رسالتك

- هنسمي بنتنا إيه؟

- وتين، إيه رأيك؟

- الله حلو قوي، بس معناه إيه

- اسم شريان في القلب هو اللي بيوصل القلب بالحياة، لو اتقطع يموت.

- ربنا يخليكِ ليَّ ويخلي لنا وتين.

ثم أردف:

- هاكلم ماما وبابا وأقول لهم إنك ولدتِ علشان نحتفل بوتين قلبي.

❋ ❋ ❋

- 22 -

أصبحت وتين ذات العام وبضع شهور، تضحك وتلقي بنفسها في أحضان بدر كلما جاءها من الخارج، عاد لعمله بالدوحة كما تركه كانوا ينتظرونه بتكريم وترقية ومباركة لعودته وشفائه.

عادت معه سلمى لكنها لم تستطع التدريس بالجامعة في ظل تربية ابنتها بالمرحلة الأولى، جاءت معه لقلقها الدائم على صحته، لتظل بجواره، كانت تجتهد بإتمام رسالتها، كانت تراسل أستاذتها بالجامعة بمصر، عبر الإيميلات والتليفون طوال الوقت، إلى أن اقترب وقت المناقشة.

أول من التقت بعد وصولها إلى مصر كانت ميس التي اشتاقت لها كثيرًا، وجدتها قد تغير حالها للأفضل، طلقها حسام الذي أتعبها طيلة السنوات التي مضت، قد غادر الدوحة بلا رجوع بسبب قضية الفساد التي أتلفت إقامته وعمله:

- وحشتيني يا ميس، طمنيني عليكِ

- أنا كويسة وحشتيني جدًّا، أنا رجعت لشغلي

- دا أحلى خبر سمعته

- عمري ما هاسيب شغلي تحت أي ظرف

- ولادك عاملين إيه طمنيني عليهم، باباهم بيشوفهم؟

- آه بيشوفهم من فترة للتانية، عاوز يرجع لنا

- طب واللي كان متجوزها؟

- طبعًا اتطلقت منه، لأنها مش هتنزل مصر علشان خاطره وهو مش قادر يرجع.

- وانتِ قررتِ ترجعي له؟

- انتِ بتهزري؟ بجد يا سلمى؟ أنا الموضوع دا بالنسبالي ميت تمامًا، هو بس صعبان عليه البيت اللي احنا قاعدين فيه وأمه كل يوم والتاني تكلمني، الموضوع مش حب وعشرة لأ، الخسارة المادية هي اللى صعبانة عليهم، بس أنا مش هاتنازل عن حقوقي تاني، البيت دا تمن غربتي أنا وولادي وتربيتي ليهم لوحدي هو اللي خان وغدر يا سلمى مش أنا، هو اللي يمشي برًا البيت اللى ما حافظش عليه مش أنا.

- ربنا يعوضك كل خير، في يوم هتشوفي حد هيحبك من قلبه ومش هيخونك أبدًا.

- يا رب يا سلمى وأشوف ولادي في أحسن حال

- هاستناكِ الأسبوع الجاي في مناقشة رسالتي اوعي ما تجيش.

* * *

حان وقت المناقشة، ارتدت "جاكيت" من اللون الجملي، وقميصًا لون السماء "وجيب" كحلي يقف عند ركبتيها، وحذاء بكعب مرتفع من نفس لون "الجاكيت".

حضرت بالقاعة نور وميس وبدر

وقفت خلف الميكروفون تحيي أساتذتها، وتشكرهم على جهودهم معها طيلة سنوات الدراسة، على العلم الذي أمدوها به وأضافت كلماتها:

هاقدم لكم بحثي ورسالتي للدكتوراة بعنوان (زرع القلب)

من وجهة نظر الجميع رؤية الموضوع بشكل طبي بحت ولكن الحقيقة إنه عجز الطب في تفسير ما بعد زرع القلب، علم النفس قام بدوره الحقيقي وبحث في الموضوع وبعد بحث طويل ودراسة لأكبر حالة حية وحقيقية عشت معها عمري ولمست فيها كل النواحي النفسية الفسيولجية هاقدم لكم نتيجة بحثي ورسالتي زوجي المهندس بدر اللي تم زراعة قلب له من خمس سنوات وكانت المفاجأة إنه اتغير واتبدل لشخص آخر وأخذ صفات المتبرع اللي كان بفعل القدر زوجي سابقًا رحمة الله عليه.

الموضوع صادم فعلًا، لأني عشت التغييرات دي بنفسي.

قبل ما هاتكلم عن الحالة الحقيقية والتغيرات اللي حصلت مع حالة المهندس بدر حابة أوضح إن تغير صفات المريض بعد زرع القلب ما بتتلخصش في مجرد تغيير مضخة الدم فقط، زرع القلب بينتقل معاه الأشياء اللي كان بيحبها وبيكرهها الشخص المتبرع، معتقداته، إيمانه، حبه للأشخاص كمان!

القلب أولًا أم العقل؟ سؤال مهم نحتاج لإجابته، لاحظوا الأطباء وتحديدًا أطباء النساء الولادة، إن خلق القلب بيحدث قبل الدماغ في الجنين ويبدأ في النبض منذ الولادة وحتى الموت، وفيه علماء بيقولوا إن الدماغ هو اللي

بينظم عملية النبض، وأطباء القلب لاحظوا شيء غريب جدًّا في عملية زرع القلب إنهم لما بيضعوا القلب الجديد في صدر المريض، فورًا بيبدأ بعمله بالنبض بدون ما ينتظر أمر الدماغ في إعطاؤه الأمر دا.

ودا بيشير استقلال الدماغ عن القلب، ودا كمان بيشير زي ما وضح بعض العلماء إن القلب هو اللي بيوجه الدماغ، وإن كل خلية من القلب ليها ذاكرة كمان، وقالوا إن تاريخنا متسجل في كل خلية من جسدنا.

نرجع للقرآن الكريم علشان نستدل بيه على ذاكرة القلب، قبل علم النفس والطب وزراعة القلب، قال سبحانه وتعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أو آذان يَسْمَعونَ بها فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

من خلال هذه الآية الكريمة نتأكد أن القلب له ذاكرة، له عقل وله مشاعر.

وأثبتوا من خلال زراعة القلب في العصر الحالي إن المريض عندما يتم زراعة قلب له بأخذ قلب شخص آخر، وجدوا تغيير في صفاته الشخصية والسلوكية وهذا التغيير ناتج عن تغير القلب الذي يعتبر كذاكرة.

الشيء اللي أثبتوه علميًّا إن القلب يتصل مع الدماغ من خلال شبكة معقدة من الأعصاب، وفيه رسائل مشتركة بين القلب والدماغ على شكل إشارات كهربائية، وبيؤكد العلماء أن القلب والدماغ بيعملوا بتناسق دقيق ولو حصل أي خلل في التناغم دا هتظهر اضطرابات فورًا.

"البروفيسور جراي سشوارتز" اختصاصي الطب النفسي في جامعة أريزونا، والدكتورة ليندا روسيك قالوا إن للقلب طاقة بتخزن المعلومات وكمان بتعالجها، وإن الذاكرة مش بس في الدماغ وإن القلب متحكم فيها ومشرف عليها، وفي دكتور اسمه غاري عمل بحث وضم فيه 300 حالة زرع قلب وكلهم حصل لهم تغييرات جذرية صادمة بعد الجراحة!

يعني من واقع الحياة والتجارب والمصحات النفسية وعلماء النفس بالغرب اللي تابعوا حالات ما بعد الزرع شافوا حالات تقشعر لها الأبدان.

دكتور "سشوارتز" قال إنهم تابعوا حالة زرع قلب لطفل من طفل آخر أمه طبيبة وقد توفي وقررت أمه التبرع بقلبه وتقول هذه الأم: إنني أحس دائمًا بأن ولدي ما زال على قيد الحياة، فعندما أقترب من هذا الطفل (الذي يحمل قلب ولدها) أحس بدقات قلبه وعندما عانقني أحسست بأنه طفلي تمامًا، إن قلب هذا الطفل يحوي معظم طفلي!

واللي أكد الإحساس دا إن الطفل بدأ يظهر عليه خلل في الجهة اليسرى، وبعد كدا اكتشفوا إن الطفل المتوفى صاحب القلب الأصلي كان يعاني من خلل في الجانب الأيسر من الدماغ بيعيق حركته، ولما تم زرع هذا القلب تبين بعد فترة أن الدماغ بدأ يصيبه خلل في الجانب الأيسر تمامًا كحالة الطفل الميت صاحب القلب الأصلي.

إيه تفسير دا؟! ببساطة نقول إن القلب هو الذي يشرف على عمل الدماغ، والخلل اللي أصاب دماغ الطفل المتوفى كان سببه القلب، وبعد زرع هذا

القلب لطفل آخر، بدأ القلب يمارس نشاطه على الدماغ وطوَّر هذا الخلل في دماغ الطفل الجديد.

ابتسمت سلمى وأخذت تحدق في الوجوه المستمتعة بحديثها والمتعجبة والمتسائلة وراحت تستطرد حديثها:

ودكتورة "ليندا" قالت إن من الحالات المثيرة اللي تابعوها إنه تم زرع قلب لفتاة كانت تعاني من اعتلال في عضلة القلب، وبعد الزرع أصبحت كل يوم تشعر كأن شيئًا يصطدم بصدرها فتشكو لطبيبها هذه الحالة كان بيفسر لها إن كل دا بسبب تأثير الأدوية، ولكن تبين فيما بعد إن صاحبة القلب الأصلي صدمتها سيارة في صدرها وإن آخر كلمات نطقت بها أنها تحس بألم الصدمة في صدرها.

صمتت لمدة عشر ثوانٍ، وأكملت:

غرقت طفلة عمرها ثلاث سنوات في المسبح المنزلي، وتبرع أهلها بقلبها ليتم زراعته لطفل عمره تسع سنوات، الغريب أن هذا الطفل أصبح خائفًا جدًّا من الماء، بل ويقول لوالديه لا ترموني في الماء!

جميع الحالات اللي حكيتها لكم من مراجع وأبحاث أجنبية، علشان بس أوضح لكم إن الحالة الشخصية اللي هاتكلم عنها مش مجرد تهيؤات.

ابتسمت وقالت:

أنا قبل ما اتكلم واستفيض بالكلام عنه، باشكره زوجي المهندس بدر اللي وافق ينضم ليَّ كحالة للبحث بتاعي وساعدني في سرد كل حكاياته ومشاعره من الألف للياء وباقدم له نجاحي ورسالتي.

بدر، وعامر

الأول بدر هو مريض بفشل قلبي بعد محاولات كتيرة جدًّا للعلاج، وعامر هو متوفى قلبه سليم عنده نفس صفات القلب المطلوب للزراعة.

بدر دخل جراحة اتعود عليها من صغره، خرج في عناية مركزة طمنوه إن حالته استقرت والجراحة نجحت وهيقدر يعيش حياته طبيعية جدًّا.

أنا سلمى زوجة المتبرع وما عنديش أي علم بالزرع اللي حصل ولا بحالة بدر.

بدر اتقرب من عيلة المتبرع بشكل كبير، بقوا ناس مهمين في حياته، بيحبهم وبيزورهم كتير، ابتدت الحكاية معاه برؤية المتبرع في الحلم اللي لا عمره قابله ولا شافه إلا في صور بس في بيت أهله اللى بيزورهم ومن فترة للتانية كان بيقول له اللي يخصني يخص سلمى!

تجاهل الحلم كتير لأنه مش فاهم هو ليه بيكلمه في الحلم، مجرد سمع عنه وعن سلمى مراته لكن مرت أيام وهو برضه علاقته بيهم اتوطدت وبقت بسنت أخت المتبرع أقرب له من أخته الحقيقة اللي كانت علاقتهم قوية جدًّا وضعفت جدًّا بعد الزرع.

الشكل الاجتماعي المهم في مجتمعنا، خطب بسنت اللى المفروض هي أخت المتبرع، وطبعًا ما قدرش يحبها الحب بتاع الارتباط والجواز كان فيه شيء ناقص هو جاهله تمامًا، مش بس كدا، بدر بقى بيستخدم إيده الشمال كتير رغم إنه ما كانش كدا، لأن المتبرع الله يرحمه كان أشول.

تطورت الأحداث واتقابلنا، وهنا اللي حصل إن حس إنه عارفني، قابلت شخص يحمل قلب زوجي المتوفى بدون علمي، تقربه مني ومعرفته لتفاصيل عني وعدم قدرته إنه يعتبرني مجرد شخص قابله وبس، رغبته في إننا نتجوز

كانت أكبر من أي شيء تاني كنت باستغرب جدًّا، لحد ما اتجوزنا وبعد وقت من جوازنا حصل له انتكاسة عرفت فيها إنه خضع لجراحة زرع قلب!

كنت باشوف فيه كل تصرفات وحاجات بيحبها المتبرع دكتور عامر رحمة الله عليه، لكن الصورة بتكون أوضح لما بنعرف الحقايق ونجمع قطع البازل الملخبطة في حياتنا.

القلب، مش مجرد مضخة للدم، وزرع القلب من أخطر الحاجات اللي هتسلب من الإنسان حياته القديمة بذكرياتها وتفاصيلها وهتبدلها لحياة جديدة تمامًا، لازم نهيئ الشخص لكل التفاصيل قبل ما يعرف ويتابع حالته كويس بعد الزرع، ما نعرفش حياة الناس المتبرعة كانت عبارة عن إيه.

علم النفس شيء رائع وأنا غارقة في حب علم النفس، أتمنى أكون أضفت شيء لسيادتكم وشكرًا لسماعكم ليَّ.

لحظات واجتمعت اللجنة وقررت أن تمنحها درجة الدكتوراة بعلم النفس.

امتلأت القاعة بالتصفيق الحاد بحرارة، وسقطت دمعتان حائرتان على مقلتيها أسنتدهما بجانب يدها في هدوء رتيب.

وجدت جومانا ويوسف يتقدمان بحرارة ويباركان لهما على الرسالة، كانت مفاجأتها بهما أكبر من توقعاتها، وأكثر ما أسعدها أنها وجدت جومانا بطنها منتفخًا بشهورها الأخيرة من الحمل.

نالت لقب الدكتورة التي كانت تطمح به منذ يومها الأول بالجامعة. وأصبحت الأستاذة الدكتورة سلمى.

كانا نائمان بغرفتهما في منزله الذي طال بقاؤه مظلمًا أعوامًا طويلة تتوسطهما وتين غارقة في نومها بينهما:

- هنرجع الدوحة إمتى؟

- مستعجلة على الشغل الجديد؟

- صراحة جدًّا، وحشني الشغل ووحشني بيتنا هناك

- هاحجز أقرب تذكرة ونسافر يا حبيبتي.

- مش ندمان إنك خلتني أتكلم عنك كحالة؟

- مش هاندم في يوم على أي حاجة حصلت لي وأنا معاكِ،

وهافضل أشكر القدر والظروف وعامر وقلبه اللي جمعني بيكِ.

قبل يديها ووضعهما فوق قلبه، وأطال النظر بعينيها ثم قال:

- روحي انتِ

حياتي انتِ

وتيني انتِ.

ابتسمت الصغيرة في نومها حينما سمعت اسمها، وابتسمت سلمى وهي تعلم أنه هو ووتين كل قلبها ونبضه.

تمت بحمد الله

23- 12- 2017

❋ ❋ ❋

للتواصل مع الكاتبة

Facebook:
https://www.facebook.com/Radwa.ameen

❋ ❋ ❋